Mokarzel, Salloum A.

The History of Syrian Trade in America

تاريخ التجارة السورية

في المهاجر الامريكية

يحتوي على وصف نشوء وارتقاء التجارة السورية في المهاجر الامريكية عامة منذ اول عهد المهاجرة

بقلم

سلوم مكرزل

مع مقدمة مستفيضة في اسباب المهاجرة وتطورها

بقلم

الدكتور فيليب حتي

الجزء الاول

في وصف الموءسسات التجارية السورية الممتازة في نيويورك وبعض انحاء الولايات المتحدة مع رسوم اصحابها ومكاتبهم او مخازنهم ومعاملهم

سنة ١٩٢١ ـ ١٩٢٠

المطبعة السورية الامريكية في نيويرك ـ لصاحبها سلوم مكرزل
SYRIAN-AMERICAN PRESS 104 GREENWICH ST. NEW YORK

Arab American National Museum

1929(?)

بيـان عام

فكّرت في وضع هذا التاريخ عند اول مباشرتي اصدار «المجلة التجارية السورية الامريكية» في سنة ١٩١٩ وقد باشرته فعلاً منذ ذلك الحين فكنت انشر النبذات التاريخية عن المؤسسات التجارية السورية في نيويورك على سبيل الاستشهاد تباعاً في المجلة ثم احفظها للنشر فيما بعد في شكل كتاب مستقل. حتى اذا انتهيت او كدت من وضع تاريخ تجارتنا في نيويورك وهممت بالانتقال الى داخلية البلاد اصاب المطبعة تعطيل من الحريق اودى بالقسم الكبير مما كان مطبوعا ومحفوظا على حدة وحال دون انجاز العمل في ذلك الوقت.

ثم كان اني قررت الانقطاع عن اصدار «المجلة التجارية السورية الامريكية» انصرافاً الى الاهتمام بمجلة «العالم السوري» الانكليزية فكان ان هذا الامر حال ايضا دون متابعة الاهتمام بجمع الشواهد التاريخية عن التجارة السورية في الداخلية وما زالت الحال كذلك حتى هذه السنة.

وقد وجدت بعد امعان النظر في الامر انه لا يجوز تأجيل اصدار هذا التاريخ المفيد اكثر من هذه المدة لان ما اجتمع له من المواد كاف لاصدار جزء اول يمكن اعتباره كاملا بحد نفسه حتى مع عدم مساعدة الظروف على اصدار اجزاء اخرى فيما بعد. فان في هذا الجزء الاول جميع الشروط المطلوبة في كتاب تام، من تمهيد تاريخي عام وفصول متعددة في نشوء وتطور التجارة السورية وما تشعبت اليه من الفروع المتنوعة علاوة على ما هنالك من النبذات التاريخية الفردية التي في كثير منها افادات قيّمة عن مجرى التجارة عموما. بل ان هذا التاريخ حتى في شكله الحاضر يمكن اعتباره تاريخا ليس فقط للتجارة السورية بل للمهاجرة بوجه عام لما هو معروف عن كون السوريين انما هاجروا تجاراً اولا.

والان فان هذا التاريخ يصدر في اواسط سنة ١٩٢٩ بالصورة التي ظهر منشورا بها في «المجلة التجارية السورية الامريكية» خلال سنتي ٢١ـ١٩٢٠ . ولا يخفى على البصير انه في خلال عقد من السنين لا بد من طروء شيء من التغيير في اي الاشغال. فان من المحال التجارية المنشورة نبذات عنها ما اقفل او استبدل نوع اشغاله اتباعا لحكم الظروف. غير انما كان من هذا قليل جدا بالنسبة الى المجموع. وما يجب ان يقال هو ان معظم المستشهد بهم في هذا التاريخ ليس انهم اكتسبوا ثباتا بل ازدادوا تقدما كبيرا. ولا غنى عن ذكر هذا الامر دلالة على ان التجارة السورية بوجه عام تتقدم تقدما مطردا.

ولا بد لي في هذا المقام من تادية كلمة شكر للاستاذ المحقق الدكتور فيليب حتي الذي وازر في العمل بوضعه المقدمة التاريخية عن المهاجرة المصدّر بها الكتاب، ولسائر اصحاب المتاجر والمصانع والاشغال عموما الذين سهلوا لي وسائل جمع الافادات التي مكنتني من اصدار هذا التاريخ بالشكل الذي يظهر فيه الان جامعا لشتات الحقائق التاريخية عن التجارة السورية وحافلا بالرسوم الفوتوغرافية الناطقة بصدق الحقائق المذكورة في المتن.

سلوم مكرزل

نيويورك في ١ تموز سنة ١٩٢٩

اهمية التجارة السورية الحاضرة

كلمة في الموضوع منقولة عن العدد الاول من «المجلة التجارية السورية الامريكية» الصادر عن شهر كانون الاول ١٩١٨

لم تقع المهاجرة السورية الى الديار الامريكية بكثرة مذكورة الا في الثلاثة عقود الاخيرة عند ما عاد الماهدون من المهاجرين الى اخوانهم المتخلفين باخبار الفرص العظيمة السانحة لذوي الجد والنشاط والاقدام في العالم الجديد فاخذوا ينزحون عن اوطانهم بمئات الالوف وهم غير مدخرين من راس المال غير ما فطروا عليه من مضاء الهمة وحدة النشاط وصدق العزيمة ·

وقد كاد ينصرف السوريون في ديار الهجرة الى التجارة دون سواها من طرق الكسب لما فيها من الارباح الدانية ولما كانت عليه الوسائل الاولى التي عمدوا اليها من سهولة الماخذ· فان «الكشة» ام التجارة السورية في المهاجر تكاد لايكون احد من قدماء المهاجرين لم يحملها ويتخذها واسطة لجمع راس المال الذي تحرى فيه التجارة الاصولية· ولا عار في ان تكون الكشة ذات الفضل الرئيسي في قيام التجارة السورية الكبرى الحاضرة لان فيها الدليل على عصامية النفس وعلى الاقدام والنشاط وسائر الفضائل والصفات الخاصة التي هي قاعدة بنيان كل تجارة ناجحة·

وبفضل الكشة اخذ المهاجرون الاولون يقتبسون عادات القوم ويستفيدون من معرفة اللغة فكانوا مرشدين وادلاء لمن جاء بعدهم ونحا نحوهم في هذه التجارة الهينة· وبقدر ما كان يزداد عدد المهاجرين وتكثر حاجاتهم الى البضائع بحسب تنوع طلب زبائنهم اخذت تتوسع دائرة التجارة السورية الامريكية وتتشعب وتتفرع حتى تكاد الان تتناول ما لايحصى من الاصناف وتمتد بعلائقها الى اقصى اطراف الارض ·

ولكن ما اقتبسه التجار السوريون الامريكيون من اساليب التجارة انما كان من ثمار الاختبار ونتائج المشقات والتضحيات التي استنفدت قسماً كبيرا من نشاطهم بنوع انه لو ساعدتهم الظروف على معرفة هذه الاساليب بدون اضاعة الاوقات والفرص اللازمة للاكتشاف الذاتي لربما كانوا حولوا نشاطهم الى مجار غير تلك التي ذهب فيها وانتفعوا من ذلك انتفاعا عظيما ·وليس من هؤلاء التجار من لايدرك هذه الحقيقة ولذلك اصبحوا مستعدين ومتاهبين بفضل هذا الاختبار الذي لم يحصل بغير العناء الشاق للتعويض عن القصور الماضي وللاخذ باحدث الاساليب المقررة فوائدها دون ما كان يشاهد فيهم سابقا من التردد ·

ومع ان التجارة اول واهم ما انصرف اليه المهاجرون السوريون في كل بلد حلوا فيه او بلاد يمموها لم تنشايبنهم قبل هذا الوقت جريدة او مجلة انصرفت خصيصا الى خدمتهم وتجردت لارشادهم وافادتهم في المرفق الذي هواهم مرافق الحياة عندهم واقربها تادية الى الغنى والاثراء ·فكان ان كل تاجر منهم يضطر ان يتولى بنفسه البحث عما يمكن ان يفيده من الاساليب والوسائل والفرص التجارية متكبدا في ذلك نفس العناء الذي كان يلاقيه في اول عهد نشوئه التجاري ·وليست الاهمية فقط في تكبد العناء بل هي على الاكثر في اضاعة الاوقات الثمينة التي كان يتسنى للتاجر الانتفاع بها لقضاء مطامعه وتحقيق امانيه بدلا من ان يضيعها في البحث الذي قد يغني عنه فصل او فقرة من قلم احدذوي الاختصاص المتجردين للبحث في هذه المسائل التجارية ونفع الهياة المتاجرة بنتائج دروسهم

وقد بلغ من اهمية نظر الهيئة الامريكية المتاجرة الى هذا الامر ان نشاءت لخدمتها في دوائر اختصاصها الجرائد والمجلات الخصوصية حتى ان الحكومة انشاءت المكاتب في نظارة التجارة لمعاونة التجار في التوصل الى الافادات التي تسهل لهم تحقيق اغراضهم وجلب المنافع للبلاد من نجاح مساعيهم

Arab American National Museum

فبالنظر الى ما سبقت الاشارة اليه من حرمان التجارة السورية مع ما هي عليه من الاتساع والاهمية مجلة عمومية لخدمتها وبالنظر ايضا الى كون الزمان الذي نحن فيه مسرح لاهم التقلبات التي يدونها التاريخ البشري وسيكون بسببها للتجارة اعظم نصيب في المساعدة على اصلاح ما افسدته الحرب وترميم ما عبثت به عوامل الخراب وسد ما اشتدت اليه حاجة الناس عموما واعادة عهد الرفاء والطمأنينة الى الارض مع ما في ذلك من فرص النفع والانتفاع معا للتجارة رأينا ضرورة اصدار مجلة باللغة العربية لخدمة المصالح التجارية تكون واسطة تفاهم بقصد التعاون بين التجار من ابناء الوطن في المهاجر المختلفة حتى يحصل لهم ملء الانتفاع من وجودهم في كل انحاء المعمور قابضين على ازمة التجارة وهم من عنصر واحد وابناء لغة واحدة ولا بد ان تكون لهم غيرة بعضهم على بعض لا يرجى مثلها من الغريب . ثم لكي تكون واسطة تعارف وارتباط بين تجار المهجر وتجار الوطن لايجاد الصلات التجارية التي ينتج عنها نفع للفريقين وتؤدي الى ترقية البلاد العربية على الاخص بما يكون من جهد ابنائها المهاجرين والمتخلفين لترويج مصالحها وتوفير اسباب نفعها بغيرة واخلاص واجتهاد تدفعهم اليهم عوامل الاستفادة الشخصية والمحبة الوطنية معا . واخيرا لكي ترشد ابناء اللغة العربية الى طرق التجارة الحديثة حتى يأخذوا بها من ابوابها المشروعة ويقفوا على اسرارها ودقائقها ليتمكنوا من مجاراة السوى في مضمار الزحام ولا سيما ان التجارة اصبحت علما له قواعد واصول لا بد من مراعاتها والعمل بها لكل من يطلب توسعا في علائقه التجارية تقضي عليه بمعاملة ارباب التجارة والصناعة من الاجانب الجارين على هذه الاصول . ولكي تخدم التجار بما يهمهم الوقوف عليه من الافادات الصناعية والتجارية والاقتصادية فتنقل الى صفحاتها كل ما ترى فيه فائدة من اخبار المشاريع التجارية والحركات الصناعية والاحوال المالية في العالم مع توجيه اهتمام خاص الى كل ما من شانه تعزيز وتنشيط العلائق بين البلاد الامريكية والبلاد العربية بالنظر الى ان امريكا ستكون حجة الطلاب بعد هذه الحرب بفضل ما هي عليه من غنى الموارد الطبيعية التي كملتها بزيادة معداتها الصناعية زيادة تجعل التعامل معها موردا لاعظم الارباح والفوائد .

وقد اطلقنا على هذه المجلة الاسم الذي يدل على عرضها . اما نعتها بالسورية الامريكية فلكونها صادرة في المقام الاول للسوريين في الديار الامريكية وبينهم . والسوريون هم سواد المهاجرين من ابناء اللغة العربية الذين ضاقت عليهم موارد الرزق او قصرت دون هممهم اسباب الكسب في ارض الولادة فقاموا بمئات الالوف يطلبون ارض الهجرة لتحسين ما ساء من حالتهم ولاستعادة ما زال من نعمتهم فاصابوا بالجد المتواصل وبالهمة التي لم يعتورها فتور خير نصيب من الغنى والثروة . وهم بفضل ما ادركوا من المنزلة التجارية وحصلوا من الاختبار ستكون لهم اليد الطولى في نفع البلاد العربية عموما بما اصابوا من الغنى والاختبار او انهم سيكونون واسطة الاتصال بين امريكا والبلاد العربية لما تؤهلهم له حالتهم الحاضرة الخاصة من كونهم نصف سوريين ونصف امريكيين او سوريي الاصل امريكيي النشاءة يحسنون لغة البلادين ويدركون عادات القومين

ولنا ملء الامل ان تصادف هذه المجلة بين ابناء اللغة العربية في الاوطان والمهاجر الانتشار الذي يؤدي الى تحقيق الغرض من وجودها ويبرهن عن حاجة ابناء قومنا اليها وحسبنا ان نكون قد قمنا نحوهم بخدمة نافعة يقدرونها لنا بمقدار اقبالهم .

☆ مقدمة ☆

بقلم الدكتور فيليب حتي ــ الاستاذ في جامعة كولمبيا في نيويورك
وضعها خصيصا لهذا التاريخ

نسبة التمدن الى المهاجرة

للمهاجرة تاريخ يكاد يكون تاريخ التمدن باسره

ابناء اشور وبابل بزغ فجر ترقيتهم بنزوحهم من وطنهم الاصلي مهد الجنس السامي ــ ولا فرق ان كان ذلك المهد جزيرة العرب كما يعتقد اكثر العلماء ام سوريا الشمالية كما يرتاي الاستاذ (CLAY) المستشرق الاميركي في جامعة يايل ــ الى مابين النهرين حيث اقاموا تحت سماء جديدة وعلى ارض جديدة، واحتكوا بمدنية جديدة مختلفة

العبرانيون لا ذكر لهم قبل ان هجر ابرام ــ على ما نصت تقاليدهم ــ من اور الكلدانيين الى بلاد فلسطين. وكان من امرهم بعد ذلك ان تغرب بنو اسرائيل في ارض مصر، ثم عادوا الى ارض الميعاد، ثم سبيت اسباطهم الى ضفاف الفرات، واخيرا تشتت افرادهم في انحاء المعمور على اثر خراب اورشليم على يد تيطس القائد الروماني. هجرة، فغربة، فعودة، فسبي، فتشتيت ــ تلك هي اهم حوادث التاريخ اليهودي. ما زال اليهود في فلسطين فهم خاملون، منقسمو الكلمة، متخاذلون، لا ينتجون فنا، ولا يستنبطون علما. واذا استثنينا داود وسليمان ونزرا معدودا نرى الباقين من مشاهيرهم نبغوا في ارض الهجرة. فاكبر متشرع انتجته الامة اليهودية ــ موسى ــ لم تر عيناه ارض كنعان. واعظم قائد ــ يشوع ــ ولد وربي خارج البلاد. وليس بين ابطالهم اعظم من دانيال، الاسير في بابل، ولا بين بطلاتهم احب من استير، الامة في بلاط ملك فارس، ولا بين انبيائهم ادق بصيرة واسمى شعورا من حزقيال وارميا، وكليهما مهاجر متخلف عن بلاده

الامم الاوربية الحديثة هي نتيجة هجرة قبائل بربرية من شمالي اوروبا وامتزاجها ببعضها بالشعوب الرومانية. خير برهان على هذه القضية هو تطور الامة الاميركية. فالشان الاكبر في تاريخ تمدن هذه البلاد انما هو لمهاجرة الاقوام الانكلوسكسونية اولا واللاتينية ثانيا، وزحفها زحفا تدريجيا من الشاطئ الاتلنتيكي في عرض البلاد الى الشاطئ الباسفيكي. حول هذه الحقيقة الاجتماعية تلتف معظم الحوادث التاريخية في نشوء هذه البلاد. حتى ان المهاجرين الحديثين اليها ــ الذين اعتاد الوطنيون الاميركيون ان ينظروا اليهم بعين الازدراء ــ لهم فضل لا يقدر على تطور المدنية الاميركية وترقيها. التقدم الصناعي الغريب الذي تقدمته الولايات المتحدة في العقود الاخيرة لم يكن ممكنا لولا العملة الطليان واليونان والسلاف. كذلك التفوق التجاري كان مستحيلا لولا اليهود والالمان وغيرهم

جرد متاحف اميركا ومعارضها من مصنوعات الاجانب فيها فلا يبقى هنالك متاحف او معارض. اطرد المخترعين والمصنفين والموسيقيين المولودين خارج البلاد فتخسر معظم ما يجعل الحياة هنا سعيدة هنيئة. ستة عشر شخصا من التسعة والثمانين اميركيا الذين حسبت اسماؤهم اهلا للعرض في قاعة الشهرة في جامعة نيويورك هم غربيو المولد. تاريخ الولايات المتحدة الاجتماعي والاقتصادي والادبي هو تقريبا تاريخ المهاجرة اليها وفيها

التعليل

تعليل هذا المظهر من مظاهر حياة الانسان صعب للان لم يتبينه البحاثون بتمامه. الا اننا نعلم ان للمحيط الجديد على القوى النفسية تاثيرا يستيقظ بموجبه وينمو ما كان ساكنا كامنا. نعم ان المحيط الجديد لا يولد شيئا جديدا، ولكنه ينبه قوى جديدة. ثم ان اختلاط الاقوام سواء كان دمويا بواسطة التزاوج، ام اجتماعيا بواسطة مبادلة الافكار والمعاملات، فهو يعود في الغالب بالخير على الانسان وعلى المجموع. من النظريات المقررة ان الشعب الذي لا يمتزج ويختلط بغيره من الشعوب والامم، كالشعب الصيني، يتقهقر. والشعوب التي فاقت غيرها واتحفت العالم بشيء من مستنبطاتها انما هي الشعوب التي لم تبق دمها صرفا نقيا كالشعب الانكليزي مثلا. ومن المعلوم ايضا انه اذا تساوت باقي الاعتبارات فلا يهاجر الا من كان بالاحمال اشد طموحا، وابعد نظرا، واكثر احتمالا للمصاعب من غيره. ذلك يصح بالاكثر على المهاجرين في الاجيال القديمة، وعلى

Arab American National Museum

رواد المهاجرة الحديثة. اما اليوم وقد تسهلت سبل السفر الى حد الترف والرفاه، وعرفت احوال البلاد المهجور اليها، فلم يعد في الهجران دليل على زيادة في مضاء العزيمة وكبر الهمة. ومن منا لا يعرف بين السوريين في الولايات المتحدة، مثلا، افرادا ليس على شاكلتهم كثير من السوريين المتخلفين من حيث جمود الذهن وعدم الادراك

اذن اذا كانت الغربة من اهم عوامل الترقي فلانها تستدعي في الغالب القوي النشيط الشجاع للاغتراب، وتضعه في محيط جديد ينبه قواه الغافلة، وتمزجه بغيره من الاشخاص ليستفيد وليفيد

مهاجرة السوري ومتاجرته

السوري شانه من هذا القبيل شان الاسرائيلي تماما. طالما هو في بلاده فحيثيته قليلة. ولكن في بلاد الغربة يظهر باحسن مظاهره. اذا هاجر تفوق، وان تخلف جمد كالمياه الراكدة. فامجد فصل من فصول تاريخه هو الفصل الذي ينشئه بعيدا عن ارضه، نائيا عن اهله

في الزمن القديم

اول سوري هجر بلاده هو الصيدوني (الفينيقي)، وفضله على المدنية ثابت معروف. فهو الذي نشر استعمال حروف الالف باء للكتابة في اوروبا — ولا نعلم اذا كان هو الذي استنبطها ام المصري — وادخل صناعة النحاس، ولم يزل قائما من مستعمرته لليوم مرسيليا في فرنسا، واغادير (CADIZ) في اسبانيا.

في العهد اليوناني والروماني لم يكن السوري المهاجر باقل من الصيدوني اتجارا واستعمارا. انما المدنية اليونانية الرومانية تلالاءت انوارها يومئذ وبهرت ابصار العالم القديم فاغفل المؤرخون، وكلهم يونان ورومان، ذكر ماتي السوريين، ولم ينصفوهم حقهم، وجل ما نعرفه عنهم جاء عرضا في التاريخ عن غير قصد من الكتبة. ومنه يتبين ان السوريين اقاموا مستعمراتهم التجارية على الشواطئ البحرية في غاليا (فرنسا) وايبيريا (اسبانيا) وايطاليا ثم على ضفاف الدانوب والرون والجيروند، ومنها توغلوا في داخلية اوروبا حتى سويسرا وبافاريا (المانيا) حيث انشاوا المصارف والبنوك، واقاموا المكاتب للعمولة والسمسرة، واسسوا المحال التجارية الزاهية. ويلوح للباحث ان هؤلاء المهاجرين احتكروا في الاعصر القديمة معظم التجارة بين الشرق والغرب. فكانوا يستوردون الخمر والزيوت من جبل لبنان ووادي العاصي، والزجاج مع اللؤلؤ والارجوان من صور وصيداء، والحرير والصوف من مدن فلسطين، والبضائع الكتانية والمصنوعات المعدنية من بيروت وجبيل، والاثمار المجففة من دمشق

في الاجيال المتوسطة

كذلك سوريو الاجيال الوسطى اثبتوا بالفعل والعمل انهم خلفاء جديرون بسمعة الاباء. فان عددا منهم ليس بالقليل نزح الى ايطاليا، وهي في ذلك العهد مركز العالم التجاري؛ واقام في بيزا وفينيس وجنوا، واصبح حلقة الاتصال بين المرافىء الايطالية والمرافىء السورية. استولى هؤلاء المهاجرون على زمام المعاملات برمتها، وسيروا السفن الشراعية في البحر المتوسط الى عكا وصيدا وطرابلس، وبثوا معتمديهم في اوروبا باسرها، يشحنون اليهم البضائع والمصنوعات السورية والشرقية، ويستوردون منهم القليل من المنسوجات الاوربية

ولقد فصلنا الدور التجاري الذي لعبه سوريو جنوا في مقالتين نشرتهما المجلة التجارية في سنة ١٩١٩

في العصر الحاضر

اما السوري الحديث فامره معروف، لا يستبعد زاوية من بقاع الارض من الاسكا شمالا حتى الترنسفال جنوبا، ولا يستغرب قوما ان بيضا او صفرا او سودا. لا بلاد له غير بلاد الله الواسعة، ولا امة سوى الامة التي يعيش ويتعيش بين افرادها

المقدمات التاريخية

نزوح كهذا عنيف شامل للنساء والرجال وللكبار والصغار وطويل متناول كل الاجيال والعصور، لا بد ان يكون له مقدمات جوهرية متاصلة في تاريخ الشعب المهاجر، ومتضمنة في جغرافية البلاد المهاجر عنها

من مصيبة البلاد السورية انها من حيث الموقع اشبه بجسر بين مدنيات الشرق والغرب، وبين افريقيا واسيا. هي بمثابة الرقبة بين بلدان الشرق الادنى، ونتج من ذلك ان اهل البلاد جاءوا مزيجا من الاقوام، لا قوما واحدا معروفا، وخليطا من الشعوب والامم، لا تجمعهم جامعة تحبب اليهم الاقامة، ولا تربطهم بالارض رابطة تمنعهم عن التنقل والتحوال. ناهيك بكون الحروب المستديمة التي اثارها الغزاة والفاتحون، كطثمس ونبوخذ نصر، والتي

قام بها القواد الذين عبروا البلاد وهم سائرون بين وادي الفرات ووادي النيل وبين الخليج العجمي والادرياتيك، كالاسكندر وپمباي، ابقت البلاد في حالة الاضطراب والقلق وحببت للسكان الاغتراب والهجرة

المقدمات الجغرافية

لتكوين البلاد السورية الطبيعي ولموقعها الجغرافي علاقة مهمة بهاجرة اهلها. تركيب البلاد الجيولوجي يؤدن بقسمتها الى شقق اربع متوازية ضيقة متطاولة تبتدئ في الشمال وتنتهي في الجنوب. الشقة الاولى هي الساحل الغربي، وعرضه على غير قياس واحد يتسع في فلسطين وينكمش تحت اقدام لبنان. الشقة الثانية هي سلسلة الجبال التي يكون لبنان عظمة ظهرها. ولبنان يرتفع في اعلى قممه الى العشرة الاف قدم. الوادي الشامل للعاصي فالبقاع فالاردن فالعقبة يؤلف الشقة الثالثة. ومن مزاياه انه يضم في احشائه بحر الميت، وسطحه ١٣٠٠ قدم تحت سطح البحر، مما لامثيل له بين البحور والبحيرات. والى شرقي هذا الوادي لبنان الشرقي، وهو الشقة الرابعة، واعلى قممه ٩٠٥٠ قدما فوق سطح البحر. ويعقب ذلك الصحراء. سهل فجبل، فواد، فجبل، فصحراء، تلك هي الارض السورية

بلاد هذا شانها تكون المواصلات فيها ولا بد قليلة صعبة. الطرق لايسهل عليها ان تخترق الجبال والاودية، فشقق سوريا ابدا لم ترتبط بعضها ارتباطا محكما

لما عبر رعمسيس جبل لبنان عائدا من هزيمة الحثيين في سهل حمص نقش تذكارا لنفسه على صخر نهر الكلب لم يزل قائما للان. فكانه فعل ذلك ليهنئ نفسه بفوزه على الجبل الذي لم يكن في اعتباره باقل من فوزه على العدو. كذلك فعل ثغلاث بلصر الاشوري وتابوخذ نصر البابلي. الرومان مع تفوقهم بانشاء الطرق عجزوا عن احكام المواصلات بين اجزاء سوريا. في اواخر الجيل الفائت كان اهل لبنان لم يزالوا يتغنون بقولهم: «زوجك ياملیحه راح عالشام وحده». وبقي الحال كذلك الى العقد الاخير من القرن التاسع عشر، عندما توفق المهندسون الفرنسويون الى وصل بيروت بدمشق بواسطة سكة ندعوها، من باب المبالغة، سكة حديدية..

تاثير الجغرافية على الاخلاق

تاثير هذه الحقيقة الجغرافية البسيطة على اخلاق اهل سوريا وعلى اسباب معاشهم، وعلى هجرتهم، امر لا يقدر. فكما قسم سطح البلاد الى اجزاء لا واصل بينها كذلك قسم ساكنو البلاد من حيث الاخلاق والمبادئ والاراء الى فئات لا وحدة بينها ولا اتفاق. وما لم يكن اتصال جغرافي لاينشا اتصال عقلي وجداني. وبدون الاتصال العقلي ومبادلة الافكار والاحساس لا يمكن ان يتوحد الشعور وتنمو الارادة المشتركة. وبدون ذلك لا امة

في الجيل الثامن قبل المسيح نقل سرجون قبيلة فارسية واقامها في شكيم مقام الاسباط التي سباها من بني اسرائيل. لدى زيارتي نابلس في سنة ١٩١٢ بعد المسيح كانت لم تزل هذه القبيلة السامرية حيث هي محافظة على قوميتها وتقاليدها. الدروز، والنصيرية، والموارنة، وغيرهم احتفظوا بحياتهم القومية والاجتماعية اجيالا وقرونا. اهل معلولا لم يزالوا للان يتكلمون اللغة السريانية، مع ان السريانية لغة البلاد الاصلية، تلاشت بكليتها تجاه اللغة العربية منذ الف سنة او ما يزيد

والذي يهمنا الان من ذلك كله انه حيث لا رابط قومي عمومي ولا وطنية متينة فالحياة مقلقلة غير ثابتة يهون معها ترك البلاد والاغتراب

تاثير الجغرافية على اسباب المعيشة

يمكن حصر ذلك بقولنا ان احوالا جغرافية كهذه تقضي على كل فئة صغيرة في بقعة معينة، ان تسعى لانتاج كل حاجياتها من لوازم الاكل والشرب والكساء. قوام التجارة على مبدأين اساسيين: انتاج كمية من البضاعة تزيد عن حاجة المنتج، ووجود واسطة لنقلها الى من هو في عوز اليها. متى زاد الحاصل عن المستهلك جرى، كما تجري الماء الفائضة، الى حيث هو ناقص. فعدم وجود التسهيلات للنقل في سوريا كان من نتائجه سوق محدودة، ومعاملة قليلة. في ظروف كهذه لا سبيل لجمع الثروة، ولا لتوفير اسباب الراحة والهناء واقل ضربة من الجراد او القحط او المحل تكفي لحمل الجماعة على طلب الرزق حيث موارده غزيرة.

في احوال كهذه اذا توفقت فئة بصناعتها الى انتاج ما يزيد عن حاجتها فلا يبقى لها الا ارسال المصنوع الى سوق اجنبية. لو تسنى للفينيقيين الانتشار شرقا لما انتشروا غربا. لو تمكنوا من الاتجار مع داخلية البلاد برا لما خاطروا بانفسهم مع البلدان الاجنبية بحرا. غير ان الجبال اقامت سدا منيعا وراء ظهورهم، والبحار فتحت لهم صدرا

Arab American National Museum

رحبا امام وجههم. فلم يسعهم سوى الهجران، فهجروا، ولذلك هجر من جاء بعدهم

الخلاصة

ومجمل المقال من هذا البحث ان بين المهاجرة والمدنية صلة حيوية تجعل الاولى عاملا من اهم عوامل الثانية، وان السوريين في كل الاجيال والعصور عكفوا على التجوال والتنقل والتجارة الاجنبية، وذلك احمالا بداعي جغرافية بلادهم الوعرة المسلك وبداعي تاريخهم المتغير المتقلب

حركة المهاجرة السورية الحديثة

عدد المهاجرين الى الولايات المتحدة

عدد السوريين المهاجرين الى الولايات المتحدة امر لا سبيل لاحصائه . وغاية ما يمكن ان نقوله انما هو من باب التقدير. تقدير عددهم يتراوح بين الـ ٦٠،٠٠٠ الف كحد ادنى — وهو تقدير الدكتور روبرتس (١) سكرتير المهاجرة لجمعية الشبان المسيحيين — والـ ٤٠٠،٠٠٠ الف كحد اعلى — وهو تقدير مجلة «اللتري ديجست» (٢) ومن الغريب ان الاحصاء الرسمي الثالث عشر للولايات المتحدة الصادر سنة ١٩١٠ (احصاء ١٩٢٠ للان لم تنشره الحكومة) يذكر ان عدد المتكلمين باللغة «السورية والعربية» في الولايات المتحدة انما هو ٤٦٧٢٧ (٣)

السبب في عدم المقدرة على تعيين عدد المهاجرين السوريين ان ادارة المهاجرة لم تفرزهم عن غيرهم من الارمن واليونان والاتراك النازحين من اسيا الصغرى حتى سنة ١٨٩٩. وهي كانت قبل ذلك تشملهم جميعا تحت لقب «تركيا اسيا». وفضلا عن ذلك فقبل سنة ١٩٠٦ لم تكن حكومة الولايات تامر باحصاء عدد الراجعين الى بلادهم من المهاجرين اما دائرة الاحصاء *Census Dept.* فهي تصر الان على معاملة السوريين «كاتراك اسيويين» فانك اذا راجعت المجلدات الضخمة من تقريرها الاخير المطبوع عام ١٩١٠ فلا تجد اثرا للاسم السوري ولا ذكرا له. ولقد كتبنا الى وشنطن في هذه السنة لما صار الاحصاء الرابع عشر، احصاء ١٩٢٠، ووجهنا انظار رئيس القلم الى ضرورة اعتبار السوريين كشعب مميز فوعدنا بذلك وعساه فاعلا

لم يبق لدينا اذن من واسطة لتقدير عدد السوريين في الولايات سوى مراجعة التقارير السنوية التي تصدرها ادارة المهاجرة في وشنطن (٤) ابتداء من سنة ١٨٩٩ وهي السنة الاولى التي اعترفت بها الادارة بالجنسية السورية:

السنة	عدد السوريين الداخلين للولايات
١٨٩٩	٣،٧٠٨
١٩٠٠	٢،٩٢٠
١٩٠١	٤،٠٦٤
١٩٠٢	٤،٩٨٢
١٩٠٣	٥،٥٥١
١٩٠٤	٣،٦٥٢
١٩٠٥	٤،٨٢٢
١٩٠٦	٥٨٢٤
١٩٠٧	٥،٨٨٠
١٩٠٨	٥،٥٢٠
١٩٠٩	٣،٦٦٨
١٩١٠	٦،٣١٧
١٩١١	٥،٤٤٤
١٩١٢	٩،٢١٠
١٩١٤	٩،٠٢٣
١٩١٥	١،٧٦٧
١٩١٦	٠،٦٧٦
١٩١٧	٠،٩٣٧
١٩١٨	٠،٢١٠
١٩١٩	٠،٢٣١
المجموع	٨٩،٩٧١

فاذا خمنا واضفنا عدد المهاجرين الذين دخلوا الولايات قبل سنة ١٨٩٩، وعدد المولودين هنا، ثم خمنا وطرحنا عدد الذين عادوا لسوريا للاقامة فيها، وعدد المتوفين، يتضح لنا ان عدد السوريين اليوم في الولايات المتحدة مع المتحدرين منهم يناهز المئتي الف

اسباب المهاجرة

ما الذي يا ترى اقتلع قوما هذا عددهم من تربة ابائهم واجدادهم، ونقلهم ايا ما واسابيع على ظهر المراكب والسفن، وغرسهم في بلاد جديدة، بين قوم يجهلون لغتهم، ولا يعرفون عاداتهم ومصطلحاتهم؟

(١) Peter Roberts, "Immigrant Races in North America". صفحة ٧٤

(٢) Literary Digest, "Syrians in the United States", عدد ٣ ايار سنة ١٩١٩

(٣) "U. S. Thirteenth Census Reports." جلد ١ صفحة ١٠٠٦ و ١٠١٥

(٤) "Annual Report Commissioner General of Immigration."

لا يترك المرء وطنا الفه، وقوما عرفهم، ومحيطا خبره وربي فيه،ويهجر الى ارض غريبة بوحشتها، ليواجه تحت نظام اجتماعي جديد مستقبلامجهولا، مالم يكن لذلك عامل موجب. قوة الاستمرار تقضي عليه بالبقاء حيث هو، ما لم تتغلب عليها قوى فعالة . المعروف ما نوس، وللمجهول رهبة ولا تغير او انتقال الا لعلة

القوى الموجبة للاغتراب هي على نوعين: بواعث نفسية داخلية وعوامل خارجية

البواعث هي شواعر وجدانيةويمكن حصرها في امرواحد وهو رغبة المرء في تحسين حالته . السوريون كغيرهم انما هجروا بلادهم بقصد تغيير الحالة التي هم عليها الى ما هو احسن منها ــ او بالاحرى الى ما هو في عرفهم احسن منها ــ ولا فرق بين ان كان التحسين المطلوب معنويا ام ماديا، حقيقيا ام موهوما

العوامل الخارجية هي اما جاذبة، او دافعة. العوامل الجاذبة مركزها في البلاد المهجور اليها. العوامل الدافعة مركزها في البلاد المهجور منها. والسوريون هجروا الى الولايات المتحدة لان في الولايات المتحدة قوى جذبتهم اليها، ومن سوريا لان في سوريا قوى دفعتهم عنها

وبكلمة مختصرة لا ينتقل الانسان من بلاده الى غيرها ما لم يتولد فيه شعور ناتج عن فواعل تطرده من بلاده واخرى تستجذبه الى غيرها

العامل الاقتصادي

ما هي العوامل التي دفعت السوريين لترك بلادهم؟

العامل الرئيسي هو اقتصادي

تبين معنا من البحث في ما تقدم ان تكوين البلاد السورية الجغرافي قضى بقسمتها الى شقق يصعب الاتصال بينها مما جعل السوق التجارية محدودة

كذلك صناعة البلاد كانت ابدا محلية قليلة الاهمية. قوام الصناعة اثنان: الفحم الحجري، والحديد. وكلاهما تقريبا معدوم في سوريا. لهذين المعدنين تاثير على المدنية الحاضرة حمل احد الباحثين على التصريح بان اساس المدنية الانكلوسكسونية الحاضرة انما هو الفحم والحديد. فلا يمكن ان تنشا صناعة رائجة في بلاد خالية منهما

على ان اهم مرافق البلاد السورية الحيوية هي ليست التجارة ولا الصناعة بل الزراعة، وعليها يعتمد اكثر السكان في تحصيل معاشهم. ولكن الطرق التي جرى عليها الفلاحون والزراعون هي الطرق الفطرية التي جرى عليها نوح واولاده بعد خروجهم من الفلك. ولم تزل على ما هي دون تحسين ولا تغيير. ارض هذا شانها تعجز عن القيام باود ما كنيها اذا اصابها محل ام قحط، ولا سيما اذا كان ازدياد السكان بواسطة الانتاج والتوليد ازديادا يذكر. ولنبحث الان في تفاصيل هذه المقدمات الاجمالية بشان العامل الاقتصادي

ترعة السويس ــ الحلقة الاولى في سلسلة الحوادث التاريخية التي نتج عنها الحركة السورية الحديثة لاميركا هو فتح ترعة السويس سنة ١٨٦٩، «حركة الستين» قبل ذلك طردت عددا من السوريين لمصر، ومنها لاميركا، ولكن نتائجها لم تكن مستمرة

نعم ان التجارة الوطنية في سوريا كانت ابدا ضعيفة ولكن التجارة الاجنبية لم تكن بالشيء الزهيد. اعتماد التجارة في ساحل سوريا كان بالاكثر على ايراد المصنوعات الغربية، وتصدير البضائع الشرقية. فتح هذه الطريق الجديدة بين اوروبا والشرق الاقصى حول تجارة العالم عن اساكل سوريا وقوافل الشام وبغداد وموانئ الخليج العجمي، الى شواطئ مصر ومدن البحر الاحمر والبلاد العربية الجنوبية، وجاء ضربة قاضية على المتاجرين السوريين

ثم انه علاوة على ذلك اوجد للحرير السوري ــ وهو اثمن حاصلات البلاد واهم اسباب التعيش فيها ــ منافسا جديدا في الحرير الياباني والصيني . والفرق بين الحريرين ان الاول اصر مربوه على انشائه على الطريقة القديمة الفطرية اما الثاني فعرف منتجوه كيف يولدونه على الطريقة الفنية العلمية

عندئذ اخذت اسعار الحرير السوري بالهبوط في اسواق ليون ومرسيليا. تقارير القناصل في السنين التالية تدل على محاولة اصحاب الحرير السوري اكتشاف سوق جديدة له في الولايات المتحدة ولكن على غير جدوى. زهد الفلاح في تربية دود القز ولما لم يجد عنها بديلا عمد الى المهاجرة.

في سنة ١٨٨٩ جاء في تقرير القنصل الاميركي بسنغر BISSINGER في بيروت ان موسم الفيالج (الشرانق) لتلك السنة بلغ ٥،٦٢٦،٦٩٧ بوندا، وفيه ٢٥ بالمائة نقص عن الموسم الاعتيادي. وفي التقرير نفسه وردت الكلمات الاتية: «وكما ذكرنا مرارا متعددة في تقاريرنا السابقة يوجد في هذه البلاد عدد من الشركات المعتبرة الموفورة المال التي ترغب رغبة شديدة في ايجاد معاملات لها مع شركات اميركية»

Arab American National Museum

الفيلوكسره . ***Phylloxera*** تاج الكرمة من عنب وزبيب وخمر هو بعد الحرير اهم محصولات البلاد . تقارير القناصل قبل سنة التسعين لا تشير الى وجود داء الرمد (الفيلوكسره) ولكن جيوشه بدأت بالزحف على العريش في تلك السنة . تجاه ذلك العدو الجديد المفاجئ وقف الفلاح الجاهل اساليب الزراعة الفنية الحديثة وقفة الاعزل المجرد عن السلاح . واذا سدت ابواب الرزق في وجهه فماذا يبقى له سوى الرحيل؟

العامل السياسي

رغبة السوري في تحسين حالته المادية هي الباعث الاهم على سفره، ولكن هنالك عوامل سياسية ودينية لا يصح الاغضاء عنها

رضوخ البلاد قرونا اربعة تحت الحكم التركي لم تكف لقتل جرثومة الحرية في نفس اهلها ، فما زالوا يتشوقون للتحرر، ويتوقون لحياة الاستقلال التي لم تنعم بها انفسهم تحت سماء بلادهم . ولا شك ان ذلك كان من العوامل التي دفعت بعضهم للمهاجرة . وما يستحق الذكر ان صورة اول عائلة سورية هاجرت للولايات — عائلة عربيلي — رسمت وفي يد ربها رقعة عليها هذه الاية: ها انا والاولاد سعدنا بالحرية (١)

ولا بد هنا من الاشارة الى كون كثيرا من المهاجرين المسلمين انما تركوا بلادهم للتخلص من الخدمة العسكرية الامر الذي يصح على المسيحيين في الولايات في سوريا بعد سنة اعلان الدستور (٢)

العامل الديني

كون معظم المهاجرين من المسيحيين رغم كون المسيحيين في البلاد هم الاقلية يدل دلالة واضحة على ان للاضطهاد الديني علاقة بالامر . ولكن الكثيرين من الكتاب يبالغون في مفعول هذا العامل وينسبون اليه معظم المهاجرة، كما ان غيرهم يبالغ في مفعول العامل السياسي . على اننا من القائلين ان طلب المال في الدرجة الاولى . لا طلب الحرية السياسة ولا الدينية، هو الباعث الاكبر على المهاجرة . نقول ذلك ولا ننكر ان البعض ممن هاجروا انما فعلوا ذلك ليتمتعوا اولا ببركات الديموقراطية او ليمارسوا فرائض دينهم دون معارض او مانع

(١) ترى رسم هذه الصورة في سلسلة المقالات التي نشرتها سنة ١٩١١ المسز هوتن Houghton في مجلة الصرفاي

(٢) قابل ما ذكره بهذا الخصوص مراسل جريدة الصن النيويوركية في حيفا بتاريخ ١٩ اذار سنة ١٩١٣

العوامل الثانوية

من العوامل الثانوية المشاركة للعوامل الرئيسية المشروحة اعلاه تاثير المهاجرين انفسهم على المتخلفين بكتاباتهم اولا وباحاديثهم ثانيا لدى اوبتهم للبلاد التي هجروا منها . فان معظمهم لم يترددوا عن عرض خدماتهم على اصدقائهم واقربائهم في الوطن القديم، وعن امدادهم بالنصائح والاسعاف يدلك على ذلك ما جاء في تقرير لجنة المهاجرة (١) من ان ٨،٧٢٥ او ٩٥ بالمائة من السوريين الذين دخلوا الولايات المتحدة في السنة التي انتهت في حزيران سنة ١٩٠٩ صرحوا بانهم جاءوا للاجتماع بانساء او اصدقاء

والمهاجرون العائدون لبلادهم بالغوا بالثناء على القوم الاميركي واطنبوا في وصف حسن معاملتهم ومقدار ثروتهم، وبذلك حببوا للباقين النزوح، بخلاف المهاجرين الروسيين الذين في السنين الاخيرة عادوا الى بلادهم وكلهم السنة للذم والتقريع . وفي النبذات التي تناقلتها الجرائد في العام الفائت من تقرير اللجنة التي ارسلها ولسن برئاسة الدكتور (***King***) للاطلاع على ارادة ابناء سوريا بشان تقرير مستقبلهم السياسي اشارة الى التاثير المرضي الذي اثره السوريون الاميركان على السوريين السوريين بشان محاسن التمدن الاميركي

وهاك تصريح الرحباني (٢) فيما يتعلق بتاثير المهاجرين في نفسه : «لما كنت في المدرسة سمعت مطولا عن اميركا وطالعت عن احوالها الجغرافية ووقائعها التاريخية .. ولكن القصص التي سمعتها من افواه المهاجرين العائدين بخصوص ثروة البلاد وسهولة جمعها هي التي نبهت افكاري ووجهتها في ذاك السبيل»

ولقد كان لرسائل المهاجرين اشد وقع في نفوس ذويهم . ورود تحرير من اميركا كان عبارة عن حادث تاريخي كاف لجمع ابناء القرية باسرها لاستطلاع الاخبار بشان توفيق المهاجر، والتفكه بمقادير الثروات الخرافية في الولايات المتحدة ، حتى انه كان يخيل للقوم ان

(١) "Reports of the Immigration Commission." Senate Documents. جلد ١٢ صفحة ٥٩

(٢) Abraham M. Rihbany, "A Far Journey", صفحة ١٤٣

الذهب مكردس في اسواق نيويورك، وما على الراغب سوى ان يفتح يديه ويقحفه

ثم ان اصرار السوريين الاولين على بعث ما يتوفر لديهم من المال لبلادهم القديمة لشراء الاراضي او تشييد البنايات المسقوفة بالقرميد جاء بمثابة خير اعلان لترغيب في السفر. ومما ذكره احد المراسلين الذين رافقوا لجنة المهاجرة الاميركية التي زارت سوريا عام ١٩٠٧ ان السائح يشاهد في عرض سيره بين بيروت ودمشق من البيوت المشادة باموال اميركا خمسة اضعاف ما يشاهد في المساحة نفسها في جنوبي ايطاليا

المسلفون وعملاء البواخر — في كل بلاد يكثر منها المهاجرون تنشأ فئة من المتمولين دابها تسليف النقود برهن او بفائدة لمن يظهر ميلا للسفر. لهولاء تأثير بين في تسهيل اسباب المهاجرة لكثيرين ممن لا يتسنى لهم السفر لولاهم ومن الواضح ايضا ان لشركات البواخر صالحا في تشجيع المهاجرة وتنشيطها فهي ترصد لهذه الغاية عمالا يبيعون جوازاتها ويرغبون الناس في الاقبال عليها. ولا نزال نذكر عددا من «مهربي السواح» الذين كنا نراهم يطوفون لبنان «ويمشطون» قراه ليرشحوا من شبانه من قدروا على الترشيح لركوب البحار

برغم هذه الوسائل الصناعية لتكثير المهاجرين لا يغرب عن بالنا انه قل من السوريين في اميركا من عمد الى الذرائع التي عمد اليها الطليان اولا لجلب الفعلة للسكك الحديدية، واليونان بعدهم لصبغ الاحذية وبيع الزهور، كان يقدم بعضهم الناولون لطالب السفر ثم يستخدمه كرقيق مدة اقامته في اميركا يطعمه ويكسوه ولا يعطيه معاشا مما يعرف «بالنظام البادروني» ***Padrone System***

المبشرون — المعلمون والمبشرون الاميركان قط لم يحببوا السوريين عمدا بالسفر، بل اتخذوا سياسة تثبيط عزائم من اظهر ميلا اليه واقناعه بالتربص حيث هو. انما الواقع الذي لا مناص منه ان تلقينهم للناشئة اللغة الانكليزية والاداب الانكليزية وتعليم جغرافية البلاد الاميركية وتاريخها كان من نتائجه — عن غير قصد — توجيه الافكار نحو الولايات المتحدة، وتوليد الرغبة في استكشاف اسرارها. خذ مثلا ما قاله سوري معتبر في عرض مقابلة مع محرر مجلة «الاندبندنت» (١) مما يصح ان يكون لسان حال الكثيرين غيره: «وكان عند معلمي (في المدرسة الاميركية، في لبنان) صور جمة تمثل مدن اميركا واسواقها ومناظرها. وللحال تبين لي ان الحياة هناك على غير ما هي هنا، وان في الدنيا شيئا افضل من صيرورة الانسان راهبا»

السياح — ولا يجب اخيرا ان نغفل في تشريح عوامل المهاجرة عن ذكر السياح الذين كانوا ولم يزالوا يؤمون البلاد المقدسة بالمئات والالوف في كل عام. وظاهر الغنى واللطف والسخاء التي ظهرها معظم السياح الاميركان اثرت ولا بد تاثيرا شديدا في نفوس الوطنيين، وجعلت ذوي الغيرة منهم يتوقون لاختيار تلك الحياة العليا وراء البحار، والتمتع ببعض نعمها، والذوق من حلاوة طعمها. وقصة «انطونيوس الشعلاني اول مهاجر سوري الى العالم الجديد» التي نشرناها السنة الفائتة لما كانت وقعت لولا احتكاك ذلك الفتى اللساني النجيب ببعض الاميركان السائحين

العوامل الطفيفة المباشرة مع اعتبار كلما قدمناه بشان تحليل العوامل الرئيسية والثانوية التي حملت قومنا على المهاجرة فانك ان دققت في تاريخ من تعرفهم من الافراد المهاجرين تجد هنالك زيادة عن ذلك مسببات شخصية وقتية كان «تزاعل» الواحد مع ابنه، او «يحرد» من امه او اخيه، او «يحمق» من مستخدمه، او يفقد رضى خطيبته او يتنازع مع جاره، او يحترق بيدره، او يموت بغله ام فدانه، الى اخر ما هنالك من الحوادث البسيطة التي لا تكفي بحد ذاتها لحمله على المهاجرة ولكنها تجيء بمثابة القشة التي تكسر ظهر الجمل، او النقطة التي تجعل الكيل يطفح

واليك الان جدولا يتضمن تعليل المهاجرة على مافصلناه اعلاه:

العلل
- العوامل الدافعة
  - رئيسية
    - اقتصادية
    - سياسية
    - دينية
  - ثانوية
    - رسائل المهاجرين وعودتهم
    - المسلفون وعملاء المراكب
    - المبشرون
    - السياح
  - افرادية طفيفة
- العوامل الجاذبة: مراكزها في البلاد المهاجر اليها
- بواعث نفسية: طلب تغيير الحال الى ما هو احسن

(١) Independent. عدد ٣٠ نيسان سنة ١٩٠٣

Arab American National Museum

مميزات الحركة

حلقة في سلسلة — لا يصعب علينا الان استنتاج بعض مميزات المهاجرة السورية الحديثة الى الولايات المتحدة. واولها انها ليست حركة مستقلة كاملة بنفسها، بل هي حلقة في سلسلة، او فصل من تاريخ يبتدئ في الاعصر السابقة للمسيح ويمتد في كل القرون والاجيال الى وقتنا الحاضر بخلاف حركة الارمن مثلا او الطليان او الالمان او الروس فانها كلها حركات قائمة بنفسها ولا علاقة لها صريحة مع الماضي القريب والبعيد. وبعبارة اخرى السوري الحديث ورث عن اسلافه الميل للتنقل والتحول، وما سيره الى امريكا سوى مرحلة من مراحله في اربعة اقطار المعمور، اما البولندي مثلا ففي الماضي لازم بالاجمال بلاده، ولم يقدم على السفر بالعدد الكبير الا في عصرنا الحاضر

اكثر من اقتصادية — والميزة الثانية ان الحركة مع انها بالاكثر اقتصادية فهي ليست بكليتها كذلك، بل لها صبغة دينية، واخرى سياسية، بخلاف معظم الحركات الاوربية الى امريكا فانها اقتصادية بحتة. فالالمان مثلا والطليان ويونانيو بلاد اليونان لم يقبلوا الى العالم الجديد تخلصا من جور او اضطهاد، بل تجنبا للفاقة والعوز، ليس الا. وبين الحركة السورية والحركة اليهودية من هذا القبيل تجانس صريح.

حركة عائلية — ومن مميزاتها انها مع كونها ابتدات كحركة افرادية مقتصرة على الذكور فانها ما لبثت ان اصبحت حركة عائلة اشترك فيها النساء والرجال، الكبار والصغار

المهاجرون الاولون لم يكن لهم من هم سوى جمع المال وتوفيره والرجوع به الى الوطن القديم للتمتع به بالراحة والطمانينة. ولكنهم ما لبثوا ان انغمسوا في مشاغل هذه المدنية الخلابة حتى ايقنوا انهم اصبحوا منها وفيها ولا طاقة لهم على التملص من شباكها. ثم جاء اكتشاف قيمة المراة الاقتصادية فاخذت النساء ترد لهذه الديار، وبذلك انقطع خط الرجعة على الكثيرين من الرجال. الاشغال التي باشرها السوريون، واهمها مبيع الملبوسات والمفروشات والمجوهرات من طبيعتها انها تناسب النساء اكثر من الرجال، اذ ان المراة يسهل عليها طرق الابواب، والدخول الى بيوت العائلات واحكام الصداقة مع ربات المنازل، مما لا يهون على الرجل بصفته رجلا القيام به

من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩١٠ دخل الولايات المتحدة من السوريين ٥٦٩٠٩ منهم ٣٨٦٣٥ ذكورا و١٨،٢٧٤ اناثا. فيكون الذكور ٦٧،٩ بالمئة والاناث ٣٢،١ بالمئة. في المدة نفسها كان معدل الاناث من المهاجرين الارمن ٢٣،٥ بالمئة، ومن البلغاريين والسرب ٤،٣ بالمئة، ومن اليونان ٤،٩ بالمئة، ومن الاسبان ١٧،٢ ومن مجموع المهاجرين من العالم كله الى الولايات المتحدة ٣٠،٥ بالمئة (١). ومن هنا يتضح ان الحركة السورية هي بالاكثر حركة عائلية تتجنبا التوطن المستديم في امريكا لا الاقامة الموقتة. واذا اعتبرنا ان الالفي درزي في الولايات المتحدة لم ياتوا باكثر من دزينة من الحريم، وان الثمانية الاف محمدي كلهم تقريبا ذكور، تبين لنا ان معدل الاناث بين المسيحيين المهاجرين هو اكثر مما ظاهر الاحصاء يدل عليه. وقد ذكر لي منذ حين قريب صديق قادم من بارا على باخرة يونانية ان معظم الركاب معه كانوا بنات يونانيات اتيات، عن يد عميل، ليتزوجن بفتيان من اليونان المقيمين في الولايات والذين لم يرين منهم سوى صورهم الفوتوغرافية — حادث كهذا يستحيل وقوعه بين اعضاء الجالية السورية

وهنالك ايضا خصائص اخرى منها ان المهاجرين بالاكثر يعكفون على التجارة ويفضلون الاختلاط مع الوطنيين على الاقامة مجموعين في مستعمرات لهم مما يدخل تحت بحث اخر ولا ينطوي في موضوع هذا المقال

(١) "Reports of Immigration Commission". جلد واحد صفحة ٩٧

★ تمهيد ★

لتاريخ التجارة السورية في المهاجر الامريكية

لو ان للسوريين علما تجاريا لصح القول بانه اصبح الان خافقا في جميع اقطار العالم الماهولة وبان دولة السوريين التجارية اصبحت لا تغرب عنها الشمس . فالسوريون على ما اجتهدنا ان نبين على صفحات المجلة التجارية السورية الاميركية منذ انشاناها في سنة ١٩١٨ قد برهنوا باقدامهم التجاري في هذا العصر على كونهم جديرين بان يرثوا مجد اجدادهم الفينيقيين الذين خلدوا لنفوسهم ذكرا طيبا واثرا محمودا بما كان من اقدامهم الموصوف في الاعصر الغابرة . ولكننا راينا ان فينيقيي هذا العصر وان يكونوا قد ادركوا شيئا من مجد اسلافهم الاقدمين لا يمكنهم احراز النجاح الكامل بالنظر الى اختلاف الاحوال والظروف الا عن طريق قواعد ومبادئ الاشغال الحديثة القائمة بالتعاون والتنظيم ولذلك ما تعالت دعوتنا بضرورة التعارف والتفاهم والتعاون بين التجار السوريين المنبثين في كل انحاء الارض حتى يحيوا مجد اسلافهم ويضيفوا الى ماثرهم ماثر جديدة تجلب لهم فوق الفائدة المادية الفخر القومي وعزة المنزلة الوطنية

ان انشاءنا «المجلة التجارية السورية الاميركية» كان ولا يزال للغرض المذكور في شعارها وهو «خدمة التجارة السورية في المهاجر الاميركية وتنشيط العلائق التجارية بين اميركا وبين البلاد العربية» . وقد سعينا وما زلنا نسعى باجتهاد واخلاص لتحقيق هذا الغرض كل مدة صدور المجلة . وسنواصل السعي لخدمة هذا الغرض بعزم يتجدد مع تقادم العهد وتعاظم الاختبار . وهذا هو الدافع الذي يدفعنا الان الى وضع هذا التاريخ عن التجارة السورية في المهاجر الاميركية

اننا في وقفنا مساعينا على خدمة ابناء قومنا ولغتنا ننظر في الدرجة الاولى والاهم الى جعل هذه الخدمة مفيدة لهم في ترويج مصالحهم الحيوية وتنشيط مرافقهم العملية التي عليها اعتمادهم في تحصيل ارزاقهم . وقد راينا انهم في ديار الهجرة كادوا يحصرون كل اهتمامهم بالتجارة في حين ان التجارة ايضا هي المنتظر ان يكون عليها المعول في سرعة اعادة روح الحياة والنشاط الى الوطن القديم . فراينا ان الواجب يدعونا الى معالجة الخدمة العمومية من هذا الوجه

وقد شاءت الاقدار ان تعقد على مساعينا الوية النجاح . تقول الاقدار لان انشاءنا المجلة كان في انسب وايمن الاوقات القاضية بظهورها . فالاهمية الذاتية التي ادركتها التجارة السورية في هذه الايام من جهة ثم اختلاج العالم بروح جديدة من النشاط للتعويض عما سببت الحرب العامة من الخسائر الفادحة من جهة اخرى اوجبا وجود صلة بين الفئات التجارية السورية المشتتة لتبادل المنافع العظيمة الممكن تحقيقها من المركز الفريد الذي اصبح ابناء قومنا يشغلونه في نظام العالم التجاري في هذه الايام . فكانت المجلة التجارية هذه الصلة المنشودة وكان من مقدار الاقبال عليها وارتياح الناس اليها دليل على الاستعداد لقبولها وعلى الشعور بضرورة وجودها . وزاد في دواعي الاقبال عليها انها جاءت الوحيدة من نوعها في اللغة العربية ليس في المهاجر الاميركية فقط بل في العالم العربي على الاطلاق فضلا عن صدورها في البلد والبلاد اللذين اصبحا قطب دائرة الحركة المالية والتجارية في العالم مدة الحرب وربما لن تزول عنهما هذه الصفة بعد الحرب ايضا

ولكن الخدمة التي حتمنا على نفسنا القيام بها بالغة من الجسامة والاهمية والاتساع مبلغا لا يتسنى لنا معه الاخذ بها من جميع جهاتها دفعة واحدة . صحيح اننا الممنا نظرا بجسامة هذه الخدمة عند اول تدبرنا فكرة انشاء المجلة فاوضحنا الكثير مما ارشدنا الواجب الى ضرورة القيام به وعللنا النفس بالمقدرة على اتمامه . غير اننا لم نغتر قط بامكان العمل بجميع مناحي هذه الخدمة جملة

من ذلك اننا اعلنا منذ اول انشائنا المجلة عزمنا على وضع تاريخ التجارة السورية في المهاجر الاميركية لاننا راينا في وضع مثل هذا التاريخ خدمة من اجل وانفع الخدم

Arab American National Museum

التي يمكن لنا ام لسوانا القيام بها نحو التجارة السورية. غير اننا تريثنا الى هذا الوقت قبل مباشرة نشره حتى تكون الفائدة منه اعم والخدمة اتم بعد ان احرزت المجلة انتشارا بين ايدي التجار السوريين وسواهم من قراء اللغة العربية في المهاجر وفي الاوطان يجعلها بحق ان تكون صلة التعارف المعول عليها بين فئاتنا التجارية

وليس من يتامل في حالتنا الحاضرة ولا يرى الفائدة بل الضرورة الكلية من نشر مثل هذا التاريخ . وقد بدت لنا اهمية هذا المشروع عندما خطرت لنا فكرة انشاء المجلة فاذعنا في اول عدد ظهر منها عزمنا على وضعه ولا نرانا قادرين على ان نزيد الان على ما نشرناه اذ ذاك في بيان السبب والغاية من نشر التاريخ فننقله الان كالبيان الاصلي الوافي عن الغرض من نشرنا تاريخ التجارة السورية في المهاجر الاميركية وهو كما يلي بحرفه

الاذاعة الاصلية

بشان تاريخ التجارة السورية في المهاجر الاميركية

«كما كان الفينيقيون لا يبالون باقتحام الاخطار»
«في ركوب البحار سعيا وراء الثروة عن طريق»
«التجارة فانشاوا لهم دولة عظيمة متسعة الحدود»
«وادركوا نفوذا خطيرا هابتهم من اجله الدول وذلك»
«بقوة العقل والدهاء وليس بقوة السلاح، هكذا»
«نرى السوريين احفاد الفينيقيين منبثين اليوم في»
«كل اقطار العالم دائبين في طرق اجدادهم»
«للارتزاق وتحصيل الثروة بواسطة التجارة ايضا»
فانشاوا لنفوسهم دولة تجارية مترامية الاطراف»
«كبيرة القوة وكان ليتسنى لهم ادراك نفوذ عظيم»
«في ميدان التجارة العالمي الواسع لو انهم يقدرون»
«على جمع قوتهم واحسان استخدامها . ومن يدري»
«ان الاقدار لم تكتب لهم حظا مثل حظ اسلافهم»
«الاقدمين قد يكون منوطا بالمستقبل القريب»
«تحقيقه»

«فالذي يمعن النظر في حالة السوري الحاضرة»
«من كونه ذا اثر في كل وادٍ موجودا في اي مكان»
«طلبته من اقطار الارض الواسعة عاملا مجتهدا»
«يزاحم ارباب الخبرة ورؤوس الاموال وذوي»
«العلم الكامل بطرق الكسب ويحرز بينهم مقاما»
«غير مستهان به ويصبح من اقوى العناصر العاملة»
«على ترويج التجارة في حالة السوري هذه ما يبعث»
«على الاعجاب بالهمة الماضية والعزم الصحيح اللذين»
«اوصلاه الى هذه المنزلة»

«والاعجب من ذلك ان تقدم السوري المهاجر»
«في معارج الفلاح كان سريعا واكيدا. فبداية»
«المهاجرة السورية قريبة العهد ترجع الى بضعة عقود»
«من السنين . ولكن المركز الذي احرزه السوري»
«لم يكن من نتائج الصدف او مما تكون له زهوة»
«وتزول. بل نحن بالعكس نرى مقام السوري»
«في التجارة عزيزا ثابتا ويحسب له حساب في»
«معظم الاعمال التي انصرف الى مزاولتها

«صحيح ان سواد المهاجرين كانوا من غير»
«الطبقة المدعوة راقية في الاصل . وجميعهم»
«كانوا مرتزقين طلاب كسب . فدعا ذلك فئة»
«من المدعين على غير فهم من اخواننا المتخلفين»
«الى تحقرهم. الا ان الحقيقة التي لا تنكر هي»
«ان المهاجرين جميعا كانوا من الطبقة العصامية»
«النفس الطموحة الى التحرر من ربقة الاستعباد»
«الادبي والمادي فكانوا من العنصر السوري الطبقة»
«المجتهدة المعتقدة بفضيلة العمل والسعي الشخصي»

«واذا كان في الثراء فضيلة فقد احرز المهاجرون»
«السوريون اوفر نصيب منها . اما كيف تم لهم»
«ذلك وما كانت بداية اعمالهم وما طراء عليها من»
«التطور وتخللها من الاجتهاد والكد ورافقها من»
«الحذق والدهاء حتى اصبحت على ما هي عليه»
«من عزة المكان والاهمية الدالة على اكتمال المقدرة»
«فمن اعجب واغرب الصفحات التي تخط في»
«تاريخ المهاجرة السورية. فتامل في اناس قد يكونون»
«استعانوا باثنياء لهم منذ عشر او عشرين سنة»
«فقط ام رهنوا ارزاقهم للحصول على ثمن جواز السفر»
«فما عتموا ان اصبحوا الان في مصاف كبار المثرين»
«مع انهم فضلا عن خلو يدهم من راس المال المادي»
«عدموا ايضا قسما وافرا من راس المال الادبي»
«من حيث جهلهم لغة البلاد القادمين اليها وعدم»
«احرازهم اقل اختبار في الاشغال التي اقدموا على»
«مزاولتها»

«فلاجل بيان حقيقةاهمية التجارة السورية في»
«المهاجر وما نشات منه ووصلت اليه ستشرع »
«((المجلة التجارية))في تدوين تاريخ التجارةالسورية»
«ونشره تباعا على صفحاتها وسرد سيرة تاسيس»
«ونشوء البيوت التجارية الافرادية التي يستدل من»
«اهميتها على اهمية التجارة السورية عموما »
«وسوف لا ينحصر همنا في تدوين تاريخ التجارة»
«السورية في نيويرك على الرغم من ان فيها اكبر»
«البيوت في اميركا الشمالية بل يتعداه الى داخلية»
«الولايات المتحدة حيث نشات من اجتهاد وحذق»
«اخوان لنا متاجر عظيمة وقامت محال زاهيةيحق»
«الاستشهاد بها للاعتبار والافتخار · ثم الى سائر »
«المهاجر في اميركا الشمالية والوسطى والجنوبية»
«وفي اوروبا وافريقيا والشرق الاقصى وحيثما»
«القت همة السوري به في مضارب الارض القاصية»
«ولنا الامل انه بتعريف الفئات السورية المشتتة»
«بعضهم الى بعض وايقافهم على مالهم من الاهمية»
«التجارية في اي مكان حلوا فيه توجد بينهم تلك»
«الثقة التي توءدي الى التعاون في الاعمال فيعتمد»
«السوري اخاه السوري في قضاء حاجاته التجارية في اي»
«بلاد غير التي يكون فيها وليست بلاد في اقطار»
«الكون الواسعة ليس فيها سوريون ذوو اقتدار»
«واختبار يصح الوثوق بهم والاعتماد عليهم»
«وعسانا بهذه الخدمة معجلين في قيام دولة»
«السوريين التجارية التي تشمل بسطة واتساع»
«نفوذها المعمور فيستعيد احفادالفينيقيين مجد وعزة»
«ومقام اسلافهم ويكونون هم الرابحين»· اه ·

تلك هي الغاية من نشرنا هذا التاريخ على ما تراءت لنا اهميتها منذ اقدامنا على اصدار المجلة وهي على ما يرى كل من له نظر في طرائق الخدمة النافعة من اجل وافيد الغايات التي نوءكد لابناء الوطن استعدادنا لافراغ الجهد في محاولتنا احسان القيام بها وذلك بملء التجرد في مراعاة المصلحة العامة

ولا بد في هذا التمهيد من الاشارة الى الطريقة التي نحن متوخونها في كتابةهذاالتاريخ سواء ما كان من قلمنا او من اقلام الكتاب والادباء الذين اعتمدناهم في كتابة تواريخ المهاجر المختلفة التي يقيمون فيها

فاول كل شيء نحن متوخون في وصف نشوء وارتقاء التجارة السورية في المهاجر الاميركية الحقيقة المجردة الكاملة · فسيرد عند كتابة تاريخ كل مهجر من مهاجر السوريين المختلفة وصف صحيح لما كانت عليه حالة السوريين الاولى في ذلك المهجر ثم وصف ما طرا على تلك الحالة من التقلب والتطور حتى بلغت درجتها الحاضرة·

وسنراعي نفس هذه القاعدة في كتابة تواريخ المحال الافرادية اذ لا حياء في المجاهرة بالحقيقة المعروفة لدى العموم وهي اننا جئنا هذه البلاد لتحصيل الرزق وابتغاء الكسب وكلنا معدمون وليس في العدم عار بل هناك كل الشرف والفضل في كوننا بعد ان كنا معدمين اصبحنا من كبار الموسرين وبعد ان كنا نبيع ونشتري في البداية باتباع ابسط الطرائق الفطرية اصبحنا الان نسير اشغالنا على افضل الطرائق الحديثة والتنظيمات الراقية وبعد ان كنا محدودي دائرة الفكر والعمل اصبحنا الان نزاحم بعد النظر في السياسة التجارية وباتساع المصالح وامتداد العلائق اكبر المصالح التي هي من نوع اشغالنا في اي البلاد التي حللناها · وفي ذلك كله دليل على العصامية والذكاء والاجتهاد والمقدرة وليس لعمر الحق خير من هذا راس مال عند التفاخر بالاهلية التجارية

ثم اننا لا نرى بدا في هذا المقام من التصريح بكوننا نكتب هذاالتاريخ ليس لغرض الانتقادوالارشاد وا لتعليل والتفضيل بل بقصد بيان اهمة واتساع وارتقاء التجارة السورية في المهاجر الاميركية في حالتها الحاضرة · فقد بلغت تجارتنا في المهاجر في السنين الاخيرة مبلغا من الارتقاء يبعث على اعظم الاعجاب· ونحن على اعتقاد بكون تجارتنا في حالتها الحاضرة هي في عصرها الذهبي لان معظم الموءسسات التجارية والصناعية بيننا لا تزال بادارة موءسسيها الذين ولدوا عبر البحار وهي لاجل ذلك يحق ان تدعى سورية بحتة· اما بعد حين فلا بد ان تنتقل الادارة الى ايدي ابناء الموءسسين الذين ولدوا في المهاجر وقد لا يتمسكون بالانتساب الى اصلهم السوري فتتخذ اشغالهم صبغة اخرى وتفقد ميزتها السورية باندغامها في جسم اشغال البلاد· ونحن بوضعنا هذا التاريخ في الوقت الحاضر معما هي عليه الاشغال من الارتقاء والازدهار نريد ان نجعله مجلى لاهمية التجارة السورية في عصرها هذا الذهبي

ومما لا نجد مندوحة من الاشارة اليه كوننا غيرمدعين

Arab American National Museum

التوفق الى جمع تواريخ البيوت التجارية السورية الناجحة على الاطلاق وبدون استثناء بين جلدي هذا التاريخ . فان في كل محل سوري في المهاجر دليلا على النجاح — بتفاوت في الاهمية على كل حال — لان كل تجارة سورية صغيرة كانت ام كبيرة نشأت من لا شيء ويكفي ذلك شاهدا على همة واجتهاد وفضل كل تاجر سوري في المهاجر. غير ان من المشاريع التجارية السورية من امتازت بنجاحها وادركت من رفعة المنزلة والاهمية الذاتية ما يدعو الى الاعجاب والافتخار. وهذه هي المتاجر التي سوف نعمد الى الاستشهاد بنجاحها على نجاح التجارة السورية عموما. ولما كان من تجار كل صنف وعلى الاخص في الحواضر المهمة مثل نيويورك ومونتريال ومكسكو العاصمة وبارنكيلا كولمبيا وسان باولو وريو دي جانيرو البرازيل وبوينس ايرس الارجنتين وسواها مما يطول تعداده عدد كبير فاننا نكتفي بالاستشهاد بنجاح البعض على نجاح الكل او نرسم بالجزء صورة المجموع. ولكن ما يقدر المطالعون ان يثقوا منه هو اننا لا ناخذ امثلة للاستشهاد الا وجوه المحال وابينها نجاحا وارفعها منزلة . او اننا بكلمة اخرى قد لا نجمع في هذا التاريخ العام تواريخ جميع المحال الافرادية الناجحة غير ان تلك التي ننشر تواريخها يمكن التاكد بدون اقل ريبة او شك انها ممتازة بنجاحها ومن الطبقة الاولى بالمقدرة المالية والاهمية التجارية والمنزلة الادبية

وقد يهم القراء الوقوف على الطريقة التي نجري عليها في كتابة تاريخ التجارة العام وتواريخ المحال الافرادية . فما لا نرى بدا من التصريح به والحالة هذه هو اننا غير مستغنين عن اخذ بعض المعلومات من مؤسسي كل محل مما قد لا يتسنى الوقوف عليها من مصدر اخر. غير اننا نستقي هذه المعلومات كما يتنسم مكاتبو الجرائد الاخبار مع حفظ الحق والحرية لنفوسهم في الكتابة على الطريقة التي يرتاونها ونحن نذكر هذا لانصاف الذين نكتب عنهم من نسبة كتابتنا اليهم ثم لكي نؤكد تكرارا لمطالعي هذا التاريخ بشرفنا الصحافي كوننا منزهين عن كل غرض في كتابته ومراعين الحقيقة المجردة الكاملة في تدوينه

ولا بد من الاشارة في هذا المجال الى كون منشيء هذه المجلة هو من قدماء المهاجرين وقد مضى على هجرته زهاء الثلاثين سنة وشاهد التجارة السورية في نيويورك في بداية تاسيسها وراقب تطورها ونموها خلال هذه المدة كلها لذلك هو يدون معظم الحوادث استنادا الى معلوماته الخصوصية سواء في الاحوال العمومية او الخصوصية. ثم ان له الثقة التامة بان الادباء الذين اعتمدهم في كتابة تاريخ التجارة السورية في المهاجر الاخرى يجرون على نفس خطة التجرد ومراعاة الحقائق كل في كتابة تاريخ مهجره

واخيرا نرانا مضطرين الى مكاشفة القراء امرا نحب ان يحملوه على محمله الصحيح وهو المقصود منه الاعتذار عن قصور وليس تبرير او ستر ذلك القصور. ذلك اننا على الرغم من كوننا افتكرنا بوضع تاريخ التجارة السورية في المهاجر الاميركية منذ انشائنا هذه المجلة لم نباشر اعداد المواد الا منذ مدة قريبة . ونحن الان كاتبونه تتابعا كما نعد مواد المجلة دون ان ينفسح المجال للمراجعة والتنقيح والتصحيح. اما الفكرة الاولى فقد اكتفينا منها بتخطيط الطريقة الاجمالية لترتيب مواد التاريخ والقينا اتكالنا على مراسلينا الادباء في المهاجر المختلفة ان يوافونا كل بتاريخ مهجره على النمط الذي جرينا عليه في اعداد تاريخ الولايات المتحدة ومن ذلك تجتمع اجزاء التاريخ العام

فعسانا موفقين الى حسن القيام بهذه الخدمة الجليلة وعسى ان ابناء الوطن واجدون فيها الفائدة التي نرجوها فتقف كل نزالة على اهمية ومنزلة النزالات الاخرى ويدرك اخواننا المقيمون في الوطن وسائر ابناء اللغة العربية حيث تقرا المجلة التجارية مبلغ ارتقاء وعظم اهمية اخوانهم المهاجرين وحسبنا ان نكون قد بذلنا الجهد في تحقيق الغاية التي من اجلها انشانا هذه المجلة والتي وجدنا من افعل وسائل تحقيقها وضع هذا التاريخ

التجارة السورية

في

الولايات المتحدة

Arab American
National Museum

وصف عام

اول ما كانت المهاجرة السورية الى الولايات المتحـدة والمركز التجاري السوري الاول في نيويرك ــ تعليـل نشأة التجارة السورية وتطورها ــ وصف الطرائق الفطرية التي جرت عليها التجارة في دورها الاول وما اصبحت عليه الان من الارتقاء المدهش

منذ نحو اربعين سنة بدا يفد الى الولايات المتحدة بين جماعات المهاجرين قوم غرباء لم يكن لموظفي ادارة المهاجرة او حراس ابواب هذه البلاد سابق عهد بهم او معرفة باصلهم وفصلهم ولغتهم وعاداتهم . كانوا يفدون افرادا وازواجا في البداية ثم زرافات وجماعات وكانوا ياتون رجالا لا تصحبهم عيال ولا يحسنون حرفة او مهنة وليس لهم في البلاد احد يقصدونه ويتعهد بارشادهم وتدريبهم في طرائق تحصيل الرزق. وكانوا فوق ذلك يجهلون لغة البلاد وعادات سكانها ووسائل التعيش والارتزاق فيها. انما كانوا جميعا اصحاء الاجسام اشداء العزائم اذكياء وعلى الجملة من الجماعة المرغوب في وجودهم في هذه البلاد في وقت حاجتها الشديدة الى الايدي العاملة . فتوفر هذه الشروط كان شافعا باجازة دخولهم فضلا عن ان المهاجرة في ذلك الوقت لم تكن قد بلغت الحدود الواسعة التي وصلت اليها في السنين الاخيرة مما اوجب سن انظمة وشرائع تقف دون قبول اي قادم على غير تدقيق في الفحص

هولاء القادمون كانوا طلائع المهاجرة السورية الى الديار الامريكية التي قدر لها ان تزداد ازديادا عظيما على توالي السنين حتى لقد كان عدد المهاجرين في السنة الواحدة من البضع سنين الاخيرة يبلغ الالوف

ولا نزاع في كون اول بلاد في العالم الجديد اسمها السوري هي الولايات المتحدة . فوجود معاهـد التعليم الانكليزية والامريكية في سوريا والشرق من جهة وكثرة قدوم السياح الى مصر ــ الى حيث كان قد نزح بعض السوريين ــ او الى سوريا المعروفة عند الغربيين بالارض المقدسة من جهة اخرى عملا معا على نشر شيء من المعلومات عن البلاد العجيبة المعروفة بالعالم الجديد والتي اشتهرت بسهولة وسرعة تحصيل الغنى فيها. فاندفع افراد الى المهاجرة الى هذه البلاد لاستكشاف احوالها فوجدوا المكاسب فيها هينة التحصيل والفرص دانية المنال فكان يعود الواحد منهم الى وطنه واهله بعد غياب سنة ام سنتين وقد جمع ثروة غير يسيرة فتدفع الغيرة ابناء بلده وجيرانه ومعارفه الى المهاجرة طمعا بتحصيل الثروة في سنين معدودة مثله. وقد كان لتكاثر عدد المهاجرين اعظم تاثير على مجرى حركة التجارة السورية في هذه البلاد وتكيفها وتطورها على ما سيجيء تفصيله

المهاجر السوري جاء تاجرا

لم ينصرف السوري الى التجارة بعد وصوله الى ديار المهجر بل جاء تاجرا منذ البدء ولا يزال بسواده منصرفا الى التجارة حتى هذا الوقت وقد قيض له بفضل كده واجتهاده وحذقه ان يدرك في عالم التجارة منزلة رفيعة. اما انصرافه الى الصناعة بفروعها فقد قضت به عوامل منبعثة عن كثرة عدد المهاجرين وتنوع طبقاتهم ومواطنهم فقد كان ابناء لبنان المهاجرين الاولين وهم لا يحسنون صناعة ام حرفة فزاولوا التجارة كاسهل الامور واقرب الموارد للكسب. اما حين اخذ يهاجر ابناء المدن والسهول مع ما هم عليه من الالمام بالصنائع ومع عدم طاقتهم على احتمال مشاق التجول لبيع السلع ــ وهو اول ادوار التجارة السورية في المهاجر الامريكية ــ فقد انصرفوا الى الاشتغـال بالصناعة لسهولتها عليهم ووجودهم فيها موردا اقرب واضمن للكسب. وكان كل ذلك خيرا للمتاجر والاشغال السورية في مقبل الحين

اما كيف جاء السوري ديار المهجر تاجرا فترجع اسبابه الى العوامل الاولى التي دفعته الى المهاجرة . وقد سبقت

الاشارة الى كون معاهد التعليم الانكليزية والامريكية في سوريا نشرت بين القوم المعلومات عن بلاد العالم الجديد الحافلة بفرص الغنى وولدت فيهم الشوق الى زيارتها لاغتنام هذه الفرص . غير ان السياح الامريكيين الذين كانوا يفدون كل سنة لزيارة الاراضي المقدسة ولمشاهدة الاثار التاريخية في سوريا هم الذين افهموا القوم بطريقة الاستدلال والاستنتاج عن الصفة التي يخلق بهم اتخاذها عند مهاجرتهم الى العالم الجديد . فقد كان السوريون يرون في هولاء السياح احتراما عظيما لكل ما كانت له علاقة بالارض التي ولد وعاش فيها السيد المسيح . فاذا دخلوا المعبد صلوا متخشعين واذا زاروا الجلجلة حسوا عن رؤوسهم وخفتوا من اصواتهم واحتشموا في سلوكهم رهبة واحتراما للموقف . واذا عرضت عليهم قطعة من خشب الزيتون ووصفت لهم بانها من اشجار البستان الذي صلى فيه المسيح احلوها ارفع محل من الاحترام وابدوا في شانها اعظم قدر من الاعجاب واعتبروها اثرا من اجل واثمن الاثار . ثم انهم كانوا يبذلون عن كرم في مشترى هذه التحف ليحملوها كتذكارات عن زيارتهم الارض المقدسة

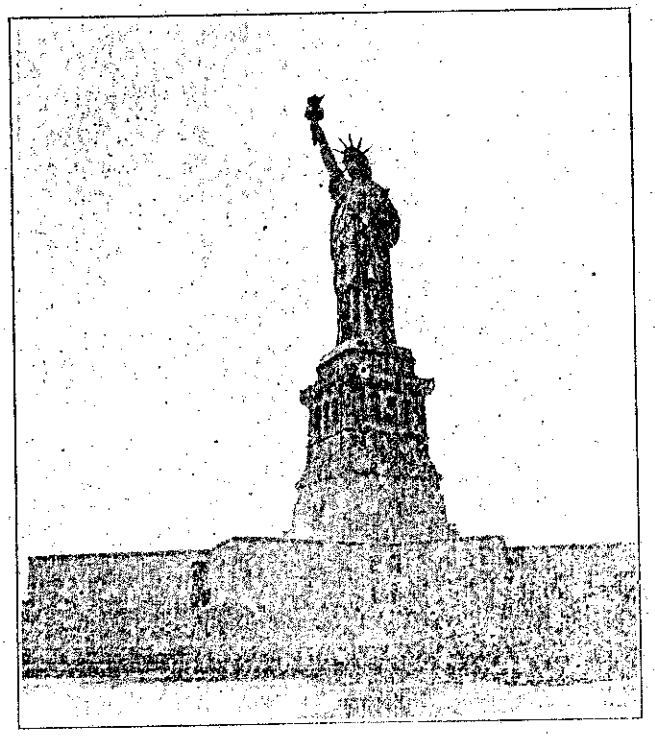

تمثال الحرية

هدية فرنسا لم الحرية الى حكومة الولايات المتحدة اقدم الحكومات الجمهورية الحية وهو قائم على مقربة من ادارة المهاجرة وينبعث من المشعال الذي يرفعه نور يضيء طريق المهاجرين في حياتهم العتيدة في العالم الجديد ويضمن للجميع فرص الارتقاء والتهذيب والثروة

فروح الاحترام للاثار المسيحية المقدسة التي كان يبديها الزوار الامريكيون مقرونة الى ما كان يبدو عليهم من مظاهر السعة والغنى والى ما كانوا يبذلون من السخاء هي التي نبهت في السوري الحاذق سليقته التجارية فراى من اين يجب ان يطرق ابواب الكسب اذا هو هاجر الى ديار هولاء الاقوام الاتقياء الاغنياء الاسخياء ولم يتردد بعد ذلك عن المهاجرة

ذلك في راينا هو السر في انصراف السوري في اول عهد مهاجرته الى بيع «البضائع القدسية» وافلاحه فيها على الرغم من جهله لغة اهل البلاد وعاداتهم وطبائع واحوال الاشغال بينهم

ونرانا قد اثبتنا بما تقدم كون السوري جاء هذه البلاد تاجرا منذ البدء . لانه قبل مهاجرته قرر نوع عمله او طريقة الكسب التي سنصرف اليها واتخذ لها الخطة اللازمة . فكان المهاجرون الاولون يمرون في طريقهم الى امريكا على القدس ويبيت لحم فيبتاعون السبحات والصلبان والايقونات وقطع خشب الزيتون المقول انه من البستان الذي صلى فيه المسيح والصدف المحفور الذي اشتهر بصنعه اهل بيت لحم الى غير ذلك مما يمكن ان ينسب الى الارض المقدسة ويأتون بهذه البضائع الى امريكا فيقيمون ردحا من الزمن متجولين لبيعها ويحصلون من ذلك ما كانوا يعتبرونه ثروة في عرف تلك الايام ثم يقفلون راجعين الى اوطانهم فاما انهم يقيمون او يعودون بعدد من انسبائهم وابناء بلدهم وبكميات جديدة من البضائع ويستخدمون هولاء الانسباء والمواطنين لبيعها بعد ان يدربوهم على الطرائق التي يكونون قد امتحنوها في سفرتهم الاولى

* * *

التجارة السورية في دورها الاول

فهولاء المهاجرون الاولون الذين مهدوا طريق المهاجرة الى امريكا ثم كانوا يعودون بانسبائهم ومواطنهم ويسلفونهم البضائع ويدربونهم على طرائق التجول للبيع هم بفضل ذلك مؤسسو التجارة السورية في امريكا . ولا يزال من قدماء المهاجرين الاحياء من يذكر ذلك العهد وان لم يكن قد وجد حتى الان بين المهاجرين من يمكنه اثبات قدومه الى هذه البلاد مع افراد المهاجرين الاولين . انما رواياتهم عن حالة التجارة السورية في اول ادوارها ثابتة صحيحة لا شك

Arab American National Museum

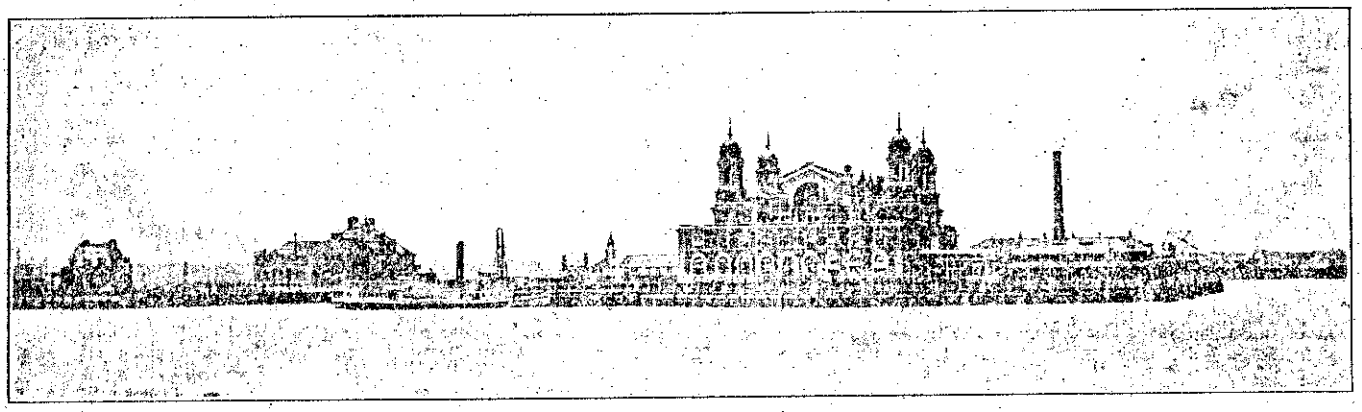

ادارة المهاجرة او «الجزيرة» كما يدعوها السوريون لان موقعها في وسط خليج نيويرك ويجب ان يمر عليها المهاجرون للفحص قبل السماح بدخولهم الى العالم الجديد

فيها لانهم شهدوها في بدايتها بل ان من الموءسسات التجارية السورية التي ظهرت الى الوجود حتى في ذلـك الـدور الاول اي عندما اخذت التجارةالسورية تتخذ شبه صفة التجارة الاصولية من لا تزال ثابتة وقائمة حتى هذا اليوم واصحابها احياء يرزقون وقائمون على ادارتها بالاجتهادومضاء العزيمة اللذين اتصفت بهما مساعيهم الاولى ولكن بزيادة الحنكة المتاتية عن طول المزاولة والاختبار

ولا بد لاجل تعريف التجارة السورية في دورها الاول من وصف العماد الوحيد الذي كانت تعتمد عليه لاجل قيامها في ذلك الدور. ذلك العماد هو بائع الكشة الذي كان رائد التجارة السورية والباعث الى نمائها والعامل على تطورها والذي كان من جسمها بمثابة العين التي ترى بها الى ما حولها وتتبين موضع نقل قدمها في سيرها الى الامام

فبائع الكشة بالمقايسة الى الاعمار هو الجيل الثاني في المهاجرة السورية وهو يختلف عن المهاجر الاول من حيث انه كان مدربا ومسيرا الا انه بفضل تجوله واختباره اوجد انقلابا في التجارة السورية لا نزال نشعر بتاثيره المباشر حتى في هذه الايام

ان المهاجر الاول جاء ديار المهجر تاجرا بنفسه وكان راس ماله القليل من البضائع القدسية التي حملها معه وانحصر همه في بيعها والرجوع بالاثمان الحاصلة منها الى وطنه

ونحن عند كلامنا عن التجارة في هذه الايام لا يمكننا ان نعتبر مساعي المهاجرين السوريين الاولى للكسب من نوع التجارة بحصر المعنى فان مساعي اسلافنا في المهاجر لم تقتض حذقا تجاريا ولا استوجبت دهاء وحيلة غير ابتداع فكرة الاتيان باشيائهم من الارض المقدسة. ولذلك لم تكن تحدد لبضائعهم اثمان او توضع لها قيمة. بل كان الامريكيون وغيرهم من الاجانب السابقين الى المهاجرة الى هذه البلاد يشترون هذه الاشياء قصد التبرك بها على الغالب وينظرون الى بائعيها بشيء من الحرمة التي يراعون بها كل من كانت له علاقة بالارض المقدسة

ويروي بعض من شاهـد هولاء المهـاجرين الاولين وحادثهم انهم كانوا يحملون السبحات معلقة على قضيب او مبسوطة على طبق مرفوع على الذراع ويعرضونها بتلك الصورة على المارة او على اهل البيوت. وكانت حركاتهم مقتصرة على المدن اذ لم تكن لهم المعرفة ولا اضطرتهم الحاجة الى التوغل في الداخلية

فالمهاجرون الاولون باعتبار هذا الامر لم يكونوا بائعي كشة انما حفظ هذا الدور المهم في تاريخ المهاجرة السورية الى البلاد الامريكية لجيل المهاجرين الثاني الذين بفضلهم اخذت تتطور التجارة السورية بسرعة عجيبة مدهشة حتى اضحينا في هذه الايام نجد انها قد انقلبت بطبيعتها واحوالها انقلابا تاما فلا يكاد يبقى عليها من الصبغة القديمة اثر

اما كيف تم هذا الانقلاب فمن اغرب الوقائع التي تسجل في تاريخ اي عنصر مهاجر الى هذه البلاد. ولا سيما عندما نعتبر اسباب وقوع هذا الانقلاب وكيف انها لا ترجع الى نظر وفكر فرد بل الى اتفاق واجماع الجمهور الامر الذي يثبت وجود الحذق الفطري والسليقة التجارية في العنصر السوري بمجموعه حتى لتبدو في الافراد عموما حالما تدعو اليها الحاجة او تساعد عليها الظروف

فتطور التجارة السورية كان بفضل البائع المتجول.

على ما قلنا . والبائع المتجول كان الجيل الثاني في الهاجرة السورية . ولاجل تحقيق القول ليس علينا غير اعتبار الحوادث الاتية الثابتة في تاريخ المهاجرة السورية

بعد ان جاء المهاجرون الاولون او اباء المهاجرة وانفقوا ما جاءوا به من البضائع القدسية عادوا الى اوطانهم وجاءوا باقربائهم وجيرانهم وتنبهوا الاستجلاب كميات من البضائع اوفر مما جاءوا به في المرة الاولى . وكان القادمون مع المهاجرين الاولين لا يعتمدون عليهم فقط في ايصالهم الى البلاد الجديدة العجيبة بل في تدريبهم على طرق تحصيل المكاسب فيها . وعلى ذلك كان المهاجر الاول بمثابة الزعيم او المرشد والقادمون معه بصفة الاعوان المستسلمين واصبح كل زعيم يشعر بالميزة التي اكسبه اياها سبقه الى المهاجرة. يعتبر الذين استصحبهم اخصاءه فيسلمهم البضاعة ويرسلهم للبيع ويخطط لكل رجل طرقة معلومة . اما هو فكان في هذا الدور قاصرا همه على استجلاب البضاعة فاما انه يقيم في المدينة وينتظر رجوع المتجولين لمحاسبتهم او يحمل بضاعته في صناديق ويصحبهم

ولكن كثرة قدوم هولاء المهاجرين من الارض المقدسة ما لبثت ان احدثت تاثيرها فلم يعد الناس يبذلون لهم بالسخاء الذي كانوا يبذلونه للافراد الاولين ولا بقيت حاجتهم للبضائع القدسية على حالها الاولى . ولكنهم تلطفا واندفاعا ببقية احترام لموطنهم المقدس لم يكونوا يردونهم

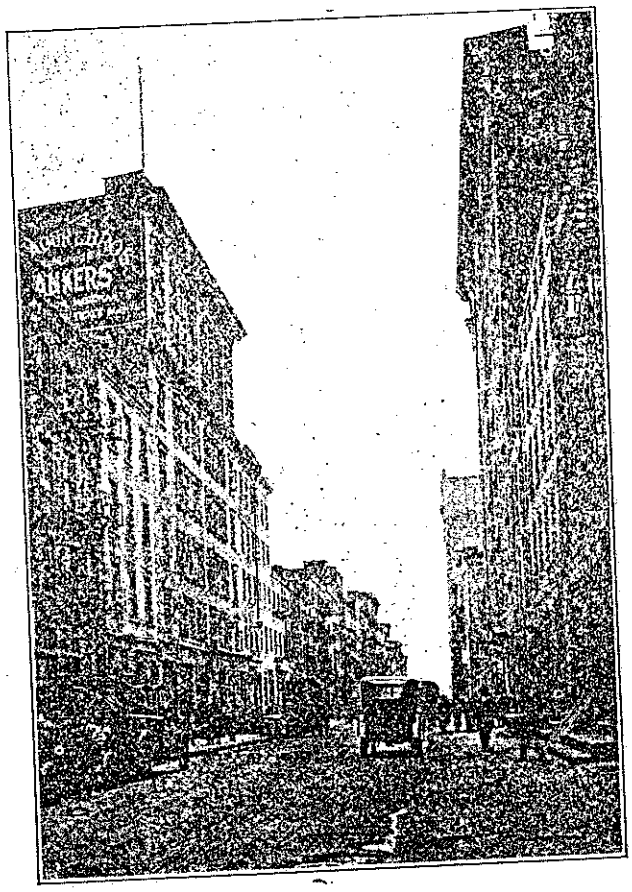

شارع وشنطون مركز التجارة السورية في نيويرك

اخذ هذا الرسم الفوتوغرافي في شهر ت ١ سنة ١٩٢٠ خصيصا للمجلة التجارية السورية الامريكية لينشر في تاريخ التجارة السورية في المهاجر الامريكية . وقد كان اخذ الرسم في وقت هدوء الحركة ووجود معظم التجار والعمال في مكاتبهم واماكن اشغالهم . فهذا الشارع الذي كانت ابنيته حقيرة واثمان واجور الاملاك فيه رخيصة جدا عند اول قدوم المهاجرين السوريين الى نيويرك اصبح بفضل نجاح المتاجر السورية شارعا جميلا فيه الابنية الحديثة ويضاهي بارتفاع اثمان العقار واجور المحال فيه اهم الشوارع التجارية في المدينة . وبعد ان كان لا يشاهد فيه في اول عهد المهاجرة غير بائعي الكشة ورشاش من المهاجرين الارلنديين والبولنديين وسواهم اصبح الان حجة الشراة السوريين والامريكيين للاصناف التي اشتهرت بها التجارة السورية وعند ابتداء وانتهاء الاعمال اليومية تشاهده مكتظا بالوف العمال ورجال الاشغال على طبقاتهم الذين ياتي العشرات منهم الى مكاتبهم يوميا في سياراتهم الخصوصية

فاما انهم يشترون من بضائعهم القليل او يسالونهم اتيانهم ببعض الاشياء الصغيرة التي يحتاجون اليها للاستعمال الشخصي او للبيوت . فكان هولاء المتجولون يعودون الى «التجار» المعتمدين عليهم في الحصول على البضائع ويسالونهم اتيانهم بما يكونون قد سئلوا عنه . وهكذا اصبحت تتكاثر وتتنوع الاصناف المحمولة بالكشة وتتسع بالتالي دائرة التجارة السورية

بدء تطور التجارة السورية

في عهد المهاجرة الاولى عندما كان المهاجرون يجيئون ليس للانتفاع من الفرص او للاستفادة من احوال المهاجر الخاصة بل لمجرد الاستفادة من صفتهم الخاصة من حيث الانتساب الى الارض المقدسة كان كل هم المهاجرين مقتصرا على الاتيان بشيء من البضائع القدسية وبيعها فعندما اخذ يتكاثر عدد المهاجرين عمد بعض التجار التلاحمة الذين كان يقصدهم المهاجرون السوريون لمشترى الصدف والتحف القدسية الى زيادة الانتفاع من هذه التجارة المتعاظمة فانشاوا مخازن في مرسيليا وباريس على طريق مرور المهاجرين الى امريكا حتى ينيلوهم حاجتهم من هناك بدلا من الاضطرار الى المرور على فلسطين . وقيل ان هولاء التجار كانوا يعطون اي مهاجر قدرا من بضائعهم على امل الوفاء عند بيعها . وقيل ايضا ان خسائر هولاء التجار من تامين كل مهاجر لم تكن في اخر الامر بالشيء الذي يذكر

Arab American National Museum

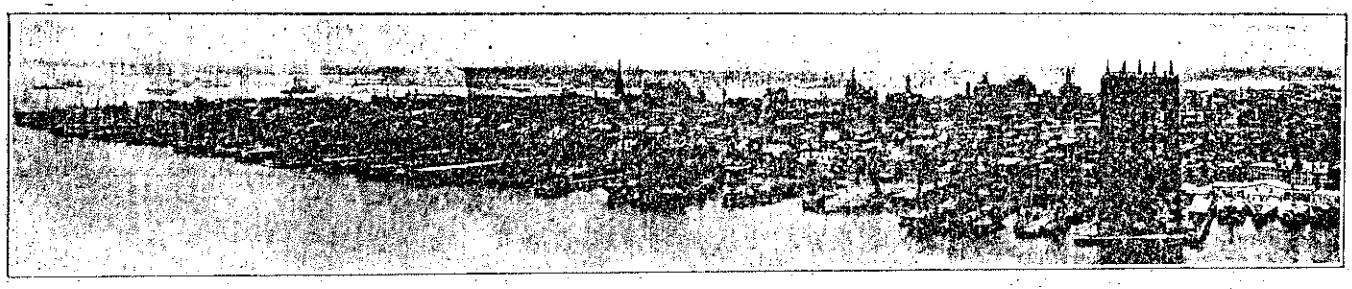

الناحية السفلى من مدينة نيويرك كما كانت عند ابتدا المهاجرة السورية

اما حين انقضى زمن على قدوم الماجرين السوريين واخذ المتجولون يعودون الى التجار بطلب اصناف جديدة كل يوم فاذ ذاك بدات تتطور التجارة السورية وتتخذ شكلا جديدا بين كل فترة واخرى قصيرة . وانقطع الاعتماد على البضائع القدسية وعلى استجلابها من القدس وبيت لحم او من مرسيليا وباريس واخذ التجار السوريون بطلب والحاح باعة الكشة يرمون شباكهم في بحر التجارة الامريكية الواسع . وكان اول شكل تحولت اليه التجارة بمعظمها شكل تجارة الدراي كودس والنوشن او اصناف الاقمشة والخرضاوات فكانت الكشة تزداد حجما من تنوع وتعدد الاصناف وتضاف اليها الامشاط والمرايا والدبابيس واقلام الرصاص والازرار وفراشي الثياب والحلاقة وموسيقات الاولاد والامواس والمقصات وسكاكين الجيب وغير ذلك من الاصناف التي يطول تعدادها . ثم لما بدات تهاجر المراة طرا على التجارة السورية تغيير اخر من دخول عامل جديد وهو حمل ملابس وحاجات السيدات والبيوت مما كان عتيدا ان يفتح في وجه التجارة السورية اعظم ابواب الفرص ويدخلها الى اغنى خزائن الثروة وذلك بانشاء متاجر الفساطين اليابانية المعروفة بالكيمونو والبضائع البيضاء التي تدخل فيها المطرزات والخروج والملبوسات النسائية بانواعها مما سنفرد له بابا خاصا

وصف التجارة السورية في حالتها الاولى

ان من يمعن نظرا في حالة التجارة السورية الحاضرة من الارتقاء الشامل ويرجع بالفكر الى ما كانت عليه من ثلاثين بل عشرين سنة تاخذه الدهشة من سرعة هذا الارتقاء التي لا يسع معها كل متامل الا التسليم بعظم همة ومقدرة السوري واجتهاده . واذا ظل هذا التقدم مطردا على نسبة ما كان في العقد الاخير فليس في وسع حاسب ان يحدد مقدار الارتقاء الذي تبلغه التجارة السورية في المستقبل ولا سيما اذا توفق السوريون الى ايجاد الرابطة العمومية التي تضم اجزاءهم المتفرقة في جميع انحاء العالم بعروة الوحدة القومية فينالون من المركز الفريد الذي يشغلونه في نظام التجارة الكوني فوائد لا تحصى

اجل ان تقدم السوريين في مضمار التجارة كان عجيبا بسرعته ويكفي لبيان ذلك وصف ما كانت عليه التجارة السورية في نيويرك منذ لا ابعد من ثلاثين او عشرين سنة حتى يمكن تقدير اهمية ما هي عليه اليوم

ففي اول عهد مهاجرة السوريين عندما كانوا لا يزالون جاهلين البلاد واهلها اقاموا في الموانئ البحرية لتصعب التحول عليهم ولكونهم لا يقصدون مكانا معلوما . ثم انهم اقاموا من هذه الموانئ في النقط الاقرب الى مراسي البواخر او الى مكان نزولهم في المدينة . وعلى ذلك تجد سواء في نيويرك ام بوسطن ام فيلادلفيا — وهي الموانئ الثلاثة التي كان يدخل منها السوريون الى هذه البلاد في البداية — الاحياء السورية ملاصقة البحر . ولما كانت نيويرك هي باب امريكا الاوسع وكانت معظم المهاجرة محولة اليها فقد نشات في نيويرك اهم جالية سورية في امريكا الشمالية وكانت اقامتها في شارع وشنطون القريب من البحر ومن ادارة المهاجرة التي كانت في اول عهد المهاجرة لا تزال في بناية في احدى جوانب الحديقة المعروفة «بكاستل كاردن»

في ذلك العهد كان شارع وشنطون مجموع بنايات سكن قديمة ماهولة بجماعة من حديثي المهاجرة غير السوريين بينهم الارلنديون والبولنديون وسواهم . وقد كان لشارع وشنطون عز وشان في ما مضى من الزمان ولولا ذلك لما اطلق عليه اسم ابي شعبه . غير ان للحوادث في تقلبها وللايام في تعاقبها شؤونا وصروفا فتنحط ناحية من المدينة بارتفاع غيرها وتتاخر بتقدمها ثم قد تنعكس الحالة ويدور

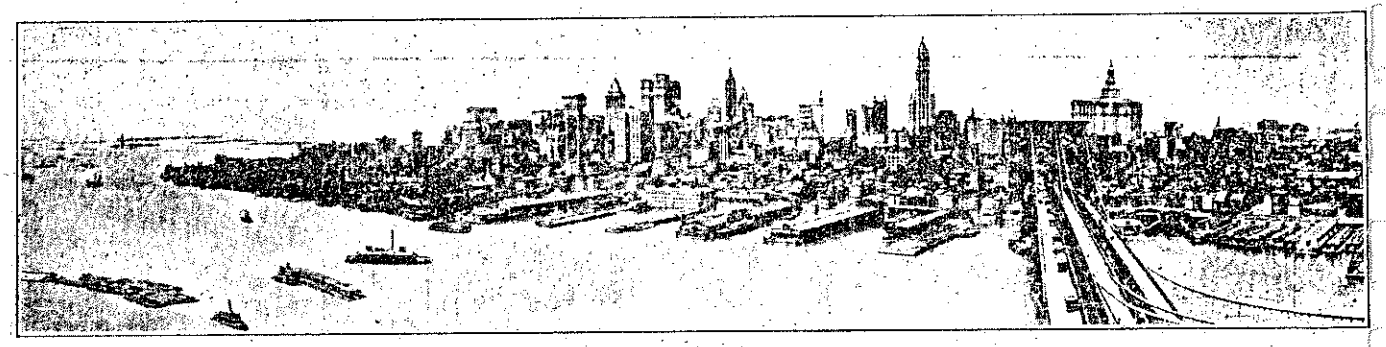

الناحية نفسها كما هي اليوم وقد قامت فيها الابنية العظيمة

الدولاب دورة جديدة

ففي شارع وشنطون جعل السوريون اقامتهم وفيه انشاوا تجارتهم وفيه اوجدوا حركتهم التي قدر لها ان تتسع وتمتد كتموجات المياه المتكونة من القاء حصاة في بركة ماء حتى تبلغ اخر الحدود . ولكن على الرغم من التمدد والتوسع الحادثين لا يزال شارع وشنطون محور حركة التجارة السورية في امريكا ولا غنى عنه حتى لمن ينقل مركز تجارته منه فيبقي له فيه فرعا او وكيلا

ومهما يقال عن حذق السوريين التجاري سوف تبقى حسرة في قلوب المهاجرين الاولين منهم انهم لم يدركوا عظم مستقبل الشارع الحقير الذي حلوا فيه وعملوا للاستفادة من التحسين الذي لا بد منه في قيمة الاملاك بفضل اهمية موقع هذا الشارع من المدينة . ولكن عذر السوريين انهم تجار ــ تجار بضاعة لا عقار ــ وقد جاءوا جميعا على فكرة العودة بعد اقامة سنة ام سنتين على الابعد وما شعروا الا بعد فوات فرص ثمينة ان هذه الفكرة اضرت بهم اعظم ضرر سواء من حيث الاستفادة من التجارة او من مشترى العقار

ففي دور التجارة السورية الاول كانت مخازن التجار السوريين بيوتهم او ما كان يدعى كذلك من الغرف التي استاجروها من حيث كان في شارع وشنطون . ولم يكن يلزمهم غير ذلك لان كل راس مال التاجر من البضاعة القدسية لم يتجاوز ملء صندوق او صندوقين . ولكن عندما مضت بضع سنين على التجار واخذ يتكاثر عدد القادمين الجدد بدا التجار يستاجرون المخازن التي على الشارع وكثيرون كانوا يقيمون فيها ايضا

وكانت طبائع الاحوال في ذلك العهد تقضي باجراء الاشغال على طرائق غريبة فانه عندما كان البائعون قلالا وبيوتهم محصورا في المدينة كان البيع يجري ليلا عندما يعود البائعون من تجوالهم ويطلبون مشترى عوض ما يكونون قد باعوه . ثم لما اخذت تتسع دائرة التجول ويغيب البائعون اياما واسابيع كان معظم البيع يجري طيلة مساء السبت ونهار الاحد . وكثيرا ما كان البائعون يمسون عشرات في المخازن انتظارا لبزوغ فجر الاثنين عندما ينصرفون من جديد الى اشغالهم

وكانت طرائق الاشغال في تلك الايام فطرية للغاية نجدها ونحن ننظر اليها من وراء كل هذه السنين وعلى هذا القدر من البعد على اعظم جانب من الغرابة . فقد كانوا في ذلك العهد لا يودعون اموالهم المصارف او يرسلون مشحوناتهم بالفريت او يشترون على وعدة وبكلمة موجزة يعملون بشيء من الاصول التجارية وطرائق الاشغال الحديثة ومن الروايات التي وقعت الينا عن هذا الدور في التجارة السورية ما لا يكاد يصدق عندما نرى حالة التجارة السورية الحاضرة من الازدهار والتنظيم واتباع احدث الطرائق في المعاملات . ولا باس من رسم صورة حقيقية لتلك الحالة الفطرية حتى يظهر بالمقابلة عظم الفرق بينها وبين حالة التجارة السورية في دورها الحالي دلالة على ذكاء السوري واجتهاده وسرعة اقتباسه

ففي تلك الايام كان من التجار كثيرون لا يحسنون القراءة والكتابة شان معظم البائعين انما كان بوسع اي كان ان يصير تاجرا اذا اتاح له الحظ ان يجمع حواليه عددا من ابناء بلده او جهته . وعلى ذلك كان التاجر الانجح من سواه هو ذاك الذي يكون المهاجرون من بلده او جهته اكثر من سواهم . وكان التجار في ذلك الوقت في مامن من فقدان زبائنهم لان النعرة البلدية كانت قوية ويزيدها تمكنا عظم شعور المهاجرين بانفرادهم وضرورة انضمامهم في بلاد الغربة في اول عهد الماجرة

Arab American National Museum

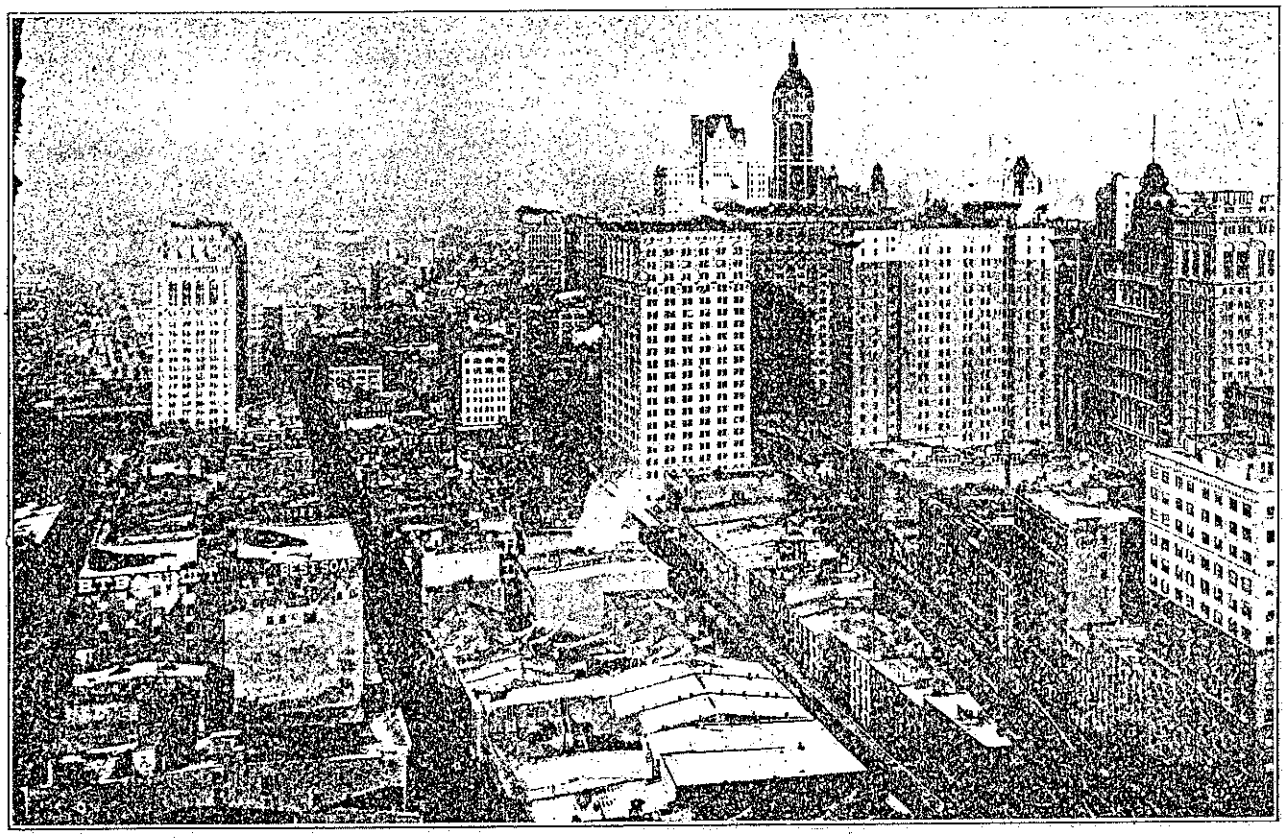

يبين هذا الرسم عظم اهمية موقع شارع وشنطون من المدينة العظمى . فهو الشارع المتوسط في الرسم قريبا من الجانب الايسر والى اليسار تماما يظهر شارع وست المعدود اهم نقطة للشحن في العالم بالنظر الى كونه مرسى للبواخر ومحطة لاطواف الخطوط الحديدية . والى اليمين يظهر بالتتابع شارعا كرينوتش وترنتي بلايس وفي كل منهما خط حديدي مرتفع . ويليهما شارع برودواي اهم شوارع نيويرك واشهر شارع في العالم الجديد وقد قامت على جانبيه نواطح السحاب ذات المنظر المهيب المدهش وفيها مكاتب اعظم الشركات والتجار والمحامين

في ذلك الوقت لم يكونوا يعرفـون كيف يشتـرون البضائع المختلفة من مصدرها بل يلقون كل اعتمادهم على بعض تجار الجملة اليهود والامريكيين الذين جمع بعضهم ثروات عظيمة من الاتجار مع السوريين

كانوا لا يعرفون كيف يرسلون رزمة بالاكسبرس فكان احد نبهاء الامريكيين يحصل معاشا حسنا من مجرد عنونة الرزم وايصالها الى مكتب الاكسبرس للتجار السوريين

كان المتجولون يستودعون التجار اموالهم فيجعل دولاء نقود كل متجول في صرة ويقفلون على الصرر في صندوق وكثيرا ما كان يجتمع لدى التاجر الواحد الوف الدولارات على هذه الصورة وهو لا يحسن التصرف بها بل يقيم في قلق دائم على سلامتها . وقد روى لنا احدهم انه حادث تاجرا بشان ذلك فاجابه بان المتجول يريد استرجاع ماله كما يكون قد ودعه كذا اوراقا بدولار وكذا انصاف او ارباع دولار او غير ذلك. فاقترح عليه المحدث ان يجعل في صرة كل متجول ورقة يسجل فيها قيمة النقود باوصافها فاذا طلبها جعلها في الصرة كما كانت في الاصل ودفعها اليه

وروى لنا احد قدماء التجار انهم محاذرة على الودائع النقدية من السرقة والضياع استاجروا صندوقة حديدية في المصرف وجعلوها فيها دون ان يتجراوا على استئمان المصرف عليها على طريقة الحسابات الجارية

ولم يكن للشغل ساعات معينة في عهد التجارة السورية الاول. فانه لما كانت المتاجر مشاريع شخصية فقد كان قيامها واستمرارها ونجاحها من الامور المتوقفة على الاجتهاد الشخصي لذلك كان التاجر يشتغل كل شيء ولا يضع لعمله قاعدة. فقبل انبلاج الفجر كان يشتغل في اعداد البضائع

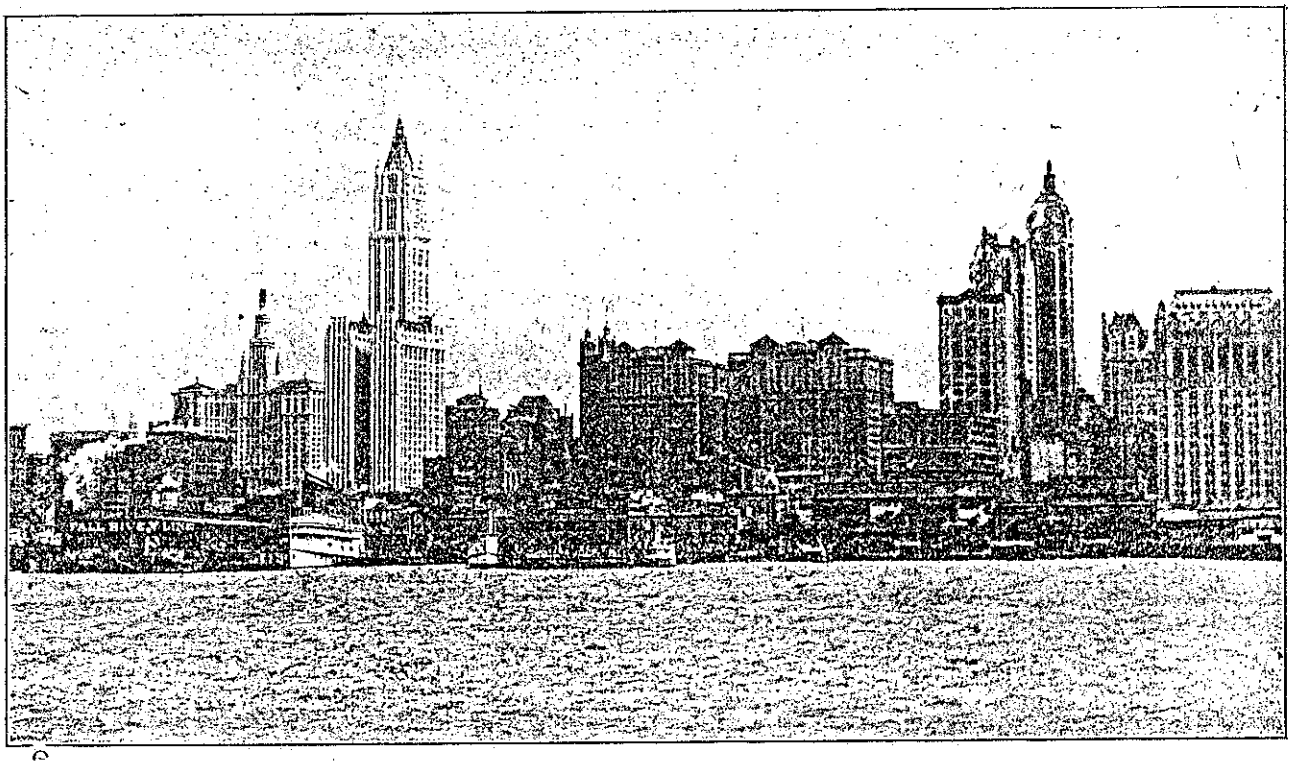

مشهد عام للناحية السفلى من مدينة نيويورك ماخوذ من نهر الهدسن وتظهر فيه بعض مراسي البواخر الواقعة على شارع وست الذي يحاذيه شارع وشنطون

وتعبئتها في الصناديق ويظل حتى منتصف الليل ينظم القوائم اما حين كان يقبل المتجولون للاستبضاع فكان التجار كثيرا ما يحيون الليل بطوله عملا

وقد كان هذا هو السبب الذي منع التجار السوريين في الاول عن نقل مراكز سكناهم من شارع وشنطون ولم يبدأوا بالنزوح الى برو كلن الا عندما اخذت تنتظم اشغالهم وتجري على شبه قاعدة مرعية

ولما كثر عدد المهاجرين واخذ يتنوع طلبهم للبضاعة ابتداء التجار يفكرون في طرائق الابتداع ويوسعون الدائرة الضيقة التي حصروا نفوذهم ضمنها. وكان ان بعضهم درس الاصناف الرائجة واخذ يصطنعها راسا . انما كانت هذه الاصناف على الغالب من الاشياء الصغيرة التي كان لا بد ان يكون نجاحهم فيها محدودا ولا سيما انهم اقتصروا في تصريفها على مواطنيهم . من ذلك انشاءوهم معامل للمرايا ومازر او مراويل الاولاد واغطية البيانو والبيلوشام او اغطية المخدات المطرزة وفراشي الحلاقة ونحوها. ثم اخذوا يصطنعون الامواس باسمائهم وبمار كاتهم الخاصة انما كانوا يقاولون معاملها الاصلية على ذلك

وبقدر ما كان يتوغل المتجول السوري في الداخلية ويكثر من تنويع الطلب بقدر ذلك كان يطرا التوسع في دائرة التجارة السورية. ثم ان بعض المتجولين اقاموا في مراكز ثابتة في الداخلية لمعرفتهم اهلها من كثرة التجول بينهم وانشائهم «طرقات» معينة اصبحت مالوفة عندهم. وهولاء كانوا يستقدمون انسباءهم وابناء بلدهم الى حيث يكونون قد اختاروا الاقامة ولذلك كثيرا ما تجد اغلبية الجالية السورية في بلدان الداخلية من ابناء بلد واحد او ناحية واحدة في الوطن

وقد ابتدع بعض المتجولين السوريين فكرة هي على غاية الموافقة لمهنتهم حتى ان من ناحضي التجار الامريكيين في هذه الايام من يعملون بها ويزدادون اقتناعا بفائدتها يوما عن يوم. ذلك انهم عندما اختبروا تنوع الطلب على البضائع حتى انهم يعجزون عن حملها كلها على ظهورهم عمدوا الى حمل بضائعهم على عربات فكان لهم من ذلك فائدة مزدوجة هي انهم يقدرون على حمل كمية اكبر من البضائع ويتمكنون فوق ذلك من قطع مسافة ابعد بوقت اقصر فيطرقون ابوابا اكثر وتزداد كمية مبيعهم حتى لتعوضهم

Arab American National Museum

الارباح الحاصلة من نفقة العربة والحصان وما طال على بعضهم عهد الاقامة في اما كـن معينة حتى اخذوا ينصرفون الى اشغال اخرى بنوع انك تكاد لا تذكر نوعا من الاعمال الا وتجد السوريين يدا فيه . انما كانت اكثر اشغالهم في تجارة الدراي كودس والملبوسـات والخرضاوات وانصرفوا في هذه الاونة الى فتح المخازن لبيع المفرق وصارت لبعضهم مخازن جامعة مـن نوع الديبارتمنت ستور وكادوا ينقطعون عن بيع الكشة وعلى الاخص عندما انقطع قدوم المهاجرين الجدد منذ نشوب الحرب الكبرى

وصف التجارة السورية في حالتها الحاضرة

ولما كانت اهم المنشآت التجارية السورية هي التي في نيويرك وكانت في الوقت نفسه تختلف بطبيعتها عن نوع الاشغال السورية في الداخلية فاننا مباشرون وصفها اولا باعتبار اقسامها الثلاثة المهمة وهي

اولا ــ تجارة البضائع العمومية ويدخل فيها تجـارة العمولة والتصدير والتوريد وهي التي تحولت اليها تجارة الدراي كودس التي كانت اول انواع المتاجر السورية الكبرى في لولايات المتحدة

ثانيا ــ تجارة وصناعة الكيمونو والملبوسات الحريرية النسائية

ثالثا ــ تجارة البضائع البيضاء

ولما كان كل واحد من هذه الفروع الثلاثة ذا اهمية ذاتية كبرى فلا نتمكن من وفائه حقه بيانا وتعليلا في هذا الوصف العمومي فقد رأينا ان نفرد لكل فرع بحثا خاصا فنأتي على وصف نشأته وتطوره حتى نتصل الى بيان اهميته الحاضرة ونستشهد على ذلك بايراد تواريخ كبار التجار السوريين الناجحين فيه . ثم لاجل ان نلم بالفائدة التاريخية كلها نعود الى ذكر بعض المرافق التجارية والصناعيـة الناجحة التي برز فيها السوريون مما لا يدخل تحت اي هذه الاقسام الثلاثة الكبرى ومنها تجارة السمانة والماكولات اي الكروسري وسواها

وكما سبق لنـا ان اعلنـا سنبتدىء بتاريخ نيويرك فالولايات المتحدة ثم ننتقل الى المهاجر الاخرى فننشر تواريخها بحسب ترتيب ورودها علينا اولا في المجلة ثم بشكل كتاب مستقل ليكون اثرا خالدا لنشأة وارتقاء التجارة السورية في المهاجر الامريكية وسواها

تجارة البضائع العمومية والاصدار والاستيراد

اول ما كانت التجارة السورية استيرادا باصناف معدودة ثم انقلبت الى الاصدار والى تجارة داخلية باصناف غير محدودة وبعد ان كانت في بدايتها ضيقة الدائرة قليلة الشان اصبحت الان عظيمة الاهمية وممتدة الى كل مكان

وقف القراء من الفصل المنشور سابقا على ما كانت عليه التجارة السورية في نيويرك في بداية عهدها وعلى وصف الطرائق الفطرية التي كانت تمشى عليها بسبب جهل المهاجرين الاولين الاساليب التجارية الحديثة وعجزهم عن سرعة الاستفادة من جراء جهلهم اللغة . ولذلك كان اساس نجاحهم قائما على غير العلم بالقواعد والاصول والاختبار السابق انما عوضهم عن ذلك ذكاءهم الفطري واجتهادهم العجيب وصبرهم الغريب حتى انه لم تمض بضعة عقود من السنين الا اصبحت لهم مبان تجارية وصناعية تستدعي باتقانها وارتقائها ونجاحها اشد الاعجاب ولا سيما اذا اعتبرنا انها قائمة في ارقى وسط تجاري في العالم حيث لا يمكن ان يثبت الا صاحب المقدرة والصبر ولا يتسنى ادراك النجاح الا للممتاز بالاجتهاد والذكاء وحسن الحيلة

ولا باس لاجل تحقيق الفائدة التاريخية من المجيء على وصف الادوار التي تقلبت فيها تجارة البضائع العمومية والانقلاب الذي طرا عليها مما لو روعي فيه قصر المدة الذي حدث فيه هذا التطور لم يسع المتامل الا الاعجاب بمرونة استعداد السوري وسرعة اقتباسه وصدق نظره في الامور التجارية .

فقد كانت تجارة السوريين مقتصرة في البداية على الاصناف المعدودة من البضائع القدسية على ما سبق الكلام . ثم لما اخذ يتنوع الطلب بفضل الباعة بدا التجار يرقبون الفرص ويحدثون من ضروب التفنن ما يشهد بحسن استعدادهم الفطري وبسرعة تفهمهم اساليب الاقتصاد وطرق الاحتيال على الكسب فاستنجدوا الصناعة حتى في تلك الاصناف الاولى على التوفير في الاثمان وزيادة المكاسب فبدلا من ان يقنعوا باستجلاب السبحات والصلبان واثواب السيدة من باريس اخذوا يشترون موادها الاولية ويصنعونها لحسابهم . وساعدت الامراة السورية المهاجرة كثيرا على نجاح هذه المساعي لانها على ما كانت ترضى به من الاجر القليلة التي تمكنها من القناعة بها طريقة معيشتها البسيطة احدثت اقتصادا عظيما في اثمان الاشياء فكانت تشرط المسابح وتخيط اثواب السيدة باللباقة والسرعة والدقة التي اشتهرت بها في الوطن بصنع الخرج . وبفضل ذلك امكن التجار ان يصنعوا اهم اصناف بضائعهم باثمان انقص جدا مما كان يتسنى مشتراها من المعامل فكان لهم من هذا الفرق قدر اوفر من الربح . ولا بد في اعتبار هذه الحقيقة من مراعاة ظروف معيشة المهاجرين الاولين والنظر الى الغرض الاساسي الذي لم يحولوا انظارهم عنه وهو جمع اكثر ما يمكن من المال باقل ما يمكن من الوقت قصد الرجوع العاجل الى الوطن ولذلك كانوا جميعا يصبرون على المشقة في العمل وعلى شظف العيش ويحسبون ما يحصلون من الارباح ليس على نسبة ما هي قيمة النقود في محيطهم بل على نسبتها الى عملتهم الوطنية فاذا حصل احدهم نصف دولار اجرة عن عمل او ربحا من صفقة عد القيمة ثلاثة عشر غرشا وقاسها الى ما كان يحصل في الوطن فاستكبرها

Arab American National Museum

وقنع بها . وكان هذا النظر شائعا بينهم ليس باعتبار ما يكسبون بل باعتبار ما ينفقون ايضا فاذا اراد احدهم مشترى حاجة وقيل له ان ثمنها دولار نظر الى كون قيمة الدولار سبعة وعشرين غرشا فاستكبر الثمن وقنع بالحرمان عن مشترى الحاجة بهذا السعر الفاحش في نظره . ولذلك كثيرا ما كنت تسمعهم يقولون نحن نشقى هنا بضع سنين لنستريح في وطننا طول حياتنا . وما نحرمه هنا نتمتع به اضعافا هناك . وما هي الا ليلة مسافر وتنقضي

ولم يدر في خلد احد منهم في تلك الايام ان الطمع البشري سيحول دون تحقيق هذه الاماني وان الاحوال في تقلبها ستقضي على معظمهم بالاقامة الدائمة في الوطن الجديد . غير ان هذه الاعتبارات الاولى لم تذهب دون جدوى او تكون عقيمة من الفوائد بل ان الاقتصاد الذي كانت هذه النظريات والعوامل في حياة المهاجرين الاولى تدعو الى ممارسته هو ما مكن من تشييد بناء التجارة السورية على الاساس الراسخ الذي لولاه لما كنا نراها مع سرعة تقدمها واتساعها مكينة القواعد شديدة تماسك الاجزاء . فهي من هذا الوجه قد سارت في قيامها على القاعدة التي نراها متبعة في تشييد الابنية العظيمة الملقبة بناطحات السحاب في البلاد الامريكية وبالاخص في نيويورك: تنفق السنة والسنتان في تركيز الاساس حتى اذا استوثق من صلاحيته قام واكتمل البناء في مدة قد لا تتجاوز الستة اشهر ولم تضره هذه السرعة

وما لا بد من ملاحظته في هذا المجال انه بالنظر الى اشتداد المزاحمة مع قلة الاصناف المتاجر بها في بداية عهد التجارة السورية جرى التجار على قاعدة التوفير في المشترى حيث لم يتسن لهم زيادة الاسعار على الاصناف المحدودة العدد المفضوحة السعر . انما عندما اخذت تتفرع وتتشعب التجارة وتتناول اصنافا جديدة ذات قيمة مجهولة فقد اثرى الكثيرون من الربح في البيع . ومن اوجه الامثلة على ذلك ما حدث في تجارة صدورة الشرت وست او البلوز النسائية التي ابتدعها بعض واضعي الازياء في باريس فكان السوريون سريعين الى ادراك اهميتها التجارية فتناولوها وتفننوا في رسمها وصنعها وكانت القطعة تباع في البداية بعدة دولارات ثم لما اشتدت المزاحمة اخذ البعض ينقصون من القماش ويخففون من التطريز وينزلون في السعر حتى اوصلوا ثمن القطعة الى منزلة النصف دولار وما دون وما زالوا على الرغم من ذلك يجنون قدرا من الربح انما كان من نتيجة تطاحنهم في المزاحمة ان انتهوا بقتل الصنف

وقد راى التجار السوريون من جراء ذلك وغيره من الحوادث المشابهة ضرر فقدان الرابطة ونقص التفاهم بين الهياة التجارية السورية فاستفز بعضهم الى تاسيس جمعية تجارية توجد الرابطة المفقودة توصلا الى اجتناء الفوائد التي لا بد من حصولها من التفاهم والاتحاد . انما لا بد من القول مع الاسف الشديد ان السوريين لم يقتنعوا كمجموع بضرورة التعاون بروح العمل العمومي

ذكرنا حادثة صدورة الشرت وست على الرغم من وقوعها متاخرة في سياق تطور التجارة السورية كمثل وحيد ليس فقط على بعض موارد الكسب التي كاد يستقل بها السوريون بل على تفننهم ايضا بالاساليب التجارية على ما يكاد يدعى نبوغا فيهم في ابتكار واستنباط طرق التوفير في صنع الاشياء . انما كان قد سبق لهم الاخذ بوسائل اخرى كثيرة كلها من نوع ما فعلوا بصنف البضائع القدسية اي انهم ما آنسوا وجود طلب على صنف حتى عمدوا الى اصطناعه اللهم اذا كان مما تسمح بذلك مقدرتهم المحدودة اذ ذاك

من ذلك انهم مع مرور السنين وامتحان الطلب وتحقق وجوده كانوا يصطنعون كثيرا من الاصناف التي يحملها المتجولون في صناديقهم . وخلا البضائع القدسية التي سبقت الاشارة اليها صنعوا مازر الاولاد التي كان عليها طلب شديد وتفننوا بها لان البائعات اللواتي كن يطرقن البيوت كن ينفقن الكثير منها . اما الان فقد مات هذا الصنف بتغير طبيعة التجارة السورية ولم يبق من صانعيه السوريين الا واحد يبيع ما يصدر من معمله الصغير من تجار الجملة الاميركيين . ثم صنعوا البلوشام او اغطية المخدات وقد تفننوا فيه كثيرا وابتدعوا له الرسمات الخاصة ونشات بينهم لهذا الصنف في ابان رواجه معامل زاهرة كان يشتغل في الواحد منها عشرات العمال . وقد انقطع السوريون عن صنع هذا الصنف مع انهم كانوا قد فاقوا الاميركيين وغيرهم من العناصر به وذلك لكون التجارة السورية تحولت عنه بسبب الاختلاف في الازياء اما غيرهم فقد حولوا معداتهم لصنع اشياء اخرى فانتفعوا كثيرا والسر في ذلك ان السوريين فضلا عن صغر مشاريعهم كانوا يقتصرون على الاتجار فيما بينهم فلا يعتمدون الاعلى تجارهم وهولاء يعتمدون على الباعة فاذا قل طلب الباعة على صنف اضطروا بطبيعة الحال الى الانقطاع عن صنعه .

مع ان غيرهم كانوا يعتمدون على السوق الوطنية غير المحدودة ويكبرون على نسبتها

وقد قضت حاجات التجارة السورية في ادوارها الاولى ان ينشىء السوريون المعامل لصنع المرايا وفراشي الحلاقة والسسبندرس (علاقات البناطلين) واغطية البيانو والتنانير وبعض اصناف الملبوسات النسائية الاخرى واغطية الطاولات والعطورات وما كان من نوع البضائع التي يحملها الباعة المتجولون ومعظم هذه الاصناف كان يشتغلها افراد من غير التجار ويبيعونها من التجار. اما التجار فقد عمدوا الى صنع بعض الاصناف الرائجة عندهم مما لم يكن لابناء وطنهم استعداد لصنعها في معاملها وذلك بماركات خاصة بهم واخص هذه الاصناف الامواس التي تجد منها انواعا لعشرات الاسماء للتجار السوريين ومنها ما كان باسماء وطنية مثل يوسف بك كرم وسواه من المشاهير ومنها ما كان باسماء اجنبية مثل قيصر روسيا حتى ان احدهم اصطنع امواسا رسم عليها اسماء جميع الجرائد العربية الصادرة في امريكا في ذلك الوقت مما يكشف لنا عن بعض اسرار وطرائق التجارة السورية في تلك الايام لان جل القصد كان تشويق الباعة الى حمل الصنف عن طريقة العاطفة. فاهل شمالي لبنان الذين يطربهم وقع اسم بطلهم الشهير يفضلون مشترى الاصناف المعروفة باسمه. كما ان ابناء الطائفة الارثوذكسية يؤثرون مشترى الصنف الذي اطلق عليه اسم حامي حمى كنيستهم. اما الجرائد العربية فقد كان لكل منها حزب وبجمع اسمائها كلها على صنف يستميل صاحب الصنف اليه جميع الاحزاب وعلى ما ذكر يقاس ما لم يذكر

وفي ذلك الوقت كان يكثر التجار من مشترى البضائع وخزنها فاقتضت هذه الحالة استئجار مخازن كبيرة منها ما شغل البناية بكاملها وهي مؤلفة من خمسة او ستة اطباق قد يوجد فيها من البضائع ما تتراوح قيمتها بين خمسين ومائة الف دولار. وبما ان التجارة كانت محصورة بين السوريين والباعة وتجار الداخلية في الادوار الاولى لا يعرفون غير شارع وشنطون سوقا للمشترى فقد اشتدت المنافسة بين التجار للحصول على المراكز الموافقة في هذا الشارع وارتفعت الاجور فيه الى درجة فاحشة وعلى نسبة ذلك تصاعدت اثمان الاملاك

ولما دخلت التجارة السورية في هذا الدور وكان الباعة قد اوغلوا في داخلية البلاد عمد تجار نيويورك الى استخدام الوكلاء المتجولين او «السايلزمن» فسيروهم يحملون الامثلة ويسعون وراء العملاء بدلا من انتظار قدومهم اليهم وكانت هذه من اكبر الخطى التي خطتها التجارة السورية في سبيل التوسع العظيم الذي ادركته فيما بعد لان الخروج عن الطريقة القديمة المألوفة وسع مجالات نظر التجار وفتح عيونهم على عظم الفرص الموفورة لمن يجد في طلبها حتى انهم علاوة على توسيع حلقة زبائنهم اخذوا ايضا يوسعون دائرة متاجرهم بما اختبروا من رواج اصناف جديدة عمدوا الى الاتجار بها

وقد يكون هذا سبب دخول التخصيص الى التجارة السورية والسر في تحولها الى ما صارت عليه الان. فبدلا من ان يوزع التاجر قوته في مقتنى القليل من اصناف كثيرة اخذ يجمعها في مقتنى الكثير من الاصناف القليلة وعلى ذلك تجد انه على الرغم من كون تجار الداخلية اصبحوا عارفين بمصادر البضائع التي يحتاجونها في السوق الامريكية لا يجدون لهم غنى عن مشترى كثير من الاصناف من مواطنيهم الذين بفضل اختصاصهم اصبحوا مصادر اولية هامة للاصناف التي يتاجرون بها هذا فضلا عن كون تجار نيويورك اصبحوا بدورهم لا يلقون اعتمادهم كله على ابناء وطنهم في الداخلية بل يتوسعون بعقد العلائق في السوق العمومية. وترى الدليل على ذلك من كون الكثيرين منهم خرجوا بمكاتبهم ومخازنهم ومعاملهم من حي السوريين ولحقوا بالجماعة المشتغلين باصنافهم

وما لا غنى عن الاشارة اليه بنوع خاص في هذا المقام ان اختبار تجار البضائع العمومية في مشترى وبيع الاصناف الكثيرة في الماضي كان ذا فائدة متناهية في الاهمية عندهم في الدور الذي تحولت اليه معظم تجارتهم في الوقت الحاضر وهو تجارة الاصدار والاستيراد. فانهم اصبحوا بفضل اختبارهم السابق عارفين بانواع البضائع المختلفة وبمصادرها الرئيسية بل قد يكون لهم من الامتياز على سواهم في هذا الامر ما يجعلهم في مركز فريد خاص. ولا سيما اذا اضفنا الى ما تقدم ما اصبح لهم من المقدرة المادية الكبرى التي تجعل ثروة افرادهم فوق المليون دولار والكثيرين منهم بمرتبة مئات الالوف

Arab American National Museum

وان من يتامل ما وصلت اليه التجارة السورية في نيويرك في حالتها الحاضرة ويرجع بالتصور الى تمثل ما كانت عليه منذ ثلاثين ام عشرين سنة لم يتمالك عن الاندهاش من عظم الانقلاب الذي يراه قد طرا عليها ويكاد لا يصدق بامكان وقوع هذا التقدم السريع. فالان ترى الدوائر المنظمة والاشغال السائرة على احدث القواعد الاقتصادية والمصالح المتناهية بالجسامة ذات العلائق الممتدة الى كل انحاء المعمور . بل لو جئنا نقيس المستقبل على الماضي لامكننا الجزم بان التجارة السورية لم تبلغ بعد حد ارتقائها او تصل الى اوج علائها . فانها في الماضي ما كانت الا سائرة على مهل غير مستوثقة من طريقها . اما الان وقد وجدت الطريق ولا تزال في عنفوان صباها فلا بد انها تسير فيها شوطا بعيدا بسرعة عجيبة . ولا سيما بعد ان اخذت تحول وجهها نحو الجهات القابلة التوسع العظيم. فالسوق الامريكية العظيمة من جهة والسوق العالمية غير المحدودة من جهة اخرى توءذنان بحدوث توسع غير محدود في التجارة السورية وبالاخص بعد ان اخذت علائق السوريين في المهاجر المختلفة تعقد وتمكن بعد ما كان من اختبار المنافع العظيمة المتاتية من عقد مثل هذه العلائق في مدة الحرب وهو امر يبشر بان تصبح للسوريين منزلة تجارية لا يحسدون على اعز وارفع واهم منها اي الاقوام الاخرين حالما يتنبه سوادهم الى الامتياز الخاص الذي لهم والمركز الفريد الذي اوجدتهم فيه الظروف من كونهم تجاراحيث وجدوا و كونهم موجودين في كل مكان

وليس غير التعارف واسطة لايجاد هذا التنبه وهو بعض غرضنا من نشر هذا التاريخ الذي نرجو بواسطته ان تقف كل فئة على حقيقة منزلة الفئة الاخرى وتطلع على طريقة نشاتها و كيفية تطور اعمالها ومبلغ اهميتها الحاضرة وسر نجاح متاجرها من جميع الوجوه فلا تقصر اذ ذاك الفائدة من وضع التاريخ على مطالعة حوادث ماضية لا مغزى لها ينطبق على حياتنا الحاضرة

وعلى ما سبق لنا ان ذكرنا في فصل سابق سنعالج البحث في تاريخ متاجرنا المختلفة بحسب سياق نشوئها فما نشا اولا نذكره في هذا المقام وان تكن نشات بعده متاجر فاقته بالاهمية . وعلى نفس القاعدة نحن موردون النبذات التاريخية عن المؤسسات التجارية التي راينا فائدة نشرها استشهادا على ارتقاء الاشغال السورية التي تدخل في نوعها وطبقتها

وفي ما يلي نبذات تاريخية عن بعض اهم المحال السورية التي انصرفت الى تجارة البضائع العمومية والاصدار والاستيراد وقد اخترناها لاهميتها ولكونها خير مثال على تقدم هذ الفرع من التجارة السورية العامة

محل جورج ملحمه واولاده

تاسس سنة ١٨٨٨

مؤسس هذا المحل اقدم تاجر سوري في نيويرك جاء هذه البلاد في بداية عهد المهاجرة ولا يزال في التجارة بصورة مستمرة منذ ذلك الوقت • وهو يعتقد بالاختصاص في التجارة وقد طبق اشغاله على هذه القاعدة التجارية فاصاب نجاحا وافرا

يعد جورج ملحمه بحق نقيب التجار السوريين في نيويرك لانه جاء هذه البلاد في سني المهاجرة الاولى وما زال منذ ذلك العهد حتى يومنا الحاضر في المصاف الاول بين التجار في المقدرة والاعتبار وينظر اليه بشيء من الاحترام الذي يولى الاباء الماهدين المؤسسين • فهو ذخيرة ثمينة من ايام المهاجرة الاولى ويزيد مركزه اعتبارا وشخصيته احتراما انه لا يزال يتعاطى التجارة بتلك الاصناف الاولى التي انصرف الى الاتجار بها المهاجرون الاولون وهي البضائع القدسية الا انه توسع فيها واتقنها حتى اصبحت تجارته تضاهي اكبر المؤسسات التجارية من نوعها في البلاد حتى بين الوطنيين

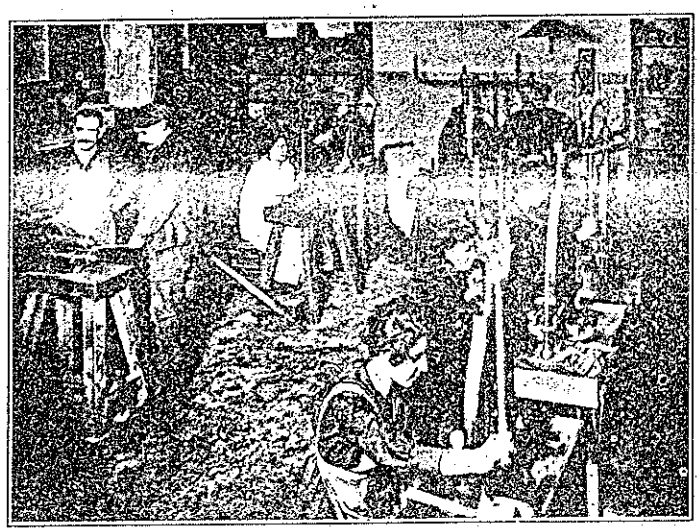

معمل سوري للبضائع القدسية لاصحابه جورج ملحمه واولاده تجار البضائع القدسية في نيويرك وفيه يصنعون على احدث الالات المسابح والصلبان والايقونات وكثيرا مما يلزمهم في تجارتهم

واننا لو جئنا نذكر تاريخ هذا التاجر بالتفصيل لوجب ذكر تاريخ التجارة السورية في نيويرك على اختلاف ادوارها واطوارها لانه رافقها منذ تكونها ونما معها في جميع حالاتها • غير اننا وقد جئنا على وصف حالة التجارة السورية من نظر عام في فصل سابق نقتصر الان على وصف نشاة وتطور اشغال هذا التاجر الخصوصية للغرض المقصود من وضع التاريخ وهو الاستشهاد على اهمية التجارة السورية بمجموعها باهمية نجاح المحال الافرادية التي يتالف منها ذلك المجموع لان في الاستشهاد على هذه الصورة دليلا حسيا على مبلغ الارتقاء الذي ادركته تجارتنا في المهاجر بقدر ما يعرف الناس جميعا ما كانت عليه من الضعة وقلة الشان في بداية عهدها

فجورج ملحمه وهو بيروتي المولد من الافراد المعدودين بين تجار المهجر والممتازين بكونهم زاولوا التجارة قبل المهاجرة على صورة مذكورة بالاهمية • فهو قد كان تاجرا في بورت سعيد يتعاطى استجلاب البضائع المتنوعة من اوروبا وتوريد المحاصيل الوطنية الى الخارج قبل ان جاء نيويرك • وقد لا يكون هاجر لولا ان ابناء حميه يوسف وداود وطنوس رحيم من جزين الذين تقدموه بالمهاجرة كتبوا اليه يزينون له القدوم واصفين له ما هي عليه فرص الكسب من السهولة والاهمية في تلك الايام • فصفى تجارته في بورت سعيد وجاء الى نيويرك وانضم الى ابناء حميه في عضوية المحل الذي كان يعرف باسم رحيم وملحمه وكان له قدر رفيع بين المحال التجارية السورية الاولى • اما تاريخ تاسيس هذا المحل في نيويرك فكان في سنة ١٨٨٣ اي منذ نحو ٣٧ سنة وكان انضمام جورج ملحمه اليه في سنة ١٨٨٨ وكانت اذ ذاك المهاجرة السورية الى البلاد الامريكية في اعظم اندفاعها وطلب الباعة المتجولين للبضائع يزداد شهرا عن شهر وعلى نفس النسبة كانت تتسع اشغال المحل • وقد ابتدا منذ تلك الايام الاولى بالتصدير الى السوريين الذين قصدوا البلاد الاحنبية غير ان محل رحيم وملحمه ما زال صارفا كثيرا من الاهتمام الى صنف البضائع القدسية

منظر داخلي لمحل جورج ملحمه واولاده في نيويرك

التي اخذ يتحول الطلب عليها تدريجا من السوريين الى الامريكيين فراى جورج ملحمه بنظره التجاري الثاقب ان في الاختصاص بها وحصر قوته فيها فائدة اعظم وابقى حتى اذا فسخت الشركة بينه وبين طنوس رحمه الذي كان الوحيد من اخوته الباقي في محل نيويرك انصرف — اي ملحمه — الى الاختصاص بالبضائع القدسية فكانت النتائج الحاصلة له من هذه الخطوة التجارية محققة لابعد اماله

فمحل جورج ملحمه — الذي سيعرف ابتداء من سنة ١٩٢١ باسم محل جورج ملحمه واولاده — اصبح من اكبر البيوت التجارية في الديار الاميركية المتعاطية البضائع القدسية . وان في حالة المحل الحاضرة وانتظام اشغاله وسعة علائقه ما يدل اصدق دلالة على حذق السوريين التجاري. فهو معروف في دائرة هذه الاشغال من ادنى البلاد الى اقصاها وله علائق قوية بالبلاد الاجنبية. والمدهش ان موسس المحل لا يزال بعد كل هذه السنين الطوال قائما على ادارة اشغال المحل بنفسه بهمة ومضاء عزم الشبان وله من ابنائه النجباء خير اعوان. وفي كل سنة يسافر احد انجاله الى اوروبا لعقد مقاولات ولوضع توصيات على الكميات العظيمة من انواع بضائعهم الخصوصية . وقد بلغ من اتساع دائرة المحل انه انشا معملا خاصا في نورث انربري ماس معدا بالالات الكثيرة الحديثة لصنع الايقونات والصلبان والسبحات وكثير غيرها مما يلزمه حذق في صناعة المعادن وقد جعل جورج ملحمه مركز اشغاله في شارع بار كلاي الذي هو المركز الرئيسي لهذه التجارة في الولايات المتحدة ومحله لو قوبل بغيره من المحال الاميركية العديدة المجاورة له لوجد من اقدرها ماليا واتقنها ترتيبا واوفرها بضاعة حتى ليصح القول بان هذا المحل الذي يعد من حجارة الاساس الاولى لم يزل على الرغم من تقادم العهد من الاجزاء المهمة المكملة والمجملة في بناء التجارة السورية في الهاجر الامريكية

محل دانيال فاعور واخوته

تاسس سنة ١٨٩١

تاريخ هذا المحل مقياس صحيح للتجارة السورية في المهاجر الامريكية في جميع حالاتها وادوارها فقد كان تاسيسه في السنين الاولى من المهاجرة على مجرد اقدام واجتهاد اصحابه وما زال ينمو نموا طبيعيا تدريجيا ثابتا حتى اصبح من اشهر المباني التجارية السورية في المهاجر قاطبة

اذا مررت في شارع وشنطون «قلب الحي التجاري السوري في نيويرك» استوقفت ابصارك بناية جميلة عالية واقعة تحت ارقام ٨١ و٨٣ و٨٥ ظاهرها من الحجر الابيض ومدخلها من الرخام فيها مرقاة «اليفاتر» من الطراز الحديث تشغل طبقاتها الفسيحة المحال والمكاتب التجارية التي تجعل الحركة فيها دائمة في كل ساعات النهار فلا يخالجك شك في انها من بنايات المكاتب المعتبرة في مدينة نيويرك العظمى

فهذه البناية هي المعروفة «ببناية فاعور» وهكذا تجد الاسم مكتوبا على المدخل وما هي الا واحدة من بنايات عديدة من نوعها في الناحية السفلى من المدينة لاصحابها دانيال يوسف فاعور واخوته اصحاب التجارة الواسعة والبنك السوري الوحيد في نيويرك

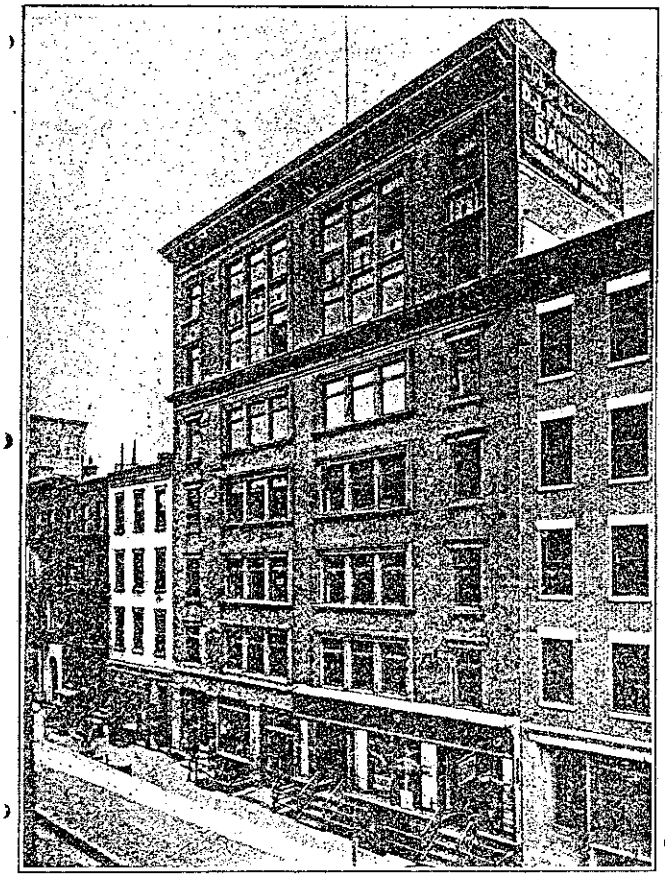

رسم بناية فاعور الواقعة تحت ارقام ٨١ و٨٣ و٨٥ شارع وشنطون وفيها مصرفهم ومكاتب اشغالهم

واذا صعدت بضع درجات ودخلت ذلك الجانب من البناية الواقع تحت رقم ٨٥ وجدت نفسك في قاعة صيرفة فسيحة مرتبة ارضها وجدرانها من الرخام الجميل في وسطها سد من الرخام ايضا يعلوه حاجز من قضبان النحاس وراءه الاقفاص الشائعة في قاعات الصيرافة الحديثة ومن وراء ذلك الصناديق الحديدية الضخمة والمكاتب المرتبة ويجول في الجميع الكتاب والمستخدمون العديدون وكل منهم منصرف الى قضاء واجبه باقل ما يمكن من الجلبة فتحسب نفسك في احد هيا كل الاشغال الحديثة التي يجري فيها كل شيء بالدقة والضبط اللذين تستلزمهما اهمية وجسامة العمل

فلمن تحسب هذا المصرف المتقن ولمن تظن هذه الدائرة المنظمة وما ترمز اليه وتنم عنه من الاشغال الكبيرة اتظنها لاحدى الشركات التجارية الكبرى التي تسمع عن وجودها في هذه البلاد العجيبة ولا بد في هذه الحال ان تكون امريكية. كلا. ان المكان هو مصرف ومكتب اشغال بعض مواطنيك السوريين الذين بلغوا من الاهمية القدر الذي ترى. هو محل دانيال يوسف فاعور واخوته فما هو هذا المحل ومن هم اصحابه؟

اسمع نقص عليك الخبر ونقصه بحذافيره. فان ما ترى الان قد نشا عن محل كان يدعى «ثقبا في حائط» كان اصحابه من المهاجرين السوريين الاولين الى الولايات المتحدة الذين تجد في تاريخهم صورة حقيقية لما كانت عليه التجارة السورية في بداية عهدها وما تقلب عليها من الاطوار والادوار حتى بلغت اهميتها الحاضرة.

Arab American National Museum

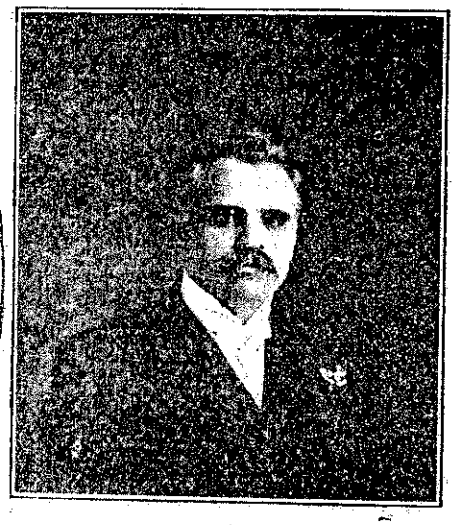

جورج فاعور

الذي يذكر له بالثنا تجرده لمساعدة المهاجرين لوجه الله منذ اول وجود تجارة محل فاعور في نيويرك وكان من اعضاء وقد المنتدى السوري الامريكي المعين لتهنئة الرئيس ولسن عند انتخابه

المرحوم دانيال فاعور

رئيس محل فاعور اخوان الذي توفي في ٣١ ايار سنة ١٩١٩ وكان موسس واول رئيس للغرفة التجارية السورية في نيويرك ومن امنا صندوق لجنة اعانة منكوبين سوريا ولبنان وغيرها ومن اصحاب الايادي البيضا في كل مشروع خيري ووطني

دوميط فاعور

من نبها الشبان السوريين في نيويرك واول عضو سوري في جمعية فرسان كولمبوس في امريكا ومن اعضا جمعية التامين التجاري الامريكية وجمعية التجارة الامريكية واكاديمية الاقتصاد السياسي في نيويرك وسواها

ففي سنة ١٨٨٤ وصل الى مدينة بوسطن مع افراد المهاجرين الاولين رجل من حدث الحبة في جبل لبنان يدعى يوسف فاعور ورفقته ثاني انجاله ويدعى جورج. جاء هذا الرجل كما جاء غيره ممن سمعوا بسهولة تحصيل الثروة في امريكا ولنفس الغرض وهو جمع اكثر ما يمكن من المال باقل ما يمكن من الوقت والرجوع الى الوطن. لذلك لم يقم يوسف فاعور وابنه في سفرتهما هذه الاولى الى امريكا سوى سنة واربعة اشهر فانفقا ما كانا قد جاءا به من البضائع القدسية وقفلا راجعين وقيل انهما في كل مدة تجولهما في ولايات نيو انكلند في ذلك الوقت لم يلتقيا من السوريين من يتجاوز عددهم عدد اصابع اليد

ولكن بعد رجوعهما الى لبنان واقامتهما في بلدهما حينا غلب عليهما الحنين الى البلاد التي درت عليهما الذهب والفضة فعادا اليها ورفقتهما هذه المرة الفتى دوميط وهو لا يتجاوز الحادية عشرة. فاقاموا جميعا هذه المرة مدة اطول ثم عادوا. ولكن مدة الاقامة في الوطن هذه المرة لم تطل كالمدة الاولى فتخلف الوالد ولكن جاء في مقامه الاخ الاكبر دانيال فجعل الاخوة الثلاثة — دانيال وجورج ودوميط — هذه المرة وجهتهم نيويرك وكانت حركة المهاجرة السورية الاولى اذ ذاك على اشدها فابتدأوا حياتهم التجارية الاولى في المحل المعروف بالثقب في الحائط وهو كما تدل عليه الكناية محل صغير واقع تحت رقم ١٩ شارع موريس لم تكن اجرته غير نحو ١٥ دولارا في الشهر

اما كيف كان يشتغل هولاء الشبان في ذلك الوقت فمما يدل على الحماسة التي كان متصفا بها المهاجرون السوريون الاولون. ولم يكن نصب عيونهم غير غرض واحد يسعون بكل قواهم العقلية والجسدية لادراكه وهو تحصيل ثروة معتدلة والرجوع الى الوطن. تلك امنية جميع المهاجرين التي شاءت الاقدار ان لا تحقق الا من وجه واحد ذلك انهم نجحوا في جمع الثروة ولكنهم لم يعودوا

في تلك الايام لم يكن للعمل وقت محدود وكان الرغبة الخارقة اوجدت في نفوس الاخوة الثلاثة قوة غير محدودة ايضا فكانوا يصلون الليل باطراف النهار ولا يكلون. وهذه من ميزات وفضائل التجار الاولين التي تجعل كل دارس لحقيقة ما عانوا ان يبارك لهم في ما جنوا ويعترف لهم بان نجاحهم كان عن استحقاق

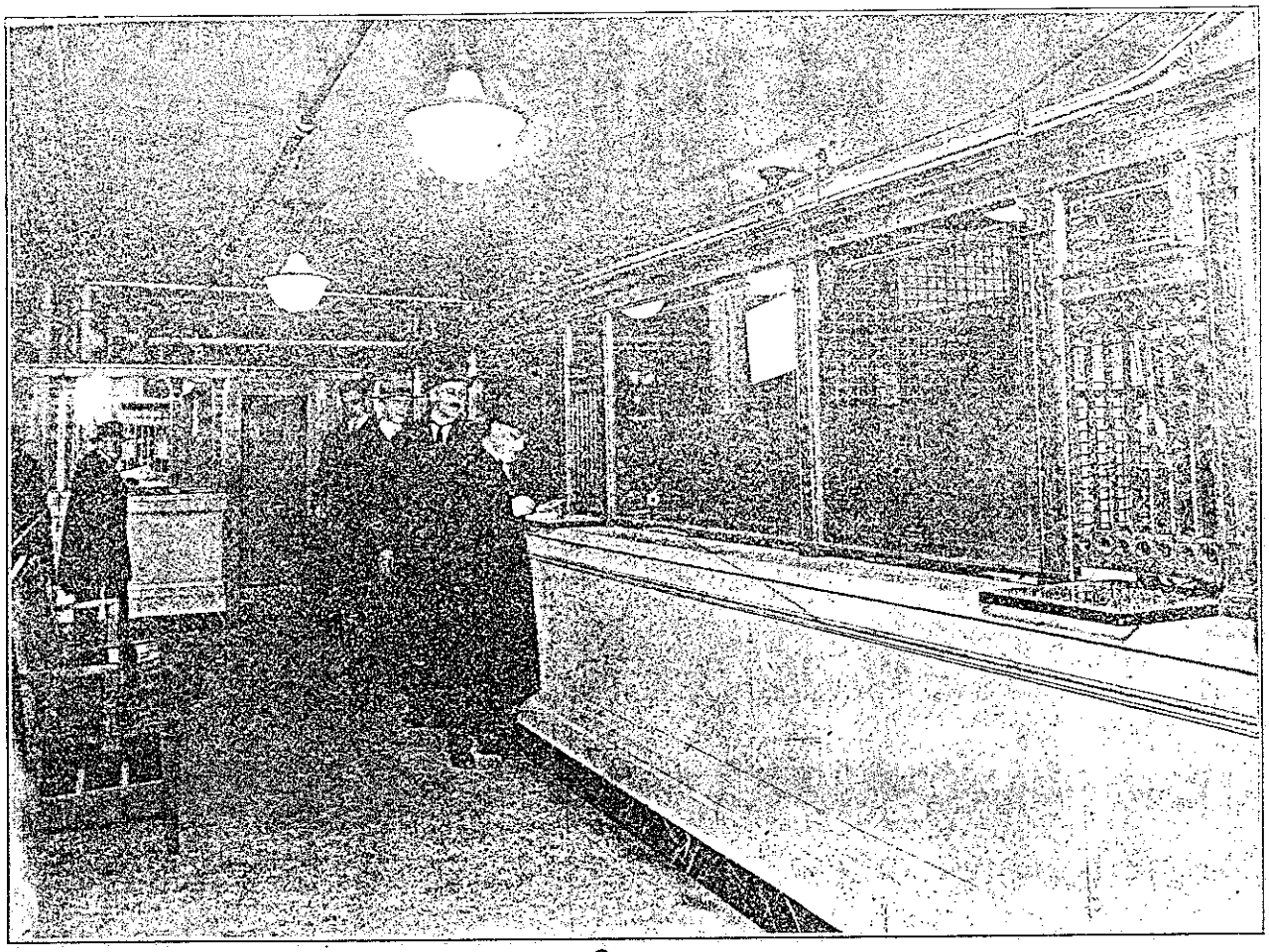

مشهد قاعة الصرافة في بنك فاعور الواقع تحت رقم ٨٥ شارع وشنطون نيويورك

وكان تطور تجارة محل فاعور مرافقا لتطور التجارة السورية لانهم حصروا اشغالهم بين ابناء وطنهم حتى السنين الاخيرة عندما انقطعوا عن تجارة الدراي كودس على الصورة الشائعة اولا وتحولوا الى الاعمال الاقل عناء والاوفر عائدة فجعلوها ثلاثة فروع رئيسية وهي تجارة الاستيراد والاصدار والعمولة بالبضائع العمومية . ثم الصيرفة وتجارة العقار . وقد جعلوا لكل من هذه الفروع دائرة منظمة يتولاها اختصاصيون قديرون تحت مناظرتهم الشخصية واصبحت اشغالهم على الجملة في حالة من الارتقاء اذا قابلها المراقب بما كانت عليه عندما كان مركز المحل لا يزال في ثقب الحائط تعجب من الانقلاب المدهش الذي طرا على التجارة السورية والتقدم العجيب الذي ادركته والذي نجد من اوجه الادلة عليه حالة محل فاعور

فالشبان المهاجرون الذين طالع القارئ وصف جهادهم هم اليوم من اعظم التجار ليس فقط بين السوريين بل بين طبقتهم من الاميركان ايضا واصحاب المصرف السوري الوحيد في اميركا الحاصل على اجازة من حكومة ولاية نيويورك واكبر ملاكين سوريين في مدينة نيويورك ووكلاء لمعظم شركات البواخر الكبرى ومن المنظور اليهم بالاعتبار بين السوريين وبالاعجاب من حلقة معارفهم الواسعة بين الاميركيين

والجميل انهم لم يدركوا ما ادركوه عن حظ ام صدفة بل بفضل ما يصرحون انهم يعتبرونه اهم واعز من اي رأس مال مادي وهو الاجتهاد والاستقامة ويستشهدون على ذلك بالثلاثين سنة التي انقضت عليهم بالتجارة وهم على تقدم مستمر

ذلك بعض تاريخ محل دانيال يوسف فاعور واخوته الذي يدرك من اهميته بعض اهمية التجارة السورية في المهاجر الاميركية في حالتها الحاضرة وهو من خيرة المحال التي يصح الاستشهاد بارتقائها على الانقلاب المدهش الذي طرا على تجارة السوريين في نيويورك في الثلاثين سنة الاخيرة

Arab American National Museum

محل حاماتي اخوان

تاسس سنة ١٨٩٦

لا تبلو حقيقة اخلاق التجار غير التجارب وقد وقعت لهذا المحل حادثة عند تاسيسه اثبتت استقامة صاحبيـه ومحافظتهما على حقوق عملائهما فكان ذلك مع ما اشتهرا به من الاجتهاد في العمل والمقدرة في الادارة سبب النجاح الذي ادركاه

مثلمـا ان العلم مجموعة امتحان واختبـار هكـذا التاريخ مجموعة شواهد واخبار . وان مطـالع تـاريخ التجارة السورية في المهاجر الامريكية يجد بدون ريب في النبذات التاريخية التي نحن موردونها عن المحـال التجارة السورية المشهورة شوارد من الاخبار فيها الكثير من الفوائد والمغازي الجليلة

ومن الحوادث التي يذكرها قدماء التجار السوريين في نيويرك ما وقع لاحدهم عند اول اقتحامه مخاطر التجارة فقد باشر اعماله وليس له من العدة غير ما كان لمعظم معاصريه من التجار السوريين في ذلك الوقت وهو قليل من راس المال المادي وكثير من الاجتهاد والحماسـة ومن فضيلة الاستقامة . وقد توفق الى اكتساب ثقة بعض ابناء بلده الذين قصدوا هايتي وكانت اولى ارسالياته اليهم شحنة تبلغ قيمتها نحو ثلثمائة وخمسين دولارا . وبعد ان اوصل التاجر الصناديق الى محطة الباخرة احس كان حملا ازيح عنه وكان مسوءوليته قد انتهت بذلك . ولكن شد ما كان تعجبه عندما عرف في اليوم التالي ان الباخرة المشحونة عليها بضاعته اصطدمت بباخرة اخرى في الضباب وهي خارجة من المرفا وغرقت بما فيها . ولم يكن التاجر قد ضمن البضاعة شان ما كان يفعل معظم معاصريه من التجار السوريين الاولين نظرا الى قلة اختبارهم بهذه الاصول التجارية . فطالب ادارة الشركة التي تخصها الباخرة بقيمة بضائعه فانكرت عليه هذا الحق . فانقلب اذ ذاك يطالب عميله في هايتي وكان من حسن اعتقاد هذا باستقامة التاجر النيويركي انه دفع له القيمة وجدد علائقه معه . وانقضت على ذلك سنتان عاد في اثنائهما العميل الى الوطن بعد ان قسم عن اخيه الذي تخلف في هايتي اما التاجر النيويوركي فما زال كل هذه المدة يداعي شركة الباخرة بحق التعويض عن البضائع الغارقة واخيرا صدر له الحكم بالقيمة مع الفائدة فما كان منه الا ان اسرع الى ارسال القيمة مع فائدتهـا مناصفة بالتساوي الى كل من الاخوين في هايتي وفي الوطن مع ان هذين كانا قد نسيا القيمة ولم يحلما قط بامكان الاستعاضة بشيء منها ولم ينتظرا ذلك

وقد اخذ تجار نيويرك في ذلك الوقت من حادثة غرق البضاعة غير المضمونة امثولة مفيدة لان معظمهم كان يجهل اصول التجارة مع الخارج التي تستوجب معرفة فنية كبرى بطرق المعاملات غير ان فائدة التاجر صاحب البضاعة لم تنحصر في التنبه الى ضرورة اخذ ضمان على المشحونات والعمل بالاصول التجارية الاخرى التي اصبح واخيه عارفين بكل اصولها وفروعها فيما بعد بل كانت فائدته الاعظم والابقى من اشتهاره بالاستقامة التي برهنت عنها هـذه الحادثة لان العميلين اللذين استرجعا قيمة بضاعتهما مع فائدتها بعد ان سطراها في حقل الهوالك وسدلا عليها ذيل النسيان بعد طول الزمان اخذا يذيعان خبر هذه الحادثة النادرة الدالة على منتهى الشهامة والاستقامة فتعاظم الاقبال عليه وما زالت اشغاله مطردة النجاح منذ ذلك الحين حتى اصبح محله في مقدمة المحال السورية المشتغلة بالتصدير الى الخارج مثلما هو من اقدمها .

اما ذلك التاجر النيويركي فهو جرجي حاماتي من البترون لبنان موءسس وكبير المحل التجاري المعروف باسم حاماتي اخوان والذي يشاركه فيه اخوه الاصغر بشاره الذي انضم اليه بعد تاسيسه المحل بنحو ثلاث سنوات والمتصف مثل اخيه الاكبر بالاجتهاد والمقدرة والاستقامة

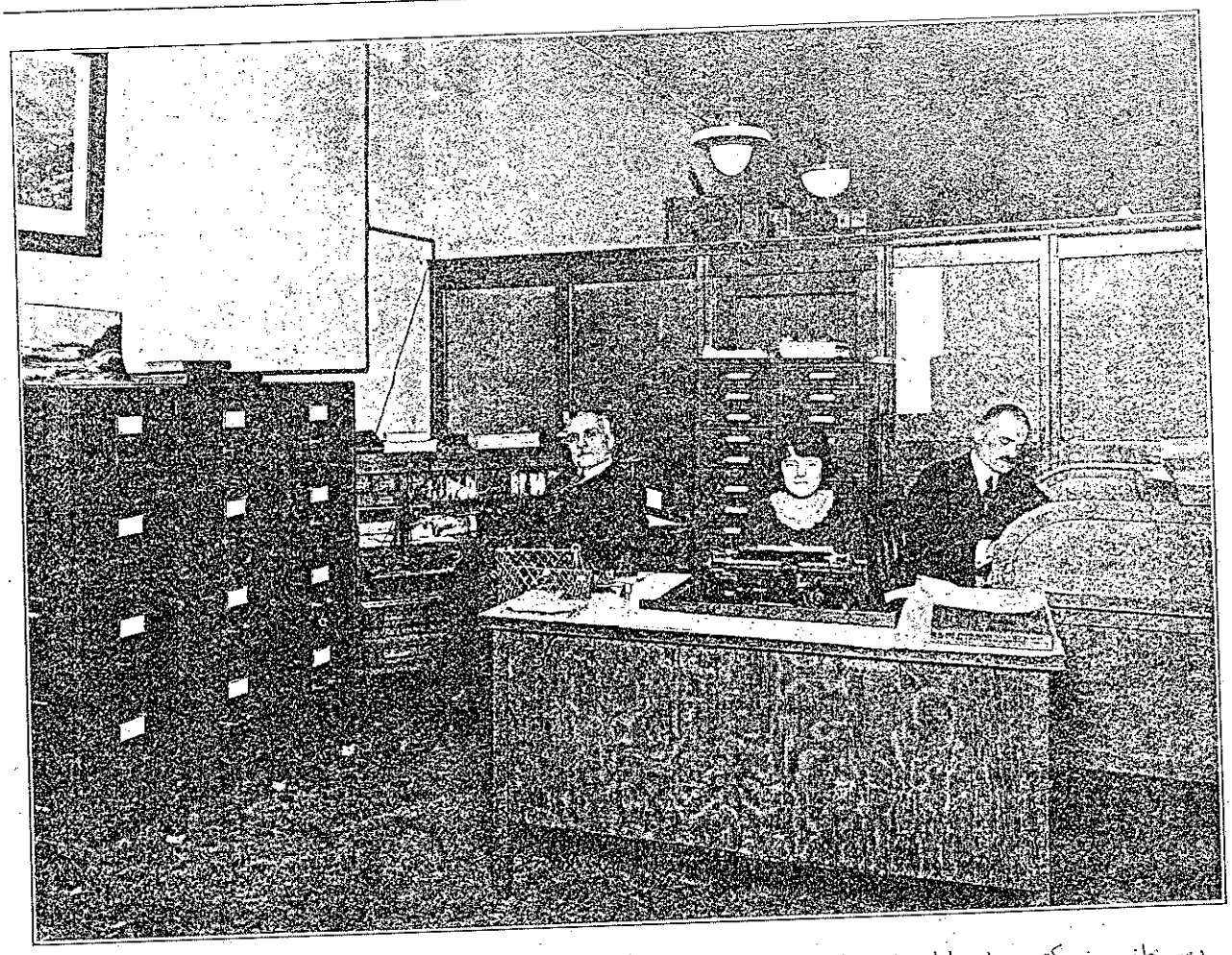

رسم جانب من مكتب محل حاماتي اخوان في نيويرك يظهر فيه الى اليسار كبير المحل جورج والى اليمين اخوه بشاره

اما مقدار تقدم اشغال هذا المحل فيستدل عليه من انه بعد ان كان يستكبر طلبا بمئات الدولارات اصبح بعد مرور السنين المعدودة قليلة في عمر التجارة لا يستكبر الطلبات التي ترد عليه بالالوف ويقدر على تقديمها. وكما كانت بداية اشغال المحل مع التجار السوريين في هايتي هكذا لا يزال قسم كبير من اشغاله معهم حتى هذا الوقت نظرا الى اختبار صاحبي المحل حاجات تلك السوق والى عقدهم مع مواطنينا فيها علائق تزداد تمكنا مع تقادم العهد غير ان نمو اشغال المحل لم ينحصر في هذه الجهة بل امتد وتفرع حتى اصبح يتناول الاصدار بالكميات الكبيرة الى البرازيل والارجنتين والمكسيك والاكوادور ومصر والسودان والفيليبين وغيرها كثير من البلاد الامريكية وسواها. هذا فضلا عن اشتغاله بصنع الاقمشة الحريرية والقطنية لحسابه بالكميات الكبيرة مما يوافق طلب السوق المحلية والاجنبية

ولمحل حاماتي اخوان اسم من اطيب الاسماء التجارية في السوق التجارية الامريكية مثلما ان لصاحبيه منزلة رفيعة من الاعتبار بين معارفهما من اجانب وسوريين واكبرهما يعد من اباء المهاجرة وفضلاء النزالة وهو من الافراد الممتازين الذين يرجع اليهم الفضل في تصيير التجارة السورية في الحالة التي بلغتها من الارتقاء والاهمية.

* * *

Arab American National Museum

محل رحيم وفارس

تاسس سنة ١٩٠٠

صاحبا هذا المحل من اقدم المهاجرين السوريين في نيويرك ومن اعرقهم في التجارة وقد جاء اشتراكهما في الاونة الاخيرة برهانا على عظم الفائدة التي تحصل من توحيد القوة والعمل بالتعاون

عندما اذيع منذ سنة خبر عقد شركة تجارية بين الصديقين الوفيين شكري رحيم وغطاس فارس لم يقع الخبر موقع الاستغراب عند احد من عارفي هذين المواطنين اللذين اشتهرا بين الجالية السورية في نيويرك بتوثق عرى الصداقة بينهما وبشدة تعلق واحدهما بالاخر منذ اول عهد المهاجرة السورية الى نيويرك التي كانا من السابقين اليها. ولم يشك احد من عارفيهما بان اجتماع مواردهما وقواهما الوافرة من ادبية ومادية سيكون معززا بل مضاعفا للنجاح الذي كان قد ادرك منه كل منهما شطرا وافرا. لان كلا منهما رافق التجارة السورية في نيويرك منذ حداثتها ونما بنموها واكتسب من طول مزاولته التجارة وتقلبه معها في كل اطوارها اختبارا واسعا كثير التنوع وجنى ارباحا وافرة

فاحدهما شكري رحيم من جزين لبنان وجد في نيويرك عندما كانت التجارة السورية في مهدها. فقد كان منذ اكثر من عشرين سنة عاملا ثم شريكا في محل انسبائه رحيم وملحمه الذي كان من اقدم المحال التجارية السورية في نيويرك. واختبر الاشغال على تنوعها بحسب ما كانت تتخذ من الاشكال. ثم كانت له شركة في محل معوشي اخوان ثم في محل ملحمه وشركاه وكان في اثناء ذلك يسافر الى المكسيك حيث له اخوة من معدودي التجار ويعقد العلائق النافعة مع كبار التجار المواطنين في تلك البلاد ويأتي من ضروب التفنن في الاشغال ما يبرهن عن مقدرة فائقة

ومثل ذلك يقال عن غطاس فارس موءسس محل غطاس فارس وشركائه والمأثور عنه انه ما زال في التجارة منذ عشرين سنة في مركز واحد ثابتا ثبوت الجبل الراسي وقد كان تقدمه مطردا حتى انه اشترى منذ عدة سنين البناية الكبيرة الواقعة تحت رقم ٢٣ شارع وشنطون والتي بفضل جودة موقعها وما يدخل اليها من التحسين ستصبح من اجمل الابنية في الحي السوري. اما التحسين فيتناول زيادة طبقين

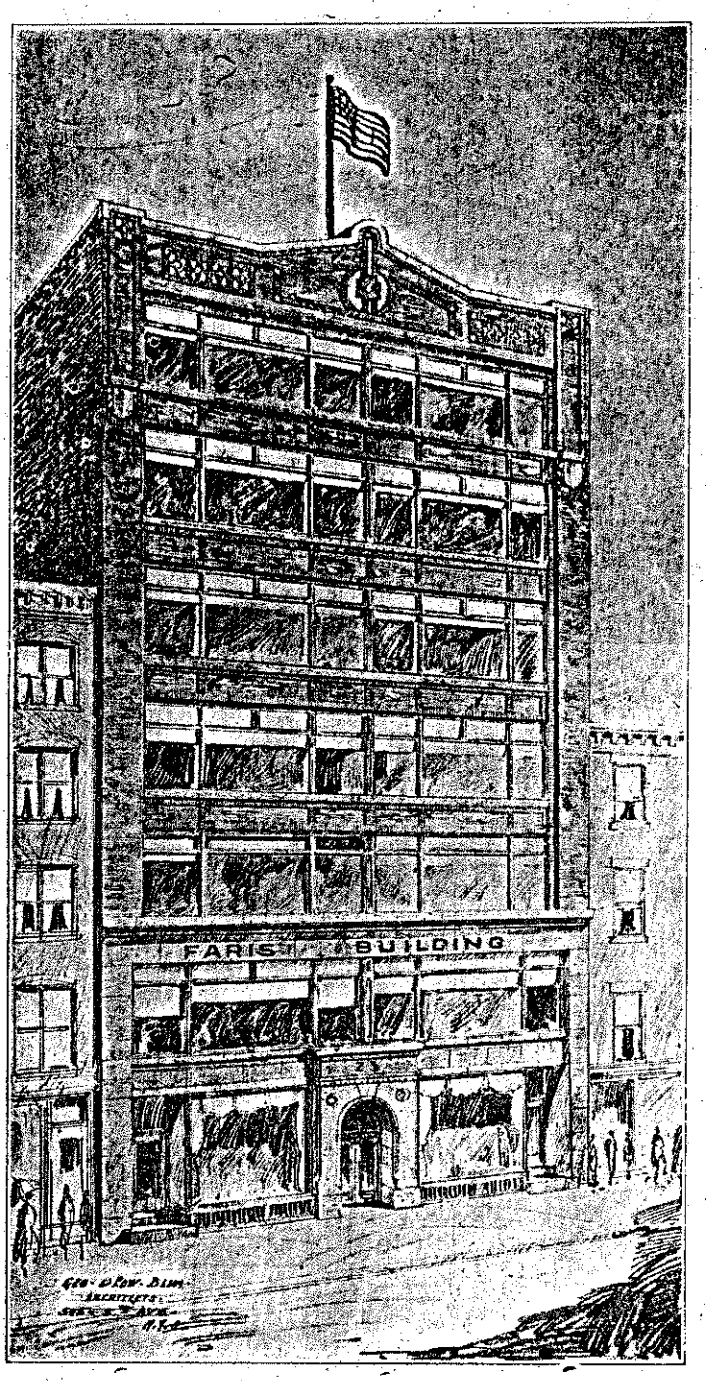

البناية الجديدة الجميلة في شارع وشنطون المعروفة «ببناية فارس» لصاحبها غطاس فارس احد صاحبي محل رحيم وفارس

على الخمسة اطباق الحاضرة وبناء الواجهة من الحجر السماقي الجميل وانشاء مرقاة «اليفاتر» للركاب والشحن وسائر ما يدخل في استعدادات الابنية الحديثة . وستبلغ النفقة على هذه الاصلاحات زهاء ٧٥ الف دولار وقد بوشر العمل ولا يجيء الربيع وهو وقت ابتداء مواعيد الايجار حتى يكون قد اكتمل

وتاريخ غطاس فارس اشبه شيء بتواريخ معظم التجار السوريين الناجحين بين المهاجرين. فقد ترك مسقط راسه العربانية لبنان وهو لا يزال فتى وجاء الى نيويورك للانضمام الى اخيه الاكبر الذي كان سبقه الى المهاجرة وانشا لنفسه تجارة فاستخدم عنده واقتبس من المعرفة قدرا وافرا. ثم لما عاد اخوه الى الوطن بما جمع من الثروة لبث هو حينا يفكر في مستقبله وكانت حماسة الشباب تدفعه الى المخاطرة والاستكشاف فقصد جزيرة كوبا حيث اقام حينا ثم عاد وقد توسعت دائرة نظره فانشا في سنة ١٩٠٠ محله الذي قدر له ان يزداد نموا مع مرور كل سنة سواء في فرع التجارة الداخلية او الخارجية

اما اشغال المحل في حالتها الحاضرة فراجحة في جانب الاصدار ومع كون علائق المحل ممتدة الى معظم البلاد الاجنبية فان اعظمها ما نشا مع بلاد المكسيك التي وفى صاحبا المحل سوقها درسا واختبرا حاجتها وخصائصها من جميع وجوه النظر

ولهذا المحل اسم نجاري بين الهياة الاميركية والسورية من اطيب الاسماء وهو حجر كريم في العقد الذي يزين جيد التجارة السورية في نيويورك ولا بد في طبائع الاحوال ان يكون تقدمه مضاعفا بعد ان اتحد في ادارته صديقان وفيان بلت السنون اخلاصهما واشتهرا باتفاقهما وتشابه اخلاقهما فاصبحا كالرجل الفرد في تعاونهما على العمل فضلا عما توفر لهما من الشروط الاخرى الكافلة النجاح مثل الاجتهاد والاستقامة ووفرة راس المال مما عرف عن كل منهما مفترقين وسيبدو فيهما بصورة اكمل متحدين

* * *

محل منصور الحلو واخوته

تاسس سنة ١٩٠٥

ثلاثة اخوة كان لهم من اجتهادهم واتحادهم اهم راس مال صيرهم من الطبقة الاولى بين التجار السوريين في المهاجر وهم بما لهم من السمعة الحسنة من خيرة من اوصلوا التجارة السورية الى مبلغ ارتقائها الحاضر

كان من قدماء المهاجرين الى هذه البلاد الذين جمعوا ثروة معتبرة وعادوا بها الى الوطن المرحوم طنوس منصور الحلو من حصرائيل لبنان الذي ابتدا التجارة اولا في ينغستون اوهايو ثم انتقل الى نيويورك حيث ما لبث ان اصبح من طبقة كبار التجار السوريين بفضل وفرة الاقبال عليه من المتجولين وتجار الداخلية الصغار

وكان يشتغل في محله في نيويورك في ذلك الوقت شابان في ريعان الصبا هما منصور ونعوم الحلو اللذان لم يكنيين شبان الجالية اوفر منهما اداباواشد انصبابا على العمل واخلاصا في القيام بالواجبات

وقد لبث الشابان في خدمة عمهما حتى سنة تقريره اعتزال الاشغال والرجوع الى الوطن بثروة شاع بين الجالية اذ ذاك انها لا تقل عن مائة الف دولار. ولكنهما لم يدخلا في خدمة احد سواه وصحت عزيمتهما على الاستقلال في التجارة وكان لهما مما وفراه من مرتبهما مدة استخدامهما راس مال صغير عوضهما عن صغره ما اشتهر عنهما من الاجتهاد المفرط والاداب الحسنة والاستقامة الراسخة وقد توفقا الى اكتساب معظم زبائن محل عمهما المعتزل واضافا اليهم عددا كبيرا ممن راقتهم طريقة معاملتهما . وفي سنة ١٩٠٨ اقبل من الوطن شقيقهما فيلون فانضمت الى المحل قوة جديدة واصبحت اشغال المحل تتقدم تقدما مدهشا بمساعي الاخوة الثلاثة المتحدة

ومما اشتهر عن هولاء الاخوة فرط محبتهم واعتبارهم الواحد للاخر واكبرهم منصور رئيس المحل معدود في الوقت نفسه رب العائلة له الراي الاول والكلمة الاخيرة وقد كانت فضيلة الاتحاد مضافة الى ما اتصف به الاخوة من الاستقامة والاجتهاد من اهم دواعي نجاحهم

ان القارىء ليدرك شيئا كثيرا من نجاح التجارة السورية في نيويورك من تقدم اشغال هذا المحل . فقد كانت قاعدة اشغال الاخوة في البداية البيع نقدا والاكتفاء بالارباح القليلة

Arab American National Museum

يتاجرون بكل ما يطلب منهم من انواع البضائع ويشترونها نقدا من مصادرها الا انهم بالنظر الى قناعتهم بالربح المعتدل لا يبيعونها الا نقدا ايضا ٠ومع ان المزاحمة التجارية كانت قد اشتدت في ذلك الوقت بين السوريين واخذ بعض التجار يسلفون لوعدات طويلة فقدلبث تقدم محل منصور الحلو واخوته مطردا والاقبال عليهم مستمرا

وتبعت اشغال المحل حركة التجارة السورية في تقلباتها المختلفة حتى كادت تتحول الا نبمعظمها الى التصدير والاستيراد وفي اثناء الحرب عقد المحل علائق قوية مع البرازيل والبلاد الاجنبية حتى اصبح يعد من اكبر المحال التجارية من هذا النوع في نيويورك

وقد اقتضى هذا التوسع في الاشغال ان توجد التسهيلات الوافية به فاستاجر الاخوة بناية بكاملها مؤلفة من خمسة اطباق واقعة تحت رقم ٥٤ شارع وشنطون جعلوا المكاتب في الطبق الارضي منها ووزعوا الدوائر المختلفة على الاطباق الاخرى٠ وقد كان الزائر يدخل المحل احيانا فيجد الصناديق المعدة للشحن مكردسة فيه بالمئات عدا ما يشحن من المعامل راسا ٠ وتم هذا الانقلاب المدهش في اشغال المحل — من الاتجار باصناف محدودة من طلب الباعة على قاعدة المعاملة النقدية الى ارسال شحنات الى الخارج تبلغ قيمتها مئات الوف الدولارات دفعة واحدة — في مدة تعد قصيرة في عمر التجارة ٠ ولكن في هذا التقدم شاهدا على الانقلاب العجيب الذي طرا على التجارة السورية في السنين الاخيرة

ومن المستحب في اصحاب هذا المحل انهم على رغم غناهم باقون على دعتهم ومنصرفون الى خدمة زبائنهم بنفس الهمة والاجتهاد والاستقامة والاخلاص التي اتصفت بها حياتهم التجارية في بدايتها وهم بفضل ذلك سيظلون من العوامل الناهضة بالتجارة السورية الى مركز الرفعة الذي يستحقه اجتهاد وذكاء المهاجر السوري

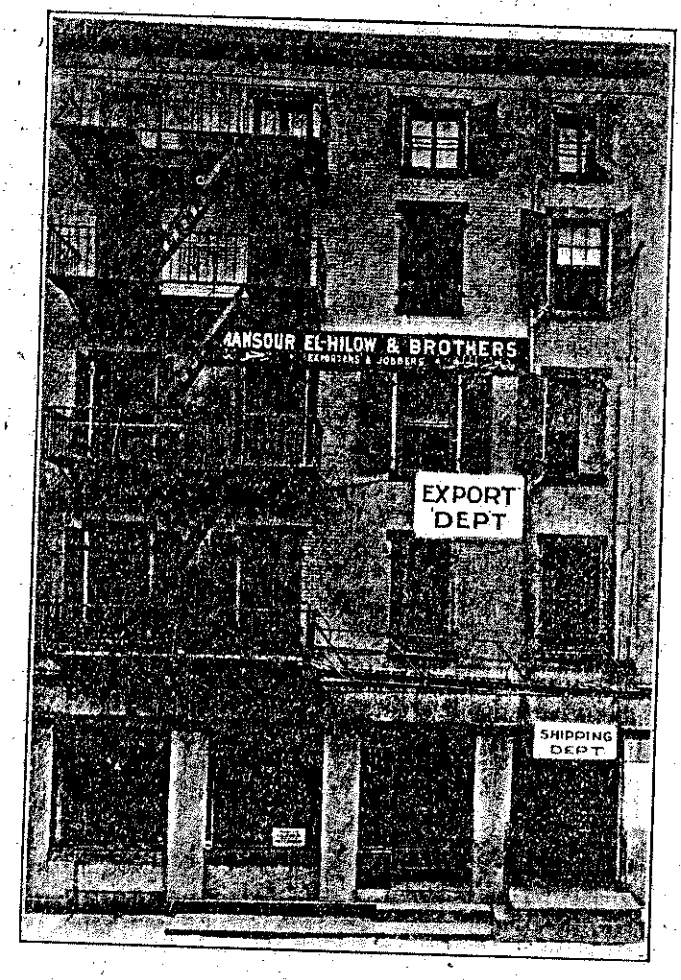

البناية التي يشغلها محل منصور الحلو واخوته في نيويورك

محل زريق اخوان

حيث تكون الهمة والاستقامة مقرونتين الى الاختبار وراس المال فلا بد ان يكون النجاح سريعا على ما يثبت من تاريخ هذا المحل السوري الكبير في نيويـرك

في شارع ورث الواقع في قلب حي تجارة الاقمشة في نيويرك محل سوري لاصحابه زريق اخوان (سليم ونجيب وفيليب) من بيروت كان تقدمه في الثماني سنين التي انقضت على تاسيسه مدهشا بجسامته واهميته٠ ولا غرو ان يصيب التباجر نجاحا مثل هذا النجاح الباهر اذا توفرت فيه مثل الشروط التي اجتمعت في اصحاب هذا المحل من النشاط والاستقامة والاختبار وراس المال

فقد كان قدوم الاخوة الى نيويرك من هايتي سنة ١٩١٢ قصد تعاطي تجارة التصدير الى عملائهم في تلك الجزيرة التي كانوا قد قضوا فيها زهاء العشر سنين يتعاطون

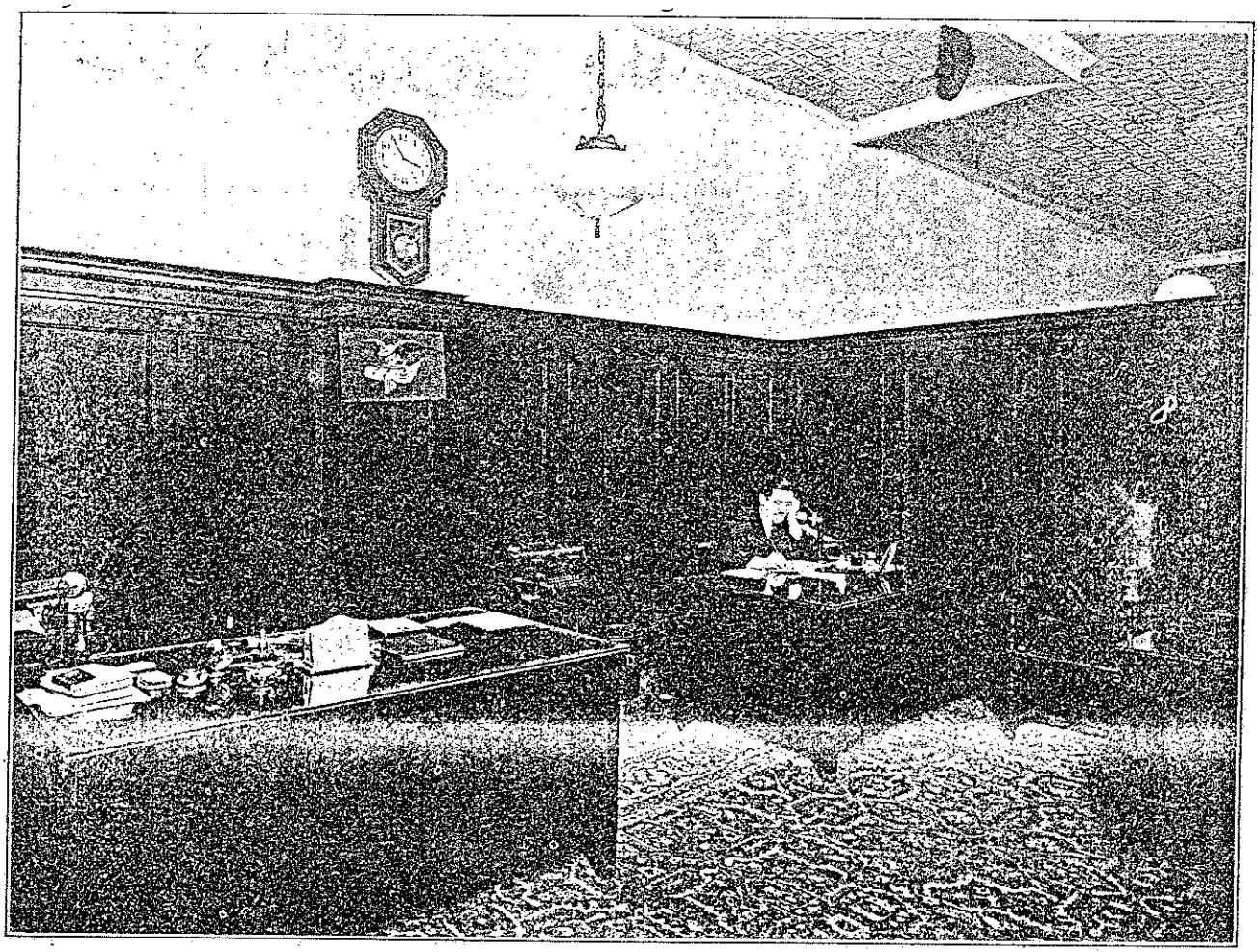

مشهد جانب من مكتب محل زريق اخوان في نيويرك ويظهر في الرسم احد الاخوة نجيب جالسا الى مكتبه

التجارة مع والدهم الذي سبقهم الى المهاجرة . وتمكنوا بفضل ذلك من جمع راسمال يذكر جاءوا به الى نيويرك ولم يصعب عليهم ابتداء الاشغال في السوق الاميركية نظرا الى ما كان قد سبق لهم من الاختبار في اصناف البضائع الرائجة في البلاد التي يصدرون اليها . وساعد على رواج تجارتهم سعة دائرة معارفهم بين التجار وحصولهم على الثقة التامة من جانب معامليهم بنوع انهم من بداية متوسطة كانت تبلغ دائرة اشغالهم السنوية فيها بضع مئات الوف الدولارات ما عتمت ان ارتفعت في السنين الاخيرة الى الملايين

وبذلك على حذق السوري في التجارة ان اصحاب هذا المحل انصرفوا بعد وقت قصير من تاسيسهم محل نيويرك الى طبع الاقمشة لحسابهم واستنباط الرسمات الموافقة لاصطناع الكيمونا وسواها وذلك بصورة مكنتهم من مضاربة اكبر البيوت التجارية الاميركية القديمة التاسيس

وهنا ما نرى مقدار ما يمكن ان يحصل من الفائدة من تعارف الجوالي السورية المشتتة لو وقفت كل جالية على مبلغ استعداد الجالية الاخرى لخدمتها . فان محل زريق اخوان اعتمد في انفاق اقمشته بالاكثر على اصحاب معامل الكيمونا السوريين الذين تقدموا في اصطناع هذا الصنف ما شاء التقدم حتى اصبحوا يعدون من اكبر المشتغلين به في البلاد . فلو جرينا على هذه القاعدة ليس فقط في تجارتنا المحلية بل الخارجية ايضا واهتممنا لدرس حاجات بعضنا البعض لحصل لنا من ذلك من الفوائد المتبادلة مالا يمكن ان يدخل تحت حصر

وقد حصر محل زريق اخوان قواه في البضع سنين الاخيرة في تجارة الاصدار فبلغ فيها من الاهمية المبلغ الذي سبقت الاشارة اليه

* * *

Arab American National Museum

تجارة الكيمونو والملبوسات الحريرية

نشات هذه التجارة بفضل استطلاع الدوارين السوريين شان معظم الاصناف التجارية الكبيرة الاخرى ولكنها بلغت شاوا من الاهمية صيرت بين السوريين دوائر صناعية وتجارية عظيمة الاتساع واوجدت لاصحابها ثروات تعد بعشرات الملايين واكسبت السوريين شهرة طائرة في العالم الامريكي بالمقدرة على الابتداع وبالذكاء الخارق في التفنن وبرسوخ القدم في اصول علم التجارة

ما يمكن ان يقال بتاكيد انه ليست للسوريين صناعة اولية في المهاجر الامريكية على مثل اهمية صناعة الكيمونو. نعم ان لهم تجارات واسعة في اصناف خصوصية تقدموا فيها ما شاء التقدم وجرت لهم قدرا وافرا من الارباح صيرت لبعضهم ثروات طائلة . غير انه لم تقم بعد بين السوريين تجارة باتساع وبادمية تلك التي لهم باصناف الكيمونو نشات ونمت وانحصرت في هذه البلاد . او بعبارة اخرى ان السوريين في كل تاريخ مهاجرتهم لم ينصرفوا بعد الى مزاولة صناعة ينتجون فيها صنفا للاتجار كان بادمية صنف الكيمونو وذلك باستخدام التسهيلات الصناعية الموفورة في نفس المهجر. فان منهم تجارا كبارا لاستجلاب البضائع البيضاء التي اصبحت من اهم الاصناف التجارية في امريكا وانشا اصحابها المعامل في اماكن كثيرة من اوروبا والشرق — غير ان تجارة الكيمونو نشات ونمت على نوع من البضائع مشغولة في اميركا ومعروفة مصادرها وطرائق اصطناعها فجاء تفوق السوريين فيها على الرغم من شدة المزاحمة الوطنية اقصح دليل على مقدرتهم على مجاراة اي الاقوام الاخرين حتى في ارقى الاوساط الصناعية والتجارية

والذي يمعن النظر في عظم تقدم التجار السوريين في صناعة هذا الصنف لا يسعه الا الاعجاب بالذكاء الفريد الذي ارشدهم الى اختياره ومكنهم من تقدير عظم اهميته حتى منذ كان في اول ادوار ظهوره. بل ان الذي يتامل في مبلغ الارتقاء والاتساع الذي ادركته هذه الصناعة في حالتها الحاضرة لا يتمالك عن الاندهاش من النشاط العملي والمقدرة الادارية وصحة الاحكام التجارية التي مكنت السوري من تولي تدبير مصالح متناهية في الجسامة على غير اختبار سابق. فتجار الكيمونو لا يختلفون عن سائر اخوانهم المهاجرين من حيث الاستعداد الاولي الا انهم وقفوا الى اختيار صنف قابل للتوسع العظيم ونشطوا للانتفاع منه ليس فقط من الوجهة التجارية بل من الوجهة الصناعية ايضا فكانوا فيه منتجين اولين وجنوا من ذلك ارباحا غير متجزئة وحين تطلب تعليل منشا تجارة وصناعة الكيمونو تجد ان الفضل فيها راجع الى الدوار او البائع السوري شان معظم المرافق السورية الاخرى في المهاجر . فالكيمونو كانت صنفا من الاصناف العديدة التي سئل البائع والبائعة السورية عند دخول احدهما البيوت الاتيان بمثله فجاء يطلب ذلك الصنف من مواطنه التاجر النيويوركي ويستحثه على جلبه. وقد كان من الاصناف المعروفة ما يسهل الحصول عليها مثل الخرضاوات والاقمشة التي سبق لنا تعليل نشاة تجارة السوريين بها في فصل متقدم. انما كان صنف الكيمونو مما لا يسهل الحصول عليه من السوق العمومية لانه كان لا يزال صنفا مجهولا قليل الطلب الا من طبقة ذوي الرفاء والترف بين الامريكان . ولما كان التاجر السوري في نيويرك لم يجد بدا من تلبية طلب البائع وكان هذا الصنف الذي طلبه البائع غير موجود ليشتريه عمد الى اصطناعه. وقد كوفيء على هذه الهمة العالية في الاشغال بنجاح قل ان يوجد له شبيه في تاريخ التجارة السورية في المهاجر الامريكية

وقبل التطرق الى وصف اشغال الكيمونو في نيويرك وما وصلت اليه من الاهمية المتناهية لا نرى بدا من كلمة ايضاح عن اصل الكلمة وماهية الصنف . فكلمة كيمونو يابانية الاصل تطلق على الرداء الشائع استعماله في بلاد الشمس المشرقة وهو من بعض الوجوه يشبه الجبة المالوفة في البلاد السورية واللبنانية من حيث انه مفتوح على طوله

من امام يعطف طرف منه على الطرف الاخر ويشد عند الوسط بمنطقة فتوفر من استعماله راحة وسهولة في الحركة ظاهرة المنافع . وابين فوائده هي في سرعة وسهولة ما تتمكن الامراة من الظهور في بيتها بصورة لائقة اذا كانت غير مرتدية ملابسها العادية . فاذا زارها احد على حين غرة او اذا شاءت الخروج من غرفتها على عجلة حتى ليس ينفرج لها الوقت لارتداء ملابسها امكنها ارتداء الكيمونو والظهور امام خدمها واولادها بمظهر لائق لا تانفه الحشمة وقد كان اقرب شيء شائع استعماله في مقام الكيمونو عند النساء الامريكيات حتى ذلك الوقت الثياب المعروفة بالفساطين البيتية وهذه لم تكن غير فصيلة من الثياب المالوفة التي تظهر فيها النساء في الشارع غير انها اقل قيمة حتى ليمكن المراة ان تقضي فيها اشغال البيت وتستغني بها عن ثيابها الاعتيادية اذا لم يكن داع الى خروجها من منزلها . ولكن هذا النوع من الثياب ليس على شيء من السهولة والراحة الموفورتين في الكيمونو لانه خلافا لهذه يرتدى بادخاله من الراس وهو محكم الشد على الجسم حتى ليست المراة تشعر فيه بملء الحرية في الحركة

اما استعمال الكيمونو فقد كان في البداية مقتصرا على عيال من ذوات الثراء ممن طفن حول الارض وزرن البلاد اليابانية والشرقية وراين فوائد الكيمونو وجئن ببعض قطع منها على سبيل التحف ولغرابة الشيء الجديد . ولما كان المتجولون السوريون قد اخذوا يدخلون البيوت الامريكية الغنية فقد تسنى لهم مشاهدة الكيمونو وربما ان بعضهم خطرت له فائدة اصطناعها ليس فقط لبيعها من النساء الغنيات بل للتجارة الواسعة مع العموم . وما يجعل هذ التعليل قريبا من الصحة ان بداية صنع الكيمونو كانت بالاقمشة القطنية الرخيصة وان مباشرة صنعها من قماش الحرير لم تقع الا فيما بعد

فعلى هذه الصورة كان تطرق صناعة الكيمونو الى اشغال السوريين المهاجرين . وقد كانت بداية ظهورها في شارع كارلايل وهو احد الشوارع الصغيرة في الحي السوري في نيويرك قد لا يتجاوز طوله مائتي قدم فيبتدىء من شارع كرينوتش ويجتاز شارع وشنطون وينتهي بشارع وست المحاذي نهر الهدسن

وقد كانت بداية هذه الصناعة وضيعة ودائرتها محدودة فلا تتعدى بضع ما كبات خياطة اكثر ما تكون في المنازل غير انه لم ينقض الحول على بعض المشتغلين بها حتى نشطوا للتوسع وابدوا من المقدرة على تولي الاعمال الكبيرة ما يقف عنده دارس تاريخ التجارة السورية في المهاجر الامريكية متعجبا مبهوتا . ولا سيما بعد ان يتامل في عظم نمو هذه الغرسة الصغيرة التي غرستها يد التاجر السوري المهاجر منذ سنين معدودة ينظر اليها قدماء المهاجرين في نيويرك كانها امس

وقد كانت كلما مضت سنة جرت صناعة الكيمونو شوطا بعيدا في حلبة التقدم . وبعد ان كان تصريف نتاج المعامل الصغيرة مقتصرا في البداية على الباعة السوريين اخذ يتخطى هذه الدائرة الضيقة ويطلب السوق الامريكية الواسعة فتزداد اهمية المعامل على قدر ما كان يصادف هذا الصنف من تعاظم الرواج . وما لا يجوز الاغفال عن ذكره ان السوريين فضلا عن كونهم اول من صنع الكيمونو على صورة تجارية عمومية في امريكا فاليهم ايضا يرجع الفضل في افهام التجار والشراة الامريكيين فوائده فهم قد عانوا بسبب ذلك الصعوبات التي يلاقيها كل من يحاول ادخال صنف جديد الى سوق البيع والشراء . غير ان جهادهم هذا الاول لم يعدم الثمرة لانهم بفضل الاسبقية التي احرزوها في صنع هذا الصنف لا يزالون فيه حتى اليوم اصحاب المكانة الاولى واليد الطولى

ومما يذكر عن العناء الذي كابده بعضهم في بداية اقتحامه التجارة مع الامريكيين بهذا الصنف ان احدهم خطر له ان يهدي الى احد عملائه التجار الاميركيين كيمونا نفيسة لامراته على سبيل التودد والاكرام فغضب التاجر الامريكي وعد هذا العمل اهانة قائلا انه اذا كان يبيع هذه الملبوسات في مخزنه فليست امراته من طبقة النساء اللواتي يلبسنها . معانك اليوم لا تجد مخزنا في طول البلاد وعرضها الا وفيه انواع واشكال لا تحصى من الكيمونو ذلك لان استعمال هذه القطعة من الملابس النسائية قد عم الناس عموما على اختلاف طبقاتهم تلبسه السيدة ساكنة القصر مثل الفتاة العاملة المقيمة في غرفة مفروشة في المدينة او مثل الفتاة القروية التي تاوي الى الكوخ الحقير ولا فرق الا في افضلية القماش وما احدث في القطعة من التفنن في الزي والاتقان في الصنع حتى ان من معامل الكيمونو السورية في نيويرك ما تبلغ معروضاتها الخمسمائة قطعة عدا باختلاف في الازياء وانواع القماش . وقد بلغ من تفننها ان من مصنوعاتها ما تبلغ قيمة القطعة الواحدة منها

Arab American National Museum

مائة وخمسة وعشرين دولارا بسعر الجملة

واكثر معامل الكيمونو السوريـة الان هي في قلب الحي الصناعي في المدينة لان التجار راوا ضرورة الاقتراب من مركز نزول الشراة القادمين من الخارج ومن النقطة التجارية في المدينة بعد ان شعروا من الشراة بتذمر من اضطرارهم الى اضاعة الوقت للقدوم الى الحي السوري في القسم الاسفل من المدينة . وعندما اقدموا على اتخاذ هذه الخطوة بدت منهم اوجه الادلة على صحة نظرهم في الامور التجارية وعلى قدرهم اهمية الطرائق الحديثة قدرها . فقد بالغوا في اتقان معاملهم ومكاتبهم وقاعات معروضاتهم وسيروا المعتمدين المتجولين الى الخارج ولم يقتروا في الانفاق على اي ما كان من شانه ان يظهر اشغالهم بالمظهر اللائق بالاشغال الراقية على ما هي في الحقيقة بنوع ان المتاجر السورية في صنف الكيمونو هي من التي يشار اليها بافتخار في الدلالة على ارتقاء وتقدم الاشغال السورية في المهاجر الامريكية وعلى رفعة المنزلة التي وصل اليها السوري في عالم التجارة في السنين المعدودة التي انقضت على قدومه الى هذه الديار الغربية

وقد بلغ من اهمية واتساع اشغال الكيمونو ان لبعض المعامل المفردة من العمال ما يبلغ عددهم الخمسمائة وازيد وان معظم الكبار من تجار هذا الصنف يطبعون القماش من القطن والحرير لحسابهم وان كثيرين منهم يبلغ مبيعهم السنوي ملايين الدولارات ذلك فضلا عن كونهم في السنين المتاخرة قد خطوا خطوة اخرى في سبيل التوسع بان انشاوا الفروع في اليابان حيث اخذوا يصنعون انواع الكيمونو برسمات ولازياء خاصة وبتطريز يدوي نفيس تساعد عليه رخص اجور العمال اليدويين في هاتيك البلاد

وبعد الوقوف على ما تقدم من اهمية اشغال الكيمونو بين السوريين في نيويرك يدرك القارىء بداهة ان مثل هذه الاشغال الكبرى لا بد ان تكون سائرة على افضل قاعدة من التنظيم وحسن الادارة . وذلك هو الواقع . فمن الوجهة العملية نجد ان التفصيل والخياطة والكي والطي تصنع على قاعدة نظامية تراعى فيها احدث قواعد الاقتصاد في الحركة ومن الرسامين الذين يستنبطون الازياء من يتناولون مرتبات عالية لان من اقوى اسباب رواج هذه الاصناف ابتـداع الازياء المرغوب فيها . اما من حيث الادارة فقد توصل تجارنا الى ادراك اسرارها الدقيقة واتقان تفاصيلها حتى لا يفوقهم فيها اي الاقران . ولسنا بحاجة الى دليل على صحة القول مع ظهور النتائج الباهرة التي تسنى لهم ادراكها من اشغالهم الكبيرة

وقد تفرعت من اشغال الكيمونو مرافق صناعية وتجارية رفعت الاخذين بها الى ذرى النجاح . من ذلك تجارة الملبوسات النسائية الحريرية على انواعها ومعامل المنسوجات الحريرية وشريط الحرير التي اصبح للسوريين عدد منها يحسب له حساب بين معامل البلاد . وقد استخدم السوري في هذه الاعمال من النشاط والحذق والاجتهاد والمقدرة الادارية ما بدا منه في سائر المشاريع التي باشرها في مهاجره فاضاف بذلك صفحة جديدة الى تاريخه التجاري المجيد

واننا جريا على الخطة التي رسمناها في وضع هذا التاريخ نورد لمحات تاريخية عن اهم المؤسسات الصناعية والتجارية في الاصناف التي يتناولها هذا البحث وذلك على سبيل الاستشهاد بارتقائها واهميتها على ارتقاء واهمية تجارة وصناعة الصنف عموما . والمنشورة تواريخهم ورسوم محالهم ومعاملهم هنا خير مثال يمكننا عرضه على الراغبيـن في الوقوف على مبلغ الاهمية التي بلغتها تجارة وصناعة الكيمونو والملبوسات الحريرية النسائية بين السوريين في نيويورك في حالتها الحاضرة

محل مخايل عريضه

تاسس سنة ١٩٠٥

نشا مع صناعة الكيمونو عند اول ظهورها ورافقها في جميع ادوار نموها وتقدمها وكان من اصحاب الفضل الاوفر في جعلها على منزلتها الحالية من الاهمية وقد كان لهذا المحل من النجاح الكبير الذي اصابه خير مكافاة على اجتهاد و مقدرة واستقامة اصحابه حتى ان توسعه اصبح يتناول ليس فقط هذه الصناعة بل تجارة بالتصدير والاستيراد وهي من اوسع المتاجر السورية من نوعها في نيويرك

اذا ذكرت البيوت التجارية السورية في نيويورك التي بفضلها تسنى لصناعة وتجارة الكيمونو ادراك اهميتها الحاضرة وجب ان يذكر في مقدمتها محل مخايل عريضه ليس فقط من حيث الاقدمية بل من حيث الاهمية ايضا ففي تاريخ نشاة ونمو هذا المحل خير انموذج على تطور التجارة السورية في المهاجر الامريكية وعلى ما ادركته بالاخص تجارة الكيمونو من البسطة والاتساع والجسامة الشاهدة بمقدرة السوري الفائقة في المرافق التجارية

كان محل مخايل عريضه من المحال السورية الاولى التي صنعت الكيمونو وقد باشرها في مهدها اي في شارع كارلايل الذي هو جانب من الحي السوري في نيويرك . وكانت البداية على الصورة الوضيعة التي نشات منها معظم الاشغال السورية في الديار الامريكية . غير ان من وراء هذا المشروع الوضيع كان يوجد عقل مفكر ورايُ مدبر واجتهاد في العمل واستقامة في المعاملة ما عتمت ان دفعت المشروع في طريق التقدم بخطى سريعة ثابتة . حتى انه الان وقد ادركت تجارة الكيمونو بين السوريين اهميتها الحاضرة نجد ذلك المشروع محافظا على مركزه بين الصفوفُ الاولى بقدم راسخة

والذي يستقري تاريخ هذا المحل يجد فيه مثالا للتقلبات السريعة التي طرات على تجارة الكيمونا في نيويرك والنمو المدهش الذي اصابته فمن شارع كارلايل راى موءسس المحل بالنظر الى اتساع نطاق العمل ضرورة انشاء معمل جديد في النقطة المركزية من الحي السوري فاستاجرا طبقا في البناية الواقعة تحت رقم ٩٣ شارع وشنطون واعده بخمس ما كانت خياطة صيرت كمية الانتاج وافية بحاجة السوق في ذلك الوقت . ومعلوم ان معظم تجارة صانعي الكيمونو في العهد الاول من ظهورها كانت على التجار وعلى الباعة السوريين الا ان الدور العظيم الذي كانت مزمعة ان تمثله هذه الصناعة كان محفوظا لها الى حين انتقالها الى السوق الامريكية الواسعة . وكان محل مخايل عريضه من المحال الاولى بين تجار الكيمونا السوريين التي تنبهت لضرورة الانتقال الى الحي الصناعي الامريكي في اواسط المدينة. وهنا ما نجد دليلا ناصعا على صحة نظر التاجر السوري المهاجر في الاشغال . فان الفترة التي تخللت تاريخ تاسيس محل عريضه وتاريخ انتقاله الى الحي الصناعي الامريكي في المدينة لم تتجاوز السنتين . وقد ادرك اصحاب المحل على الرغم من قصر المدة التي انقضت على مباشرتهم هذه الصناعة ليس فقط ضرورة الانتقال الى النقطة التي تساعد اشغالهم على اكتمال نموها بل ضرورة تنظيم معاملهم ومكاتبهم وقاعة معروضاتهم على الصورة التي تقتضيها الاهمية التي كانت قد بلغتها اشغالهم حتى في ذلك الوقت والتي تجعلها ايضا لائقة بالمحيط الذي نقلوا اليه. لذلك لم يدخروا وسعا او نفقة في تحسين سائر دوائرهم وجعلوا المكاتب وقاعة المعروضات بالاخص على اجمل واوفى صورة من الاتقان والترتيب حتى جاءت بهجة للناظر ونزهة للخاطر يدخل اليها الشاري فيطا الطنافس الثمينة ويجد نفسه محاطا بكيمونات جميلة الصنع جيدة القماش ولها من جمال المحيط ما يزيدها رواء . ويكفي شاهدا على اتقان هذه القاعة انها لا تزال حتى هذا اليوم على نفس الحالة التي كانت عليها عند انشائها وهي على الرغم من تقادم العهد عليها تعد من اجمل قاعات المعروضات من نوعها وطبقتها حتى في الايام الحاضرة

وقد كان هذا النظر الى الاوليات في تنظيم الاشغال ما ساعد محل عريضه على تقدمه السريع والثابت علاوة على السياسة الرشيدة التي يجرى عليها في صنع بضاعته . فقد تفنن كثيرا في احداث الرسمات والازياء غير انه اجتنب الافراط وتمسك بالاوسط فجعل بضاعته من الانواع التي

Arab American National Museum

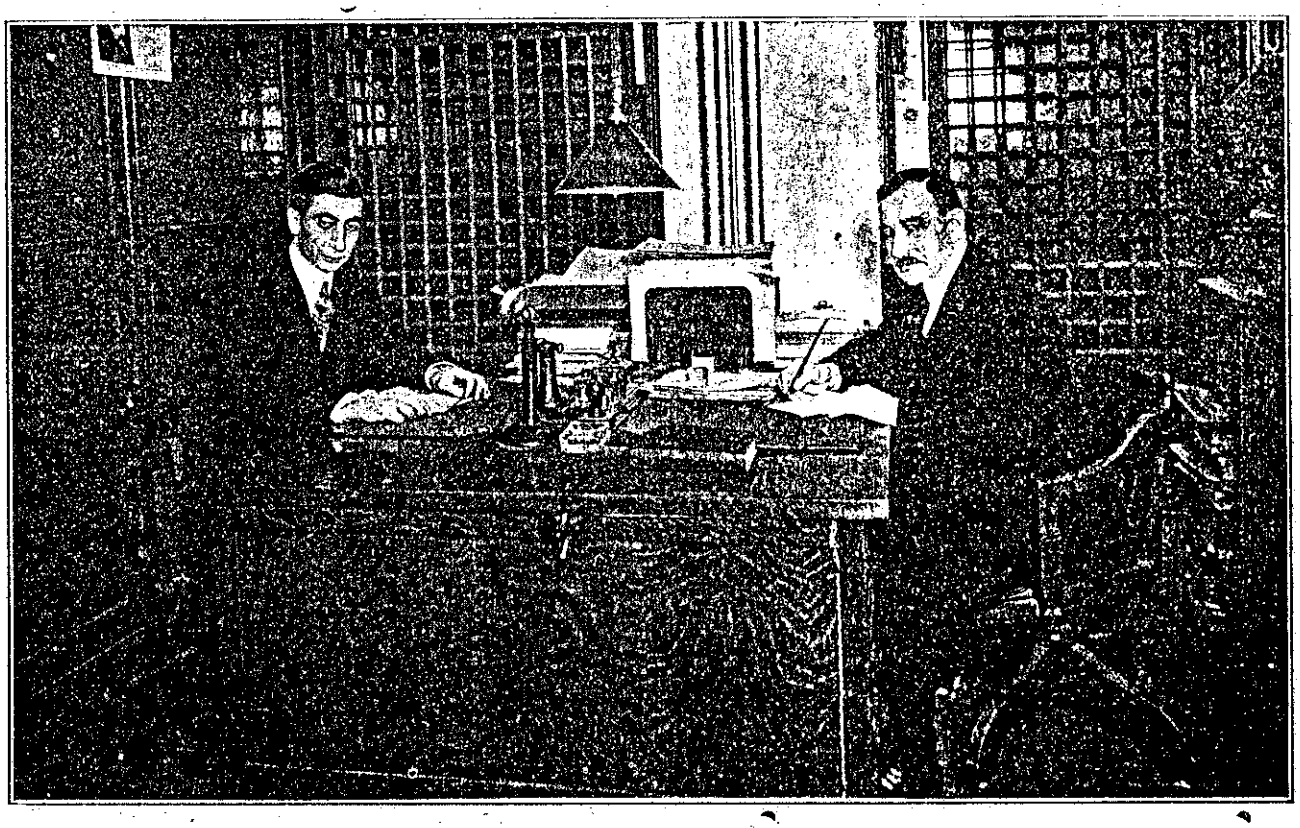

كامل عريضه كبير المحل المعروف باسم مخايل عريضه (الى اليمين) واخوه رفائيل عريضه (الى اليسار)

هي على منال العموم فلا هي بالرخيصة التي تعرض عنها طبقة من التجار الامريكيين ولا بالفاحشة في الغلاء التي تجعل الطلب عليها محدودا. لذلك تمكن هذا المحل من اكتساب معظم المخازن الكبرى الجامعة المعروفة بالديبارتمنت ستور في عدد زبائنه وكان دليل الرضى عن بضاعته وعن معاملته انه لم يفقد عميلا ذا شان في كل حياته التجارية

هذه كلمة مختصرة تقال في هذا المحل دلالة على نوع واهمية اشغاله وعلى المنزلة التي يشغلها في تاريخ صناعة الكيمونا في نيويرك غير ان هناك امورا لا يجوز الاغفال عن ذكرها لتتميم الفائدة التاريخية ولاستخلاص ما يهم المعجبين باهمية نجاح التاجر السوري في المهاجر الوقوف عليه من المغازي الادبية والفوائد الادارية

فمحل مخايل عريضه ليس لرجل فرد كما يستدل من الاسم بل هو مصلحة كبيرة كان اصحابها ثلاثة اخوة شاءوا

المرحوم مخائيل عريضه مؤسس المحل المعروف باسمه

المحافظة على الاسم الذي جرى عليه التاسيس حتى بعد وفاة المؤسس الذي اختطفته المنية غرقا في ثالث عشر تموز من سنة ١٩١٣ في نيويرك . وقد كان المحل عند تاسيسه باسم فرد متبعة فيه قاعدة الشركة المستترة بين الاخوة الثلاثة. انما اطلاق اسم احدهم عليه عند التاسيس كان بفضل وجوده في نيويرك وبقاء اخويه الاخرين في الوطن وحتى عند قدوم الاخ الاكبر الى نيويرك بل حتى بعد وفاة الاخ المؤسس احتفظ بالاسم لاسباب امتزجت فيها العاطفة الاخوية التي تمثلت بالرغبة في تخليد اسم المؤسس بالسياسة التجارية التي تجعل للمحل مكانة متعززة في العالم التجاري مع مرور السنين عليه . ولذلك نجد ان محل مخايل عريضه من اقدم محال الكيمونو بين السوريين في نيويرك الباقية تحت اسم واحد منذ تاسيسها

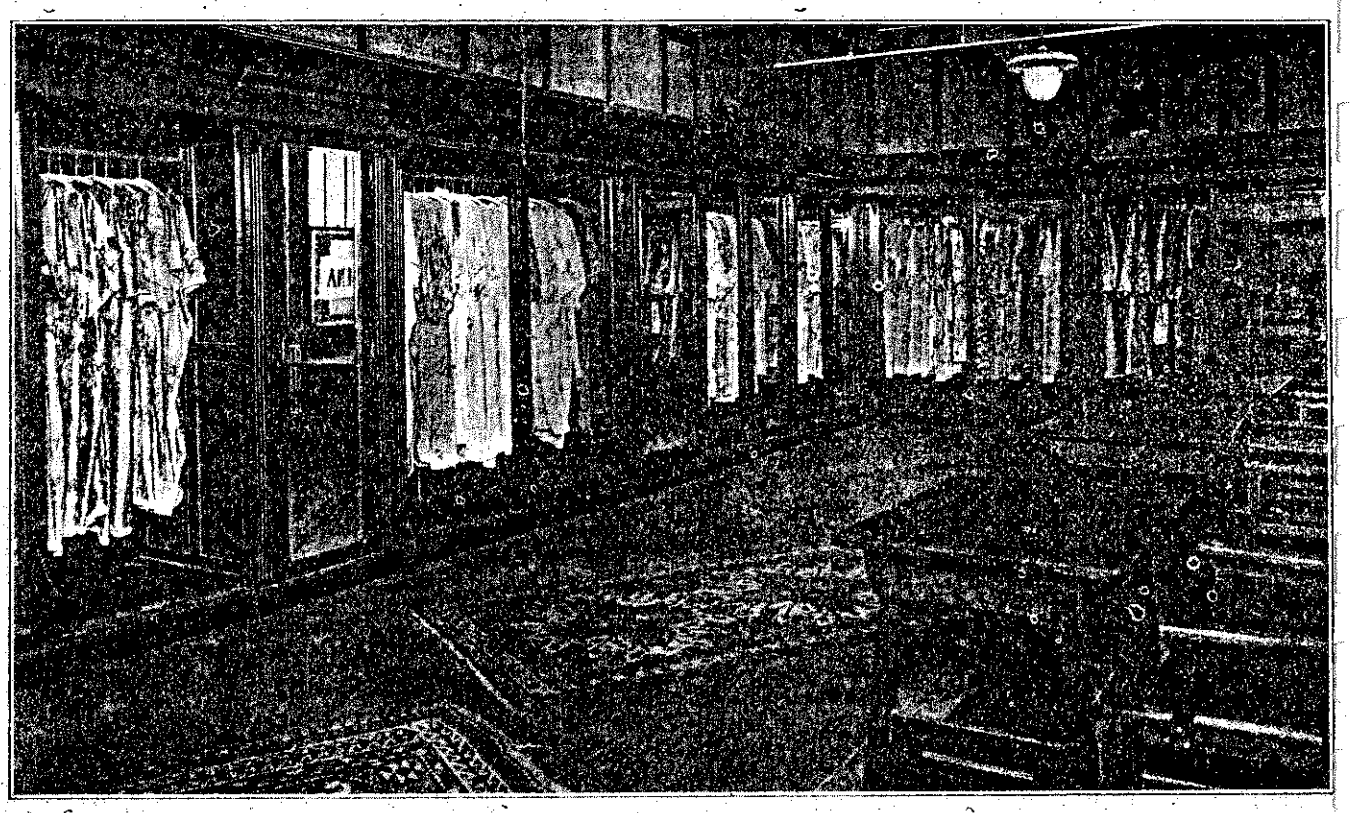

رسم قاعة الامثلة الجميلة في محل مخايل عريضه الذي يصنع الكيمونو في نيويرك

رسم جانب من معمل مخايل عريضه للكيمونو في نيويرك ظاهرة فيه صفوف ماكنات الخياطة

Arab American National Museum

اما صاحبا المحل الحاليان فهما كامل عريضه كبير الاخوة ورفائيل عريضه صغيرهم . بنوع ان المحل اجتمعت فيه حنكة وحكمة الكهول مع نشاط واقدام الشبان ولا شك في ان افضاء دم جديد في اوداج ادارة المحل مقرون الى صلابة عضلات الكهولة المكتملة النمو قد مكن هذا المحل من اطراد سيره الحثيث في سبيل التقدم بخطى ثابتة مكينة

والاخوة اصحاب محل عريضه جميعهم المولد الا ان كبيرهم زاول التجارة عدة سنين في دمشق و كان شريكا في محل اخيه في نيويورك قبل قدومه الى المهجر . وقد زار نيويرك للمرة الاولى سنة ١٩١٠ ثم عاد لانهاء علائقه في الوطن وعاد للمرة الثانية للاقامة الدائمة في بداية سنة ١٩١٣ . وهو من فضلاء ومعتبري الجالية له عائلة مؤلفة من احد عشر ولدا ينشئهم على احسن قواعد الاداب والعلم

اما الاخ الاصغر رفائيل فمن شبان الجالية الناهضين المهذبين جاء هذه البلاد سنة ١٩٠٩ وتلقى دروسه الابتدائية في مدرسة داخلية في ايست ستروسبرغ بنسلفانيا ومنها نقل الى جامعة كولمبيا في نيويرك حيث درس القانون التجاري واخذ الان يطبق معارفه على اشغال المحل الواسعة بمنتهى الفائدة

اما مصالح المحل الحاضرة فتتناول ليس فقط معمله للكيمونو في نيويرك ومعمله الاخر في يونيون هيل نيوجرزي الذين يربو عدد العمال فيهما على المائة وخمسين بل تشمل ايضا تجارة واسعة للتصدير الى الخارج انشاوا لها فرعا مستقلا بادارة ابن عمهم الكاتب والاديب المعروف نسيب عريضه الذي له خبرة وبراعة بهذه الاشغال فنمت هذه التجارة في البضع سنين الاخيرة نموا مدهشا بفضل ما توفر لها من المقدرة المادية والادارية حتى بلغت مقاما في الصاف الاول بين التجارات السورية التي من نوعها في نيويورك .

وحين نرجع بالفكر الى ما كانت عليه بداية اشغال هذا المحل و كيف انها ظهرت في غرفة صغيرة في شارع كارلايل وتوسعت الى شارع وشنطون ثم انتقلت الى قلب الحي الصناعي في نيويرك وامتدت وتفرعت حتى اصبحت تتناول تجارة كبرى بالتصدير والاستيراد كل ذلك في مدة خمس عشرة سنة نعجب بهمة السوري ونشاطه واقدامه و كيفانه على الرغم من وجوده في بلاد غريبة وفي محيط اشتدت فيه المزاحمة تمكن من ادراك هذا النجاح الخطير في مثل هذا الوقت القصير

محل عبدالله برصا واخيه

تاسس سنة ١٩١١

نشاط السوري التجاري ممثل بصورة محسوسة في سرعة التقدم المدهش الذي ادركه هذا المحل فقد كانت التسع سنين التي مضت على تاسيسه درجات صعدها وثبا في سلم الارتقاء حتى اصبح في طليعة المحال المشتغلة بصنف الكيمونو في امريكا ويشار اليه بافتخار في تاريخ نمو التجارة السورية في المهاجر

لقد احرز بعض تجارنا السوريين في المهاجر تقدما مدهشا لم يجر على مجرد قاعدة الجد في العمل والاقتصاد في النفقات حتى جاء وقت اجتمع فيه لدى التاجر راس مال صغير اخذ يحسن ادارته واستثماره الى ان ادرك ثروة بعد مرور طوال السنين . بل ان من نجاح بعض تجارنا السوريين ما قام على قاعدة درس طرائق الاشغال الحديثة والاقدام على ممارستها والتفنن في الابتداع الذي قارب افيه حد الابداع فكان لهم من ذلك نجاح سريع يعجب المطالع عند الوقوف على تفاصيل اهميته

وقد كان من هذا النوع نجاح محل الكيمونو المعروف باسم «عبدالله برصا واخيه» . فان تاسيس هذا المحل يرجع الى سنة ١٩١١ وعلى الرغم من قصر هذه المدة في فسحة الاعمار التجارية ادرك المحل شاوا من التقدم والاهمية جعله في المصاف الاول بدون منازع بين المحال السورية المشتغلة بهذا الصنف مما هم عليه السوريون من المنزلة العالية في هذه التجارة حتى اصبحوا فيه اكبر عامل فرد في البلاد وفاقوا فيه الاميركيين

اما ماهية اسباب هذا النجاح ونوع الطرائق التي جرى عليها صاحبا المحل في تحقيقه خلا الصفات الاساسية الواجب وجودها في كل عمل مثل الجد والاجتهاد والاستقامة

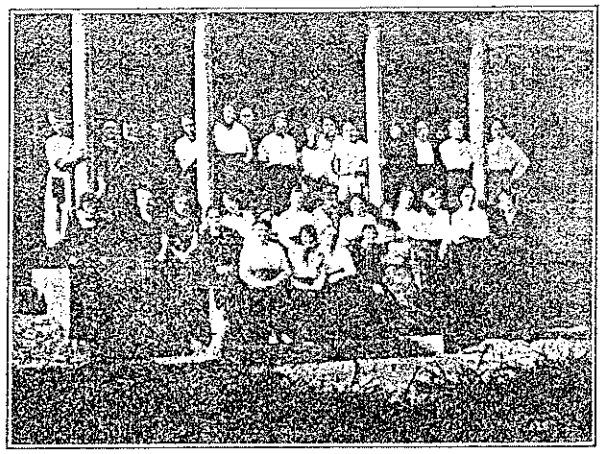

فريق من العاملات في فرع محل برصا في غوتنبرغ نيو جرزي

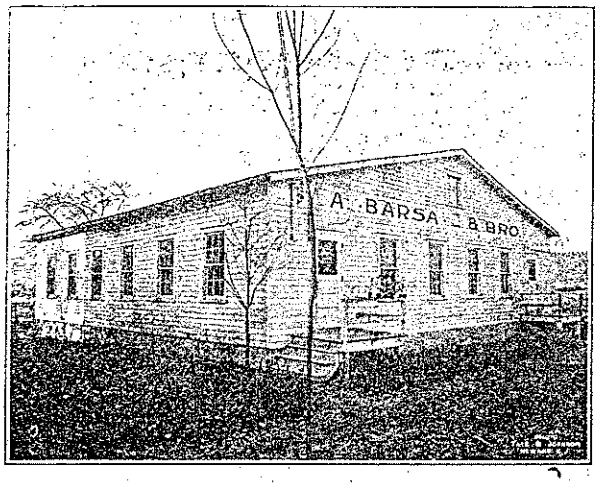

معمل الكيمونو لعبدالله برصا واخيه في نتلي نيوجرزي

فما لا سبيل الى ادراك كنهه. ولكن من مجرد الظواهر البادية للعيان والتي لا يختلف عليها اثنان ما يشهد بان النجاح كان مدهشا بسرعته واهميته ويدل على مقدار صلاحية ونفع تلك الاسباب الاساسية فضلا عن صدق نظر واستقامة حكم صاحبي المحل في الامور التجارية

اما بداية اشغال المحل فكانت في بناية واقعة في نقطة متوسطة من الحي الصناعي في نيويرك في غربي الشارع الثالث والعشرين . وقد استاجر الاخوان فيها سنة ١٩١١ طبقا واحدا لمباشرة العمل وجعلا ذلك الطبق اقساما . قسما للمعمل واخر للمكاتب واخر لقاعة المعروضات واخذا يصنعان الكيمونا بانواعها ويسعيان لبيعها . ويمكنك ان تقول عن تقدمهما ما شئت وتعزوه الى اي الاسباب التي تخطر لك . وامامك السعد وحسن الطالع والجد والنشاط في العمل والاستقامة في المعاملة فضلا عن الجاذب الشخصي القوي المتصف به كل من الاخوين مما يجعل محضرهما من الطف المحاضر . ولكن النتيجة الظاهرة هي ان اشغال المحل كانت تتقدم ليس عدوا بل وثبا . ففي اقل من ستة اشهر ضاقت عليهما الطبقة الواسعة على الرغم من اتساعها فاستاجرا اخرى وقبل انقضاء السنة ضاقت عليهما الفسحة المزدوجة فاستاجرا طبقة ثالثة وهكذا مع مرور كل سنة كانت تستلزم سعة اشغالهما التوسع في الاستعدادات حتى اذا جاءت سنة ١٩١٨ كانا قد استاجرا ليس فقط طبقات من البناية التي ابتدءا التجارة فيها بل استاجرا فوق ذلك طبقة كاملة في بناية كبرى قبالة محلهما في نفس الشارع وانشاءا ثلاثة معامل كبيرة مستقلة في خارج المدينة احدها في جرزي ستي عبر الهدسن من نيويرك والثاني في بلدة نتلي نيوجرزي والثالث في مدينة نيوبرنز ويك نيوجرزي فضلا عما اقتضت سعة اشغالهما استخدامه من الطرائق الاخرى لتكثير الانتاج الذي يفي بالطلب المتواصل حتى انهما علاوة على ما يصنعانه في معاملهما المتعددة يقاطعان على الشغل الخارجي بواسطة المقاولين

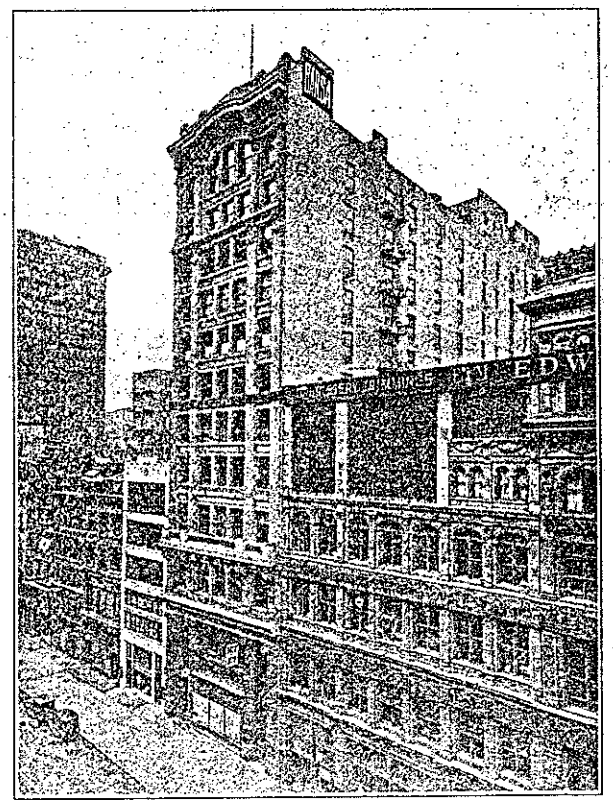

البناية الكبرى في نيويرك التي يشغل منها محل برصا ٤٤ الف قدم مربعة

Arab American National Museum

رسم جانب من قسم التفصيل في معمل عبدالله برصا واخيه في نيويورك

رسم جانب من قسم الخياطة في معمل عبدالله برصا واخيه في نيويورك

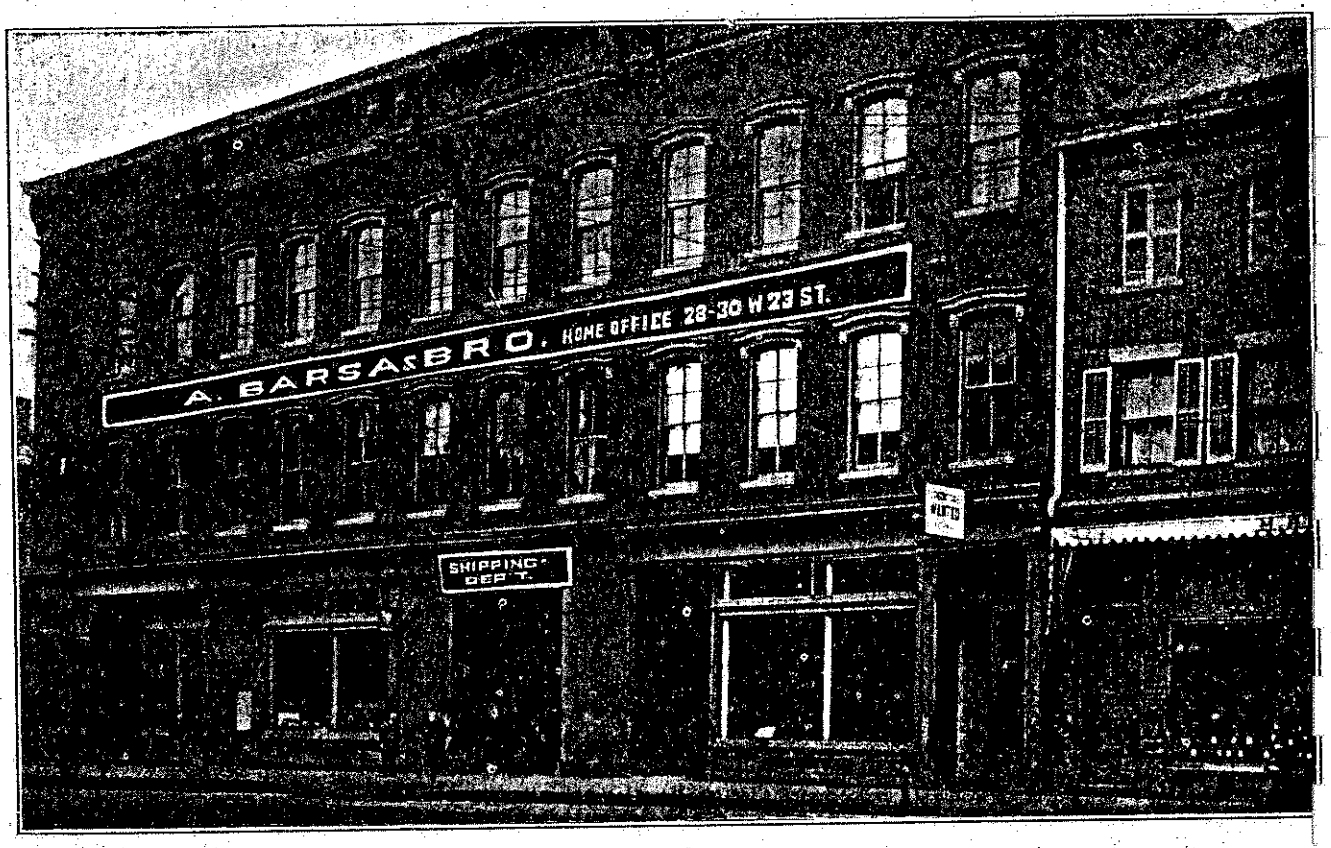

رسم بناية معمل عبدالله برصا واخيه في نيوبرنزويك • نيوجرزي

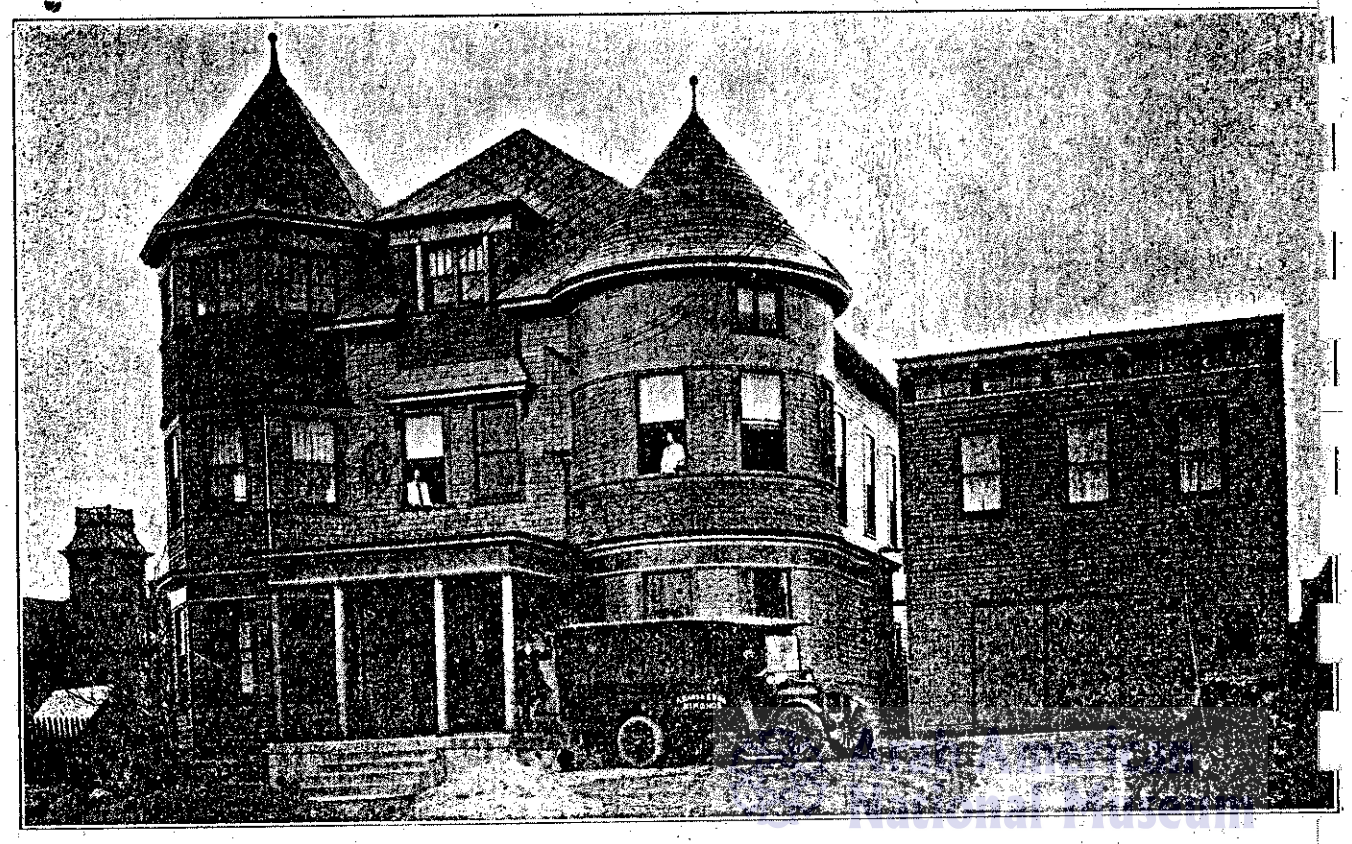

رسم بناية معمل عبدالله برصاواخيه في غوتنبرغ نيوجرزي وامامها احدى سيارات المحل المعدة لنقل البضائع

واذ تدخل الان معمل عبدالله برصا واخيه الرئيسي في نيويرك وتجيل نظرك في جوانبه وتتنقل بين طبقاته المتعددة تدهشك الجسامة البادية فيه وتتعجب من الترتيب الجاري عليه فتقول في نفسك · اصحيح ان اشغال السوريين في امريكا بلغت هذا الحد من الارتقاء ولا سيما اذا كنت واقفا على ما كانت عليه تجارة السوريين في البداية من قلة الشان وجريهم فيها على ابسط الطرائق الفطرية ·

وليس هذا كل ما يذكر من عظم التوسع الذي احدثه وينوي احداثه عبدالله برصا واخوه فان المحل الرئيسي الحاضر الذي يشغلانه يتناول ست طبقات من البناية الواقعة تحت رقم ١٥٣ غربي الشارع الثالث والعشرين على ما سبقت الاشارة · ومع ان في البناية مرقاتين (اليفاتر) تصلان بين الاطباق المختلفة — بل ان المرقاتين تكادان لاتخدمان الا اغراض محل برصا وعماله — فالادارة بسبب هذا التقسيم متوزعة لا تساعد على الاقتصاد المطلوب من حيث تسهيل الاتصال بين قسم واخر · لذلك كان المحل شهر صدور هذه الكتابة يهم بالانتقال الى مركز اخر تساعد التسهيلات الموفورة فيه على توحيد الادارة وعلى زيادة التنظيم في العمل وعلى تمكين الرابطة بين ادارات المحل المختلفة · وقد استاجرا فعلا تحقيق هذا الغرض طبقين من البناية الكبرى في غربي الشارع الثالث والعشرين ايضا المعروفة ببناية «سترن» مساحتهما مجموعين اربعة واربعون الف قدم مربعة · وقد كان بوشر عمل الاصلاح والترتيب ورسمت للمعامل والمستودعات والمكاتب وقاعات المعروضات خطط ستجعل المحل عند نهاية العمل فيه من اجمل ما تقع عليه عين باتقان المعدات بين المحال التجارية التي من نوعه في البلاد ذلك مع بقاء الفروع الاخرى المتوزعة في الجهات على حالها السابقة

ذلك شيء من الاهمية التي ادركها الاشغال السورية في المهاجر الامريكية · ونحن هنا مستشهدون بمحل عبدالله برصا واخيه على عظم التقدم الذي ادركته صناعة الكيمونو فقط وليس على سبيل الالمام بجميع الاشغال التي تفرع اليها هذا المحل الخاص · فمما يذكر من مشاريع هذا المحل ان له معملا كبيرا لطبع ورق اللعب تحفر فيه الرسمات ويطبع الورق ويقطع ويعبا في علب وصناديق وذلك على صورة جسيمة لولاها لما تمكن الاخوان برصا من مضاربة شركة احتكار هذا الصنف في الولايات المتحدة وهذا المعمل مشروع خطير بحد نفسه سنفرد فسحة خاصة لوصفه ونشر رسومه ايفاء لاهميته في باب الاشغال السورية المتنوعة

اما بداية اشغال الاخوين برصا فلا تخرج عن طريقة بداية الاشغال السورية كافة · وقد كان السابق الى المهاجرة الاخ الاكبر عبدالله الذي جاء البلاد الامريكية من مسقط راسه دمشق منذ ٢٤ سنة واول ما تعاطى تجارة السجاد في محل كان ينتقل به بين فيلادلفيا وكاب ماي نيو جرزي وقد يكون اختلاطه بالامريكيين على هذه الصورة ما ساعده على درس الفرص والاستعداد لاغتنامها · حتى اذا جاء الاخ الاصغر سمعان باشر الاخوان تجارة الكيمونو على الصورة التي تقدم وصفها

* * *

شركة عاصي شاهين واولاده

تاسست لاشغالها سنة ١٩١٢ ·

هذه الشركة السورية تاخذ خيط الحرير في حالته الطبيعية فتغزله وتحوكه قماشا وتخيطه ملبوسات وكل ذلك في معاملها — كيف نشات فكرة الشركة المساهمة وشيء عن اهمية اشغال هذه الشركة

منذ نحو سنتين وصحافة المهجر وقسم من صحافة الوطن تنشر المقالات الكثيرة عن المشروع الكبير الذي اعلن عاصي شاهين واولاده مباشرته وذلك بانشاء شركة مساهمة لاحياء الصناعة الوطنية في سوريا · فقد وقعت الفكرة موقع الاستحسان عند الجمهور منذ اول ظهورها فحبذها ذوو الغيرة الوطنية واعجب بها اصحاب النظريات التجارية وابدت حكومة جبل لبنان استعدادا لمساعدة المشروع عبرت عنه في مكتوب من رئيس مجلس الادارة اذ ذاك حبيب باشا السعد الى صاحب الاقتراح

وبالنظر الى الاهمية التي احرزها هذا الاقتراح وعلى الاخص لصدوره من احد التجار السوريين المهاجرين لغرض نفع الوطن بعد ان فتحت في وجهه ابواب التقدم بدخوله

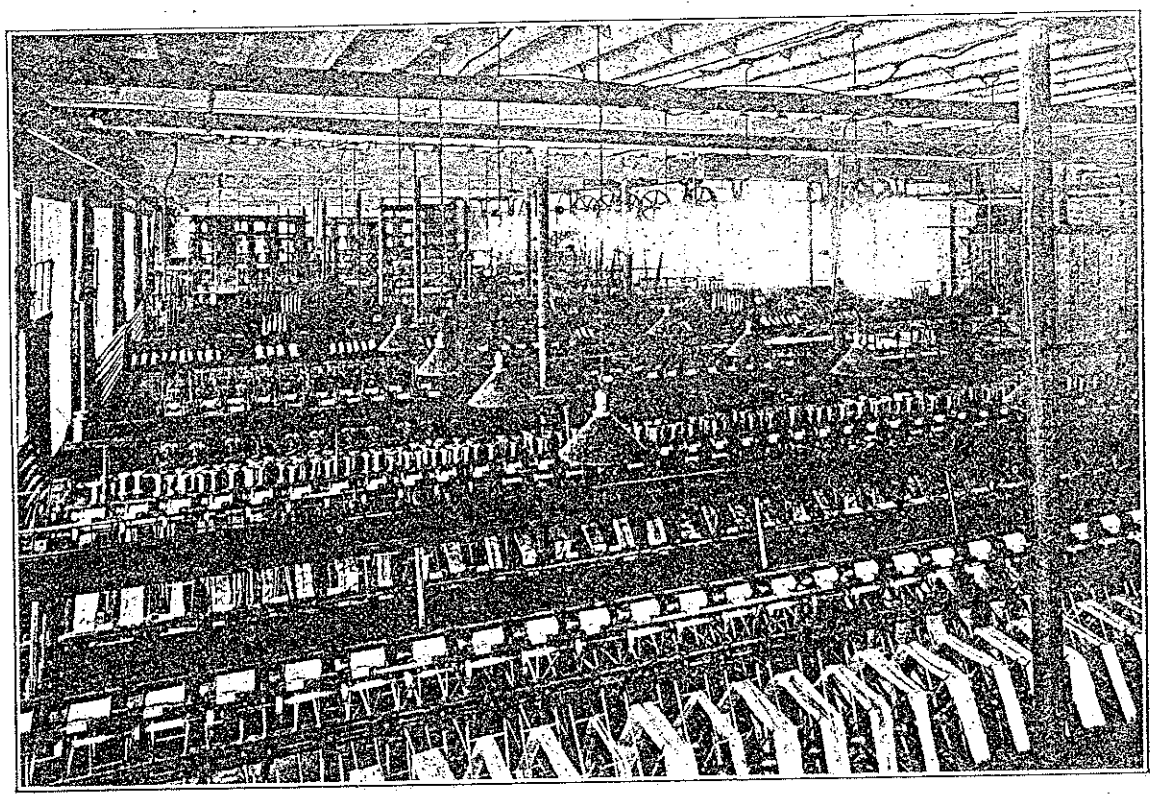

مشهد مغازل الحرير في معمل شركة عاصي شاهين واولاده في كرنفورد ، نيو جرزي

في عصر جديد لا شك في ان النفوس تتوق الى معرفة تاريخ نشأة ونمو اشغال هولاء التجار المهاجرين اصحاب هذه الفكرة. ولا شك في ان كل من يطلع على تاريخهم يعجب بمبلغ نجاحهم وسرعة تقدمهم ويرى فيهم خير مثال على ارتقاء الاشغال السورية في المهاجر الامريكية . ولا سيما اذ يعرف ان بداية اشغالهم كانت اشبه ببداية سائر الاشغال السورية لا قوام لها غير عدة تامة من الاجتهاد والاقدام والحذق التجاري

فعاصي شاهين كبير هذه العائلة من قدماء المهاجرين السوريين ومن شيوخ الجالية المعتبرين . جاء من العربانية في جبل لبنان عند اشتداد حمى المهاجرة واقام في نيويرك وكانت اول مزاولته التجارة في البناية الواقعة تحت رقم ٢٣ شارع وشنطون ثم اشترى محل المرحوم سليم الياس الاشقر في ٦٩ شارع وشنطون وكان يشغل البناية بكاملها فوسع تجارته وسير المعتمدين والمتجولين الى الداخلية وكانت دائرة اشغاله حتى في تلك الايام تبلغ مئات الوف الدولارات وكلها بالبضائع العمومية التي كانت تنحصر فيها تجارة السوريين . ثم جاء وقت شعر فيه بعناء العمل فطلب العزلة وكان عونه في العمل اذ ذاك ابنه الاكبر شاهين الذي انصرف الى تجارة العقار في كرنفرد نيو جرزي فذهب للاقامة بقربه

وكان لعاصي شاهين اذ ذاك ابنان اخران لم يكونا قد خرجا من المدرسة وقت التخلي عن تجارة الدراي كودس احدهما جورج في الوطن والاخر توفيق في نيويرك. فجين قدوم جورج من الوطن اتفق مع اخيه الاخر توفيق على الشروع بالتجارة ولم يكن لهما من راس المال غير حق استعمال اسم ابيهما . فباشرا في سنة ١٩١٢ صنع الملبوسات النسائية الحريرية المزخرفة على ما كنتين في غرفة في البنايه الواقعة تحت رقم ٦٩ شارع وشنطون . وكان احدهما يتولى ادارة العمل في المحل والاخر يجول في الداخلية لبيع البضاعة. ومن هذه البداية الوضيعة كان منشا الاشغال الكبيرة الحاضرة المعروفة باسم «شركة عاصي شاهين واولاده المساهمة »

وقد اتبع الاخوان عند شروعهما بالتجارة طريقة غير مالوفة قل من كان يحسب انها تسفر عن نجاح . ذلك

Arab American National Museum

رسم قاعة امثلة البضائع في معمل شركة عاصي شاهين واولاده المساهمة في نيويورك

رسم احد الشوارع في الناحية التي عمرها اصحاب شركة عاصي شاهين واولاده في كرنفورد نيوجرزي

انهما كانا يرسلان الى كل زبون تشكيلة من البضائع مع تخييره بحق ارجاع ما لا يعجبه . وقد كانت ترجع لهما بضائع كثيرة . غير ان نسبة ما كان يختاره الزبون فاقت على معدل المرتجع . وعلى الرغم من غرابة الطريقة وجدا انهما يحققان ارباحا منها على الرغم من تاخر رجوع البضاعة ودفع اجرة الاكسبرس عنها وغير ذلك من النفقات

وكانت اشغال الاخوين تتقدم تقدما حثيثا . فمن غرفة صغيرة في ٦٩ شارع وشنطون نقلا الى طابق كبير مساحته نحو الفي قدم مربعة في بناية ٦٠و٦٢ شارع وشنطون . وهناك توفرت لهما تسهيلات العمل فوسعا دائرة تجارتهما وبالغا في التفنن . غير انهما لم يتحولا عن التشبث بالطريقة التجارية الغريبة التي كانت السبب في نجاح اشغالهما

ولم تمض عليهما في محلهما الثاني بضع سنين حتى رايا ضرورة زيادة التوسع وكان انتقالهما هذه المرة الى مركزهما الحالي في البناية الجميلة تحت ارقام ٩٠٢ الى ٩١٠ شارع برادواي في قلب نقطة معامل الملبوسات النسائية في نيويرك . وقد تعجب البعض اذذاك من اقدامهما مع حداثة نشاة اشغالهما على استئجار محل باجرة ثمانية الاف دولار سنويا ولكن هولاء المتعجبين لم يكونوا مدركين سرعة واهمية تقدم اشغال الاخوين

وما زالت اشغال المحل مطردة التقدم على هذا النحو والاخوان يجهدان الفكر في تخطيط طرق جديدة للتقدم . فخطر لهما ان يحوكا الحرير فشيدا معملا في ارض لهما في كرانفورد نيو جرزي واخذا يوسعانه ويزيدان في معداته حتى اصبح من اوفى معامل الحرير السورية في المهاجر وتم لهما تحقيق الحلم الذي منيا به النفس وهو صنع البضاعة في جميع الاطوار التي تتقلب عليها من خيط الحرير في حالته الطبيعية الى قطعة الثياب الجاهزة للاستعمال وكل ذلك في معاملهما الخاصة

وعندما وضعت الحرب اوزارها وتقرر في دوائر الحلفاء ان سوريا لن تعود الى تحت نير الاتراك خطرت لاحدهما جورج فكرة انشاء الشركة المساهمة الكبرى لاحياء الصناعة الوطنية في سوريا وذلك بتنشيط صناعة الحرير التي هي اهم مرافق لبنان . وقد كان لهذه الفكرة من اهمية الوقع والاستحسان ما يذكره مطالعو الصحف في ذلك الوقت

وقد كان اندفاعا بهذه الفكرة ما عمد ابناء عاصي شاهين الى توحيد اشغالهم وجعلها شركة مساهمة . فالفوا الشركة براس مال مليوني دولار ذكروا في تقاريرهم ان المدفوع من اصلها مليون و٦٥ الف دولار وذلك كناية عن اشغالهم الماشية في نيويرك وفي كرنفرد وعن العقار الذي لاحدهما شاهين في كرنفرد الذي انضم الى الشركة

وحين تذكر تجارة عاصي شاهين واولاده في صنف الحرير والبضائع الحريرية لا بد ايضا من ذكر تجارة العقار التي اسسها كبير الاخوة شاهين لان فيها دليلا ناصعا على الاقدام التجاري وعلى الهمة وبعد النظر اللذين اشتهر بهما المهاجر السوري . فقد باشر شاهين تجارة العقار منذ نحو عشر سنين وذلك بمشترى مساحة كبيرة من الارض الصالحة للعمار في بلدة كرنفورد الواقعة على مسافة ١٧ ميلا من نيويرك

وكانت الارض حقلا ليس فيها منزل واحد . فشرع هذا الشاب السوري في تمهيدها وتخطيط الشوارع فيها وجلب الغاز والكهرباء لها وغير ذلك من الاصلاحات الحديثة . وكان في البداية يباشر العمل على بيت ثم بيتين لا اكثر ويستعمل ما يستعمله تجار العقار من وسائل الاعلان والترغيب حتى يبيع ما يكون قد بناه ويباشر سواه . وقد قاسى من الصعوبات ما يقاسيه كل من يقدم على عمل كبير براس مال صغير . غير ان همته تغلبت على كل الصعوبات واصبح في اخر الامر يباشر بناء عشرات البيوت جملة ولا يحدد مساعيه غير قلة المواد والعمال . وجملة ما بنى حتى الان نحو مائتي منزل قائمة على اسواق جميلة مستوفاة شروط الراحة والمعدات الحديثة . وقد انضمت الان اشغاله الى الشركة

ذلك بعض ما يروى عن تاريخ محل عاصي شاهين واولاده وما هم غير انموذج عن المحال التجارية السورية الكثيرة الناجحة في المهاجر

Arab American National Museum

محل قيامه اخوان

في نجاح هذا المحل برهان واضح على عظم الفرص الموفورة في هذه البلاد والتي لا تنتظر الا من يعرف كيف يغتنمها وقد وجد اصحاب هذا المحل الفرصة في التجارة مع ابناء وطنهم السوريين ولكن باصناف جديدة كثيرة الرواج كانت سبب نجاحهم

دخلنا مرة احد المعامل الامريكية الكبرى التي يزيد عدد عمالها عن الخمسة الاف وكانت اذ ذاك عطلة الظهر فراينا في احد جوانب القاعة الفسيحة العمال والعاملات يرقصون على انغام الفونوغراف. وكان ذلك اول عهدنا بوجود موسيقي والسماح بالرقص في مركز عمل وحدا بنا حب الاستطلاع الى سؤال صديقنا المدير عن سر هذا العمل فاجاب بان من اسرار النجاح في الصناعة توفير اسباب السرور للعمال تنزيها لخواطرهم وتجديدا لنشاطهم فيندفعون الى العمل بحماسة اعظم وتزداد بذلك كمية الانتاج فضلا عن ان العمل يجيء اتقن واجمل نظرا الى صفاء ذهن العامل

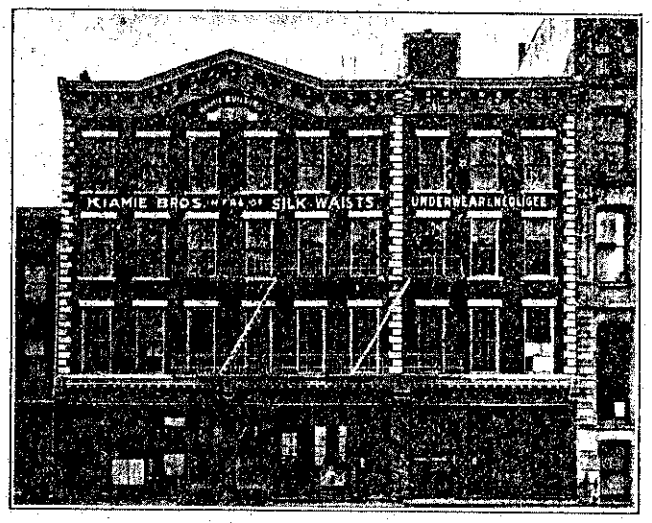

بناية قيامه اخوان في شارع اتلنتك افنيو بروكلن مؤلفة من اربعة اطباق ومعدة بالبفاتر ومدفاة بالبخار وسائر الاصلاحات الحديثة

ولم يخطر لنا ان نجد مثل هذه النظريات الراقية تطرقت الى الصناعة السورية. ولكننا وجدنا لمزيد تعجبنا ان احد المعامل السورية في نيويورك ليس فقط عمد الى استخدام هذه الطريقة بل تخطى في التحسين الحد الذي كنا عرفناه في المعمل الاميركي. ذلك ان المعمل السوري لم يكتف بوضع فونوغراف بل وضع بيانو من احدى الماركات المشهورة يوقع عليها بعض البارعات من العاملات في فن الموسيقي وينصرف العمال والعاملات في فرصة الظهر الى اللهو والمخاصرة لتجديد النشاط ولتبديد عناء العمل

وقد ذكرنا ذلك بغناء العاملات في معامل الحرير في الوطن اللواتي يتلهين بالغناء بينما هن يسلقن اصابعهن في الماء الغالي عند التقاط الفيالج. ولكن شتان بين معامل الحرير في الوطن وبين المعمل السوري في نيويورك الذي شاهدنا فيه هذه الطريقة

ففي الطبق الاعلى من البناية الكبيرة الواقعة تحت ارقام ١٦٤ و١٦٦ و١٦٨ اتلنتك افنيو في بروكلن فسحة تكاد تبلغ مساحتها ستة الاف قدم مربعة في وسطها صفوف من ماكنات الخياطة وفي صدرها قسم التفصيل وعلى دائرها لخزائن المرتبة وعلى رفوفها الصناديق الجميلة لوضع البضائع المشغولة وفي احد جوانبها في مركز متوسط البيانو

هذا المعمل هو المعروف بمعمل قيامه اخوان لصاحبيه نجيب وفيليب قيامه الذي على الرغم من كون تاسيسه يرجع الى سنة ١٩١٣ فقط اصبح في المصاف الاول بين المعامل التي تشتغل الملبوسات الحريرية النسائية بين السوريين اما كيف تم لهذا المعمل نجاحه الكبير السريع فمن اغرب الفصول التي تكتب في تاريخ التجارة السورية. ولا سيما عندما ننظر الى اصل الفكرة التي جرى عليها التاسيس وعلو الهمة التي دفعت العمل الى النجاح على الرغم من قلة راس المال المادي

ففي سنة ١٩٠٩ هاجر كبير المحل نجيب من وطنه الشوير لبنان ناشدا الفرصة في العالم الجديد تلك الفرصة هي الرغبة في التوسع في بلاد قابلة النمو وغير محدودة المجال كما هي الحال في لبنان. لانه كان مع اخوته الاربعة في الوطن قد زاول التجارة في مخزن عائلته في الشوير المؤسس من سنة ١٨٤٠ فتمرن عقله على ادراك الفرص التجارية ونظره على ملاحظتها. فطاف اولا بعض جمهوريات امريكا الجنوبية وقصد اخيرا الولايات المتحدة والقى عصا الترحال في نيويورك عندما لم يبق لديه من

رسم جانب من مكاتب معمل قيامه اخوان في بروكلن ظاهر فيه الى الجانب الايسر كبير المحل نجيب عند النافذة والى جانبه اخوه فيليب. وفي صدر الرسم الى الجهة اليمنى جورج احد ابناء نجيب قيامه

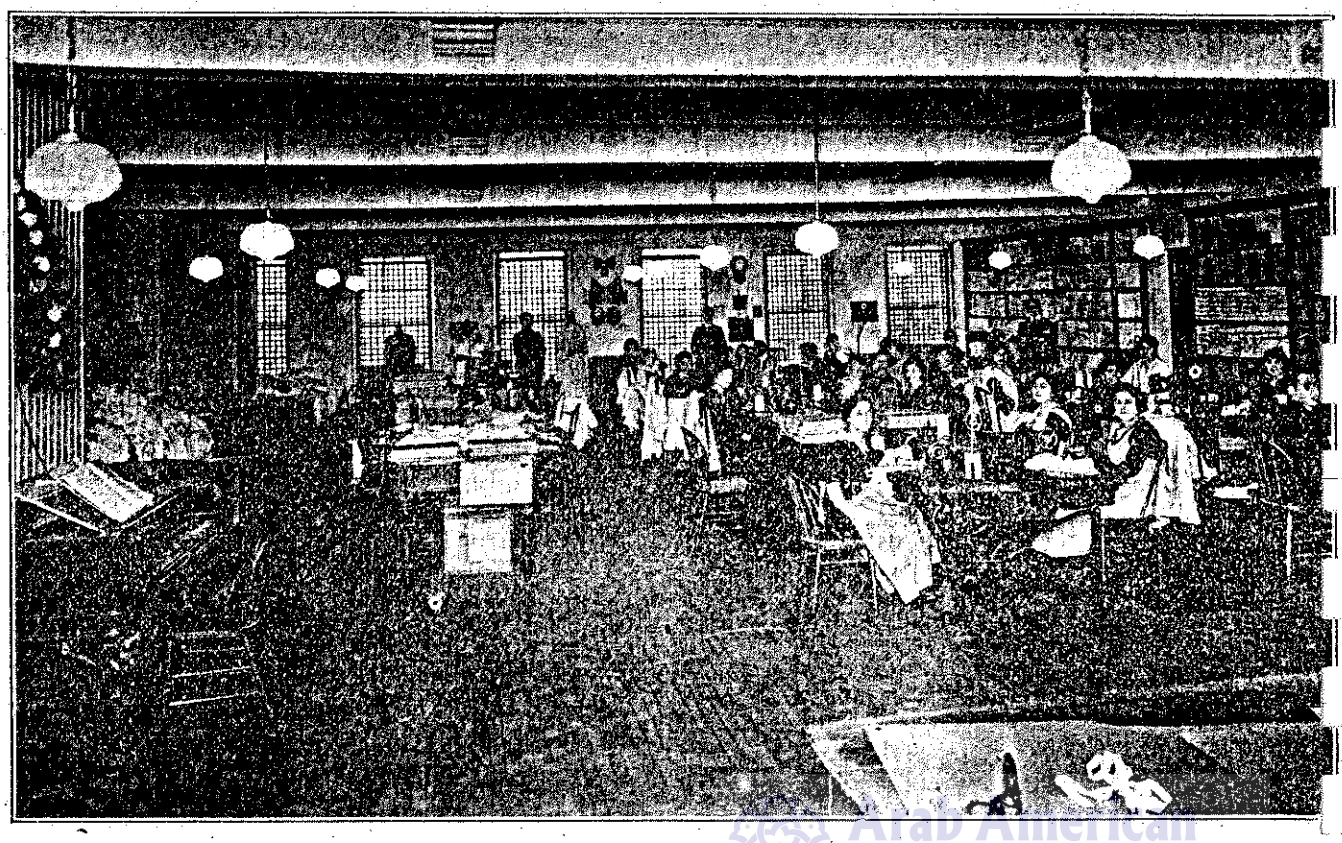

جانب من معمل قيامه اخوان في بروكلن ظاهرة فيه صفوف الماكنات والى الجانب الايسر من الرسم البيانو الذي جعله اصحاب المحل وسيلة لتسلية العمال في اوقات العطلة

Arab American National Museum

مئات الليرات التي جاء بها من الوطن غير النزر اليسير

والان ماذا تراه فعل وهو على هذه الحال • لم يعد الى الوطن حيث تقع به شماتة اذا رجع صفر اليدين بعـد ان كان في الوطن تاجرا حسن الحال وجاء الى امريكا براس مال وعاد بدونه• ولم يستسلم الى الياس والقنوط ويسترسل في ندب سوء الحظ • بل شمر عن ساعد الجد واندفع الى العمل • فاخذ يستلم بعض البضائع الرائجة من القطـع المطرزة والملبوسات النسائية ويبيعها على طريقة التقسيط• لانه راى ان النساء الامريكيات يقبلن على المشترى اذا سهلت عليهن شروط الدفع وانهن لا يعمدن الى هضم الحق عن قصد فنجح في هذه الطريقة وحسنت حاله واجتمع لديه بعض الراسمال حتى اذا جاء اخوه الاصغر فيليب من الوطن اشتركا في تاسيس محلهما الحاضر وكانا يدا واحدة وقلبا واحدا في العمل فسارت اشغالهما في معارج التقدم سراعا

وقد كانت بداية اشغالهما في غرفة صغيرة في بناية ٨٤ شارع وشنطون قد لا تتجاوز مساحتها مائتي قدم مربعة• ولكن الله لم يخلق النهار فقط للعمل في عرف الاخوين واذا غابت الشمس فلهما من الكهرباء خير عوض• وهكـذا الاجتهاد في العمل والاستقامة في معاملة الزبائن ما لبثا ان اخذت تبدو نتائجهما في تقدم اشغال الاخوين• حتى اذا انقضت بضع سنين طلبا التوسع في الفسحة طبقا لحـاجة اشغالهما وعلائقهما المتسعة • فنقلا الى بناية ٦٠و٦٢ شارع وشنطون حيث شغلا فسحة ثلاثة الاف قدم غير ان اطراد تقدمهما اوجب زيادة التوسع فنقلا اخيرا الى البناية الكبرى التي اشتريا في اتلنتك افنيو في بروكلن واصلحاها وحسنا فيها حتى اصبحت بداخلها وخارجها بهجة للناظر

ولقيامة اخوان ايضا البناية الواقعة تحت رقم ١٦ شرقي الشارع الثامن عشر في نيويورك وهي مؤلفة من عشرة اطباق كانوا قد اشتروها لنقل اشغالهم اليها ولما عدلوا اجروها

بناية قيامه اخوان في نيويرك المؤلفة من عشرة اطباق وفيها مرقاتان «الياتر» مع سائر الاصلاحات الحديثة

وهي ذات ريع لايقل عن ٢٢ الف دولار في السنة •

كل ذلك تم في مدة السبع سنين المنقضية وكان منشاه مجرد اقدام ونشاط واجتهاد واستقامة اخوين متفاهمين متحدين على العمل• حتى انهما بعد ان كانا يبيعان بضائعهما على طريقة التقسيط اصبحا الان ولهما البنايتان الكبيرتان المشار اليهما سابقا ولديهما ستة معتمدين متجولين يجوبون البلاد بامثلة بضائعهما وفي معملهما ستون ماكنة للخياطة وتبلغ دائرة اشغالها السنوية في البضائع وحدها دون العقار ما يزيد على ثلاثة ارباع مليون دولار

محل امين مرهج

هذا تاجر مهاجر تفرغ الى صنع الحرير من قماش وشريط فكان من نجاحه انه انشا معملا يعد من طبقة المعامل الكبرى في البلاد حتى ان الواقف على اهميته لا يسعه الا التعجب من حذق السوري ومقدرته الفطرية على فهم اسرار التجارة

اشتهر ذلك القسم من مدينة نيويورك العظمى المعروف بجنوبي بروكلن بتوفر التسهيلات الصناعية والتجارية فيه للاشغال الاولية الكبيرة وعلى الاخص بعد ان انشات فيه شركة بوش الابنية العظيمة التي تشغل مربعات على مربعات من المساحة وكل بناية مؤلفة من عدة اطباق وكلها على محاذاة الخليج حيث تتصل بها الخطوط الحديدية وترسو البواخر الاتلنتيكية بنوع ان الذي ينشىء معملا في تلك الناحية يمكنه ان يستقبل مواده الاولية ويشحن بضائعه المشغولة بمنتهى السهولة في النقل والاقتصاد في النفقة ٠

وقد كانت تلك هي الفكرة الاولية الداعية الى انشاء الابنية العظيمة المعروفة بمحطة بوش للمستودعات والمعامل

ففي هذه الناحية من جنوبي بروكلن وعلى مقربة من محطة بوش قائمة بناية كبيرة حديثة البنيان اذا مررت امامها استوقفك ضجيج الالات الدائرة فيها وادركت في الحال انها من الدوائر الصناعية الخطيرة ٠ ولست تكون مخطئا في تقديرك اهمية هذه الدائرة لان ضخامة البنيان وادلة الحركة فيها تنبىء بذلك ٠ ولكنك قد لا تعرف ان هذه الدائرة هي من المعامل الحريرية الكبرى في البلاد وانها لرجل سوري

فهذا هو معمل امين مرهج احد قدماء المهاجرين السوريين في نيويرك الذي تخلى في البضع سنين الاخيرة عما كان له من المصالح والاشغال وتفرغ لصنع الحرير فتم له من النجاح ما صير اشغاله على اهميتها الحاضرة ٠ اما تاريخ نشاة ونمو هذا المحل فمن الشواهد الحسية على ما بذل المهاجر السوري في امريكا من الاجتهاد وافرغ من الجهاد في سبيل الوصول الى المركز الحالي الذي يشغله في العالم التجاري في هذه البلاد ٠ وعلى ما تكاد تكون القاعدة المطردة كان منشا كل هذه المصالح الكبيرة التي نراها اليوم سواء في هذا الصنف ام في سواه من بداية وضيعة لا اساس لها غير التصميم على التفوق والاجتهاد المتناهي في العمل

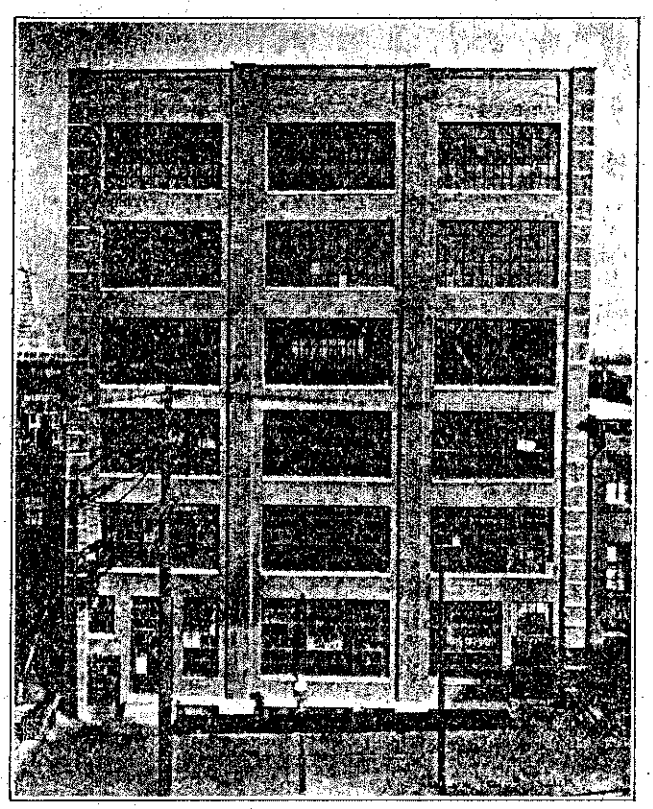

رسم معمل حياكة الحرير لصاحبه امين مرهج في بروكلن نيويورك

فقدوم امين مرهج الى نيويرك من وطنه حمص يرجع الى سبع وعشرين سنة وقد تعاطى اولا تجارة البضائع الاسطمبولية وكانت اذ ذاك صنفا رائجا بين طبقة الباعة السوريين ٠ ثم لما نشات صناعة الكيمونو انصرف اليها وكان يلقي دلوه مع الدلاء في كل صنف مامول رواجه ٠ وكان مرة من اكبر مستجلبي جنس الخرج المعروف بالمالطي وهو يحاك من الحرير والكتان ٠ وقد ادرك من اشتغاله بصنف الكيمونو شانا لا يستهان به بين تجار هذا الصنف في ذلك الوقت وكانت له البناية الواقعة تحت رقم ٤٥ شارع وست نيويرك يشغل طبقاتها بمعمل الخياطة والمخزن وقاعة الامثلة وما اشبه ٠ غير انه كان يتوق ابدا الى الاشتغال بصنف اولي يكون فيه مصدرا وبالنظر الى كثرة معاطاته بالبضائع الحريرية قر رايه على معالجة اصطناع قماش الحرير وكان ابتداوءه بذلك في سنة ١٩١٤ بصورة

ماكنات اعداد مدات الحرير

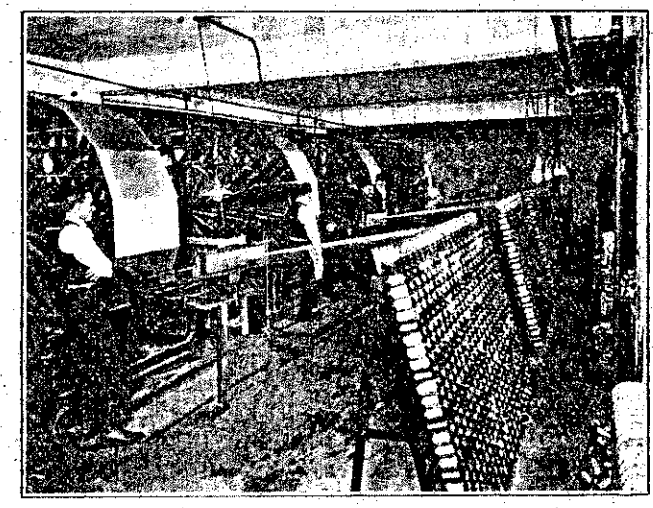

ماكنات فتل خيوط الحرير

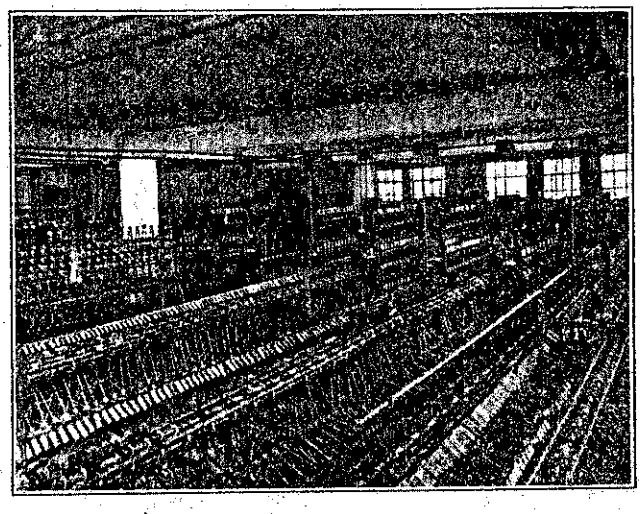

معتدلة في نفس الشارع من جنوبي برو كلن الذي انشـا فيه معمله الكبير الحالي

وغني عن القول ان تقدم اشغال امين مرهج بهذا الصنف كان سريعا بل ان الواقفين على تاريخ نموه يعدونه مدهشا ويكفي شاهدا على ذلك وصف اهمية اشغاله الحاضرة

فالمعمل الحالي بناية مؤلفة من ست طبقات مساحتها سبعون قدما بمائة قدم بنيت اربع طبقات منهـا منـذ اربع سنين واضيف اليها طبقتان في هذه السنة. وهي مبنية من الاجر ومشبكة باوصال الحديد وارضها من الكونكريت بحيث تصير صالحة لحمل الاثقال الضخمة . ونوافذها خارقة في الكبر جريا على قاعدة بناء المعامل الحديثة تسهيـلا لدخول الحرارة والنور . وفيها مرقاة لنقل المواد والبضائع بحيث ان البناية مستوفاة شروط المعامل الحديثة من كل وجه

اما من حيث تجهيزات المعمل فانك تجدها تامة ايضا فاذا صعدت الى الطبقة العليا وخرجت من مكتب الادارة مررت تباعا على مكان غسل الحرير الطبيعي وتجفيفه ثم على مكان الصباغ فقسم حل خيوط الحرير وفتلها وجعلها مدات صالحة للانوال . ثم انك تجد عدة طبقات تشغلها الانوال صفوفا صفوفا منها ما هو للشريط ومنهـا ما هو للقماش بانواعهما مثل كريب ده شين واطلس وجورجت الخ وجميع الانوال المتنوعة تدار بقوة الكهربائية ولكل الة جهاز كهربائي (موتور) خاص بها .

ومما يذكر عن اهمية اشغال هذا المعمل السوري انه بالنظر الى عظم مقطوعيته من الحرير يستجلبه راسا من اليابان

ذلك وجه اخر من وجوه ارتقاء السوريين الصنـاعي والتجاري في ديار المهجر . ومن المحقق اننا لا نقدر ان نصوغ من الكلام وصفا يصور كل الحقيقة فتعوض الرسوم الفوتوغرافية عن بعض هذا القصور

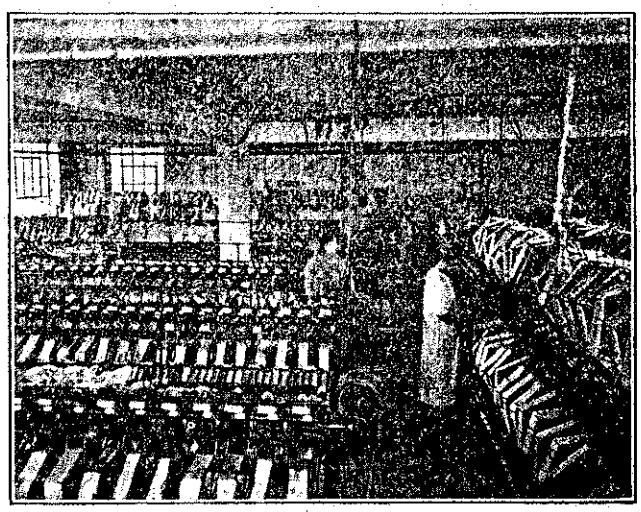

ماكنات نقل خيوط الحرير من الشلل الى البكر

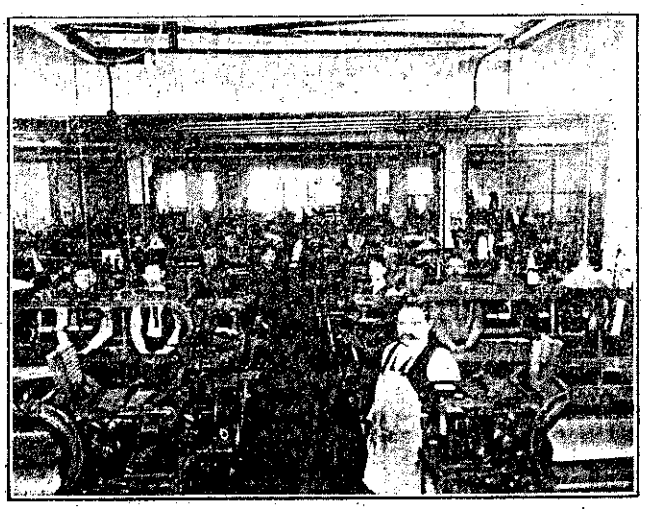

صفوف انوال حياكة قماش الحرير

تجارة البضائع البيضاء

هذه التجارة من اهم المرافق التجارية السورية في المهاجر الامريكية وقد ادرك التجار السوريون في نيويرك اعظم قدر من الاهمية فيها فاصبحوا بمجموعهم اقوى عامل في استجلاب واصطناع اصناف كثيرة منها وكان ادراكهم هذه الاهمية وتمكنهم من المحافظة عليها بفضل المجهودات القوية التي بذلوها في ترويج تلك الاصناف فاصبحت لهم بيوت تجارية هي من اهم المؤسسات التي من نوعها في البلاد. وفي تاريخ نشاة ونمو التجارة بهذه البضائع شواهد ناصعة على عظم همة واقدام وحسن نظر السوري المهاجر في المرافق التجارية

قد لا يكون السوريون اصابوا موردا للربح اعظم فائدة واعجل عائدة من التجارة بالبضائع البيضاء. ففي نيويرك عشرات من المحال الكبيرة وفي الداخلية مئات من المحال تتفاوت الاهمية التي تشتغل بهذه البضائع وكلها مصادقة نجاحا حيث توفرت شروط الاجتهاد وحسن الادارة. ومما يدعو الى مزيد الاعجاب ويشهد بمقدرة السوري المهاجر في المرافق التجارية في اي محيط وجد فيه انه في هذه التجارة مثله في صناعة وتجارة الكيمونا اصبح من اقوى العوامل في البلاد. وقد انتزع التجار السوريون الاسبقية في البضائع البيضاء من ايدي الالمانيين والفرنسويين والايطاليين على الرغم من كون مصادر اصناف عديدة من هذه البضائع هي في بلاد هولاء. وكانت للسوريين فوق ذلك فتوحات تجارية وتدابير مستحدثة في استجلاب واصطناع هذه الاصناف تدل على منتهى الحذق في النظر والاقدام في العمل. فلم تكن حدود البلدان وشواسع البحور لتقف حاجزا دون همة السوري في ارتياد المنافع واغتنام الفرص. لذلك تجده قد تبسط وامتد حتى بلغ فرنسا وايطاليا وماديرا في الغرب واليابان والصين والفيليبين في الشرق. وكان على الرغم من اتساع هذه العلائق يديرها من مركز رئيسي في نويرك بالمقدرة التي لم يكن احد يحلم بانها متوفرة على هذا القدر في المهاجر السوري الذي جاء بلادا غريبة مسترزقا عديم الخبرة وراس المال وجاهلا اللغة على الغالب

وان دارس تاريخ نشاة ونمو هذه التجارة الواسعة ليجد فيه خير دليل على اهم اسباب نجاح المهاجر السوري في المرافق التجارية. ولا سيما ان هذه التجارة جاءت شديدة المطابقة لاستعداده وكثيرة الموافقة لميوله ورغائبه. فهي دانية الارباح جزيلتها وفيها مجال واسع للانتفاع من المقدرة والاستخدام الهمة والنشاط. وكلتا هاتين الصفتين من ملازمات السوري المهاجر. فهو قد هاجر طلبا للكسب الذي يوءثره عاجلا وينشده وافرا. ثم انه لاجل تحقيق هذه الامنية لا يدخر نشاطا في السعي او عناء في العمل. فلاعجب والحالة هذه ان يكون التاجر السوري المهاجر قد اصاب في هذا الفرع من التجارة النجاح الباهر الذي جعله اقوى عامل فرد بهذه الاصناف في البلاد

فبداية التجارة بالبضائع البيضاء يرجع الفضل فيها كما هو في معظم المرافق التجارية الاخرى بين السوريين المهاجرين الى انتباه وملاحظة البائع او الدوار. فقد عرفنا ان السوريين اول ما انصرفوا الى بيع البضائع القدسية واخذوا يتوسعون في اقتناء الاصناف الاخرى بحسب ما كان الدوارون يجيئونهم بطلب هذه الاصناف. وجريا على هذه القاعدة ما زال الدوارون يطلبون من تجار نيويرك صنفا وغيره حتى كان طلبهم بعض القطع الثمينة لزينة البيوت ولبس السيدات. وخطر لبعضهم اذ ذاك ان لا يحمل في تجوله للبيع غير هذه الاصناف النفيسة عدولا عن الاصناف البخسة الاثمان التي كان يحملها بائعو الكشة. وحتى يطبقوا مظاهرهم على طبيعة بضائعهم عمدوا الى وضع بضائعهم في حقيبة اشبه بحقيبة المسافر وهي المسماة عرفا بالجزدان ومن ذلك منشا الاصطلاح في تسمية هذا الفريق من المتجولين السوريين بباعة الجزدان

وقد كان هذا الفكر حميد العاقبة جزيل الفائدة لان البائع كان يمكنه طرق البيوت وزيارة العيال المعتبرة دون اثارة شبهة عن طبيعة المهمة القادم عليها. ولا سيما بعد ان

Arab American National Museum

تكاثر عدد الباعة السوريين والف الناس مرآهم فاخذت العيال الغنية تامر الخدم بصدهم عن الـدخول ووضعت المجالس البلدية في كثير من النواحي التي كان يغشاها السوريون بكثرة ضريبة على التجول. اما باعة الجزدان فكانوا على الغالب حسني الهندام بل يبالغون في ترتيب ملابسهم ومظاهرهم حتى لا يشك الناظر اليهم في انهم من الزوار. ذلك فضلا عن كونهم لجاوا الى طريقة تقيهم بذل ماء الوجه في طلب مقابلة ربة البيت لعرض بضاعتهم عليها. وهي انهم كانوا يطلبون من كل سيدة بطاقة تعريف ووصاة منها الى صديقاتها. وعلى هذه الصورة كانوا يقصدون السيدة المراد بيع بضاعتهم منها وهم عارفون اسمها وبعض الشيء عن حالتها وذوقها علاوة على كونهم مسلحين بحجة قوية هي انهم يقصدونها بتوصية من صديقتها السيدة فلانة ويذكرون اسمها فلا تردهم

ولاجل وضع الحق في نصابه واسناد الفضل الى اهله تقيدا بالحقيقة التاريخية لا بد من التصريح بان هذا الفرع من فروع التجارة السورية في امريكا الشمالية يرجع الفضل في نشاته ونموه الى المراة دون الرجل وان يكن الرجل قد انتفع فيما بعد باختبارات المراة في هذا المجال — فالمراة هي التي اختطت هذه الطريق وهي التي ما زالت متابعة السير فيها بالهمة والحذق وحسن الدراية التي اوصلتها الى النجاح وصيرت معها ممكنا وضع اسس المباني التجارية السورية الكبرى التي نراها في هذه الاصناف . ولا تزال هذه الطبقة من الباعة السوريين كثيرة العدد حتى الان بل قد يصح القول انه لم يبق غيرها من جماعة الدوارين لان باعة الكشة تحولوا اليها او انشاوا مخازن صغيرة لبيع المفرق بانواع بضائعهم الاولى او انصرفوا الى الاشغال الصناعية

وقد نشات من هذه الفئة طبقة من اصحاب المخازن النقالة يلحقون بجماعة الاغنياء في مصايفهم ومشاتيهم فاما يقاولون على فسحات لعرض بضائعهم في النزل المشهورة او يستاجرون المحال لمدة الفصل في البلدان التي يكثر اليها الزوار من طبقة اهل اليسار. وقد اصبحت هذه الفئة من انتجار السوريين مشهورة و مقصودة من مرتادي المصايف والمشاتي المشهورة

اما بداية تجارة البضائع البيضاء فكانت باصناف من المصنوعات المعروفة بالاسطمبولية المزركشة بالقصب والواردة باشكال شتى من اغطية وسادات وطاولات وستور واحذية وما اشبه . وليست هذه بطبيعتها من البضائع البيضاء التي نعهدها اليوم غير ان هذا الفرع من التجارة السورية يدعى بذلك تمييزا له عن تجارة الدراي كودس ولا سيما ان المشتغلين به هم الذين تحولوا الى تجارة البضائع البيضاء. و ان التجارة السورية في اخر تعليل وبحسب اساس نشاتها تقسم الى قسمين رئيسيين . الاول قسم الاصناف التي يحملها باعة الكشة والثاني قسم الاصناف التي يحملها باعة الجزدان. وبما ان البضائع الاسطمبولية هي من النوع التي كان يحملها باعة الجزدان فقد ادخلت تسامحا في قسم تجارة البضائع البيضاء

ولكن البضائع الاسطمبولية لم يطل العهد بالتجارة بها لانها لم تكن قابلة الرواج ومساعدة على التوسع فـاخذ السوريون ينصرفون عنها الى سواها من البضائع الاوربية والشرقية النفيسة . وكان المفلح من التجار ذاك الذي يكتشف صنفا قابلا الرواج فيقطف بواكيره قبل ان يهتدي الاخرون الى مصدره . ومن هذه الاصناف ما كان له رواج وقتي ومنها ما صادف طلبا متواصلا. فمن الاصناف الاولى الطرحات الاسبانية والشالات الحريرية وما كان من نوعها . ومن الاصناف الثانية المطرزات والمحوكات النفيسة مثل الكلوني والفيله والماديرا ومطرزات الفيلبين والرنيصانص وسواها . وعلى هذه الاصناف الاخيرة ما نجد كبار التجار السوريين في نيويرك بالبضائع البيضاء قـد شيدوا اسس مبانيهم التجارية الضخمة التي يكفي وصفا لاهميتها انها من اكبر البيوت التجارية من نوعها في هذه البلاد العظيمة

وقد كان التجار السوريون بهذه الاصناف يتلمسون طريقهم في البداية تلمسا لانهم لم يكونوا واثقين من مواضع اقدامهم فكانوا يطوفون السوق الوطنية ويختارون بعض الاصناف التي يلوح لهم انها تصادف رواجا. غير انهم ما كانوا يحققون رواج الصنف حتى يهبوا لاستجلابه من مصدره. ولم يرعهم او يوعرهم كون الصنف فرنسويا او ايطاليا او المانيا وكون مستجلبيه من الوطنيين الفرنسويين والايطاليين والالمانيين . بل قد زاحم المهاجر السوري ابن اوروبا في نفس بلاده وابدى من الدهاء وحسن الحيلة ما حقق له الفوز عليه . وهكذا ترى للتجار السوريين في نيويرك معامل بالعشرات في فرنسا وايطاليا وماديرا وفي الصين واليابان والفيلبين وقد كان من اهمية اشغالهم في صنف الماديرا على الاخص ان اصبحت لهم نصف المعامل

والمشاغل التي في الجزيرة بمعنى ان الخمسين الف امراة اللواتي يشتغلن بالتطريز يذهب شغل نصف عددهن الى التجار السوريين . وقد اشار الى هذه الاهمية القنصل الامريكي في جزيرة ماديرا في احد تقاريره الحديثةالمنشور في عدد اذار سنة ١٩٢٠ من «المجلة التجارية السورية الامريكية»

ثم ان التجار السوريين بعد ان اخذ يطرا هذا التوسع على اشغالهم لم يقصروا علائقهم على الباعة واصحاب المخازن من بني جنسهم بل اقتحموا تيار المزاحمة في السوق الوطنية الواسعة. ومن ابين الادلة على مقدرة السوري في الشؤون التجارية ان يكون قد ادرك المنزلة العالية التي له في تجارة البلاد على الرغم من حداثة دخوله السوق

وليس علينا لاجل ادراك شيء من مجالي هذه الهمة العالية الا ان نعتبر ان التاجر السوري بهذه الاصناف لم يكن منذ عشرين سنة غير ذلك التاجر الصغير الذي يبحث عن القطعة في السوق الامريكية ليبيعها من عميله ويربح من تصريفها القدر القليل .

اما الان فقد اصبح السوري ذلك التاجر الكبير المعدود قوة في تجارة البلاد والمصدر الاول للاصناف التي يبيعها لانه يصطنعها في معامله الخاصة المنتشرة في البلاد الاجنبية في الشرق والغرب وقد اصبح في حالة تمكنه من ان يستبد بالصنف ويبيعه من نفس من كان يشتريه منهم في الماضي بدلا من انه كان مستبدا به ومضطرا الى الاعتماد على سواه

وانك لتجد البيوت السورية الكبرى بتجارة البضائع البيضاء والمطرزات النفيسة ذات علائق متصلة بكل انحاء البلاد يرود معتمدوها المتجولون كل ولاية في الاتحاد عارضين امثلة البضائع المشحونة بها مخازنهم ومستودعاتهم وذلك باسعار لا يقدر على مثلها غير المنتجين الاولين . ثم ان الشراة القادمين الى نيويرك من الجهات في مواسم الاستبضاع لا يطيقون الا زيارة بعض المحال السورية الكبرى او كلها وهذا ما حمل عددا من كبار التجار بهذه الاصناف على نقل مراكزهم الرئيسية الى النقطة التجارية الوسطى في المدينة وقد بالغوا في ترتيب واتقان مخازنهم حتى نليق بطبيعة بضائعهم النفيسة وتنطبق على اهمية اشغالهم ومنهم من يدفع اجرة محله في السنة اربعين الف دولار وتبلغ نفقاته الادارية وحدها منزلة الربع مليون دولار ومثل هذا المحل يلوح بداهة ان دائرة اشغاله السنوية لا بد ان تبلغ الملايين العديدة

فهذا وجه اخر من وجوه تقدم التجارة السورية في المهاجر الامريكية يمكن الحكم منه على مبلغ ارتقاء المجموع. وان المطالع ليدرك شيئا من الاسباب التي صيرت مثل هذا النجاح الباهر ممكنا من مطالعة النبذات التاريخية عن عدد من اشهر المحال السورية المشتغلة بهذه الاصناف والتي اخترناها للاستشهاد بالنظر الى علو منزلتها في هذه الدائرة بل قد يستدل القارىء على طبيعة اهمية هذه المحال من الرسوم الفوتوغرافية التي تبين بعض مظاهر الاتقان والترتيب المدهشين فيها بصورة يعجز عنها الكلام. وما هذه المحال على كل حال غير صورة لمقدار ارتقاء التجارة السورية باصناف البضائع والمطرزات النفيسة يمكن الحكم منها الى قدر محدود على المجموع

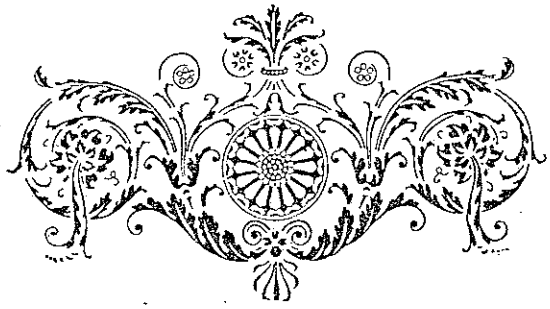

Arab American National Museum

محل ملوك اخوان

تاريخ هذا المحل حافل بادلة النهضة التجاريةالماثورة عن المباني التجارية السورية في المهاجر الامريكية فهو مع كونه نشا من بداية وضيعة ادركماله الان من المنزلة الرفيعة بضروب من الاقدام التجاري تذكر باعجاب وافتخار في تعليل اسباب نجاح المهاجرين السوريين في المرافق التجارية

ليس غير قدماء المهاجرين واقفين على مقدار العناء الذي بذله الناجحون منهم في وضع اسس المباني التجارية الضخمة التي نراها بيننا الان . وفي كثير من الناس عادة هي انهم لا ينظرون الا الى يومهم وساعتهم فاذا رأوانجاحا رائعا لاحد التجار قالوا ان هذا التاجر انما جمع ثروته بفضل طول مزاولته التجارة وتوفر فرص للتجار في الزمان القديم ليس موفورا مثلها الان. ولما كان المال يجلب المال فليس من الغرابة في شيء ان يكون التاجر ذو راس المال الكبير قادرا على تحقيق الارباح الوافرة من تجارته. وصاحب هذا المذهب لا يدري انه يهين التاجر الكبير الناجح ضمنا اذ يجرده من المقدرة الشخصية بارجاع الفضل في تحصيل الربح الى راس ماله لا اليه. مع ان هذا الوصف اذا صح على بعض التجارالذين ورثوا ثروتهم المالية او مصالحهم الموءسسة من قديم لا يمكن ان يصح على التجار السوريين المهاجرين الذين كان قوام نجاحهم مجرد اجتهادهم ومقدرتهم لا مال موروث او عمل سائر.

سليم ملوك

وهي عصامية تذكر لكبار تجارنا الناجحين بملء الاعجاب ويجب ان يذكر بها الناسون من ابناء الجيل الحاضر وان تخلد للعبرى عند ابناء الاجيال المقبلة

وحين ننظر الى التجارة الواسعة التي لمحل ملوك اخوان الان نرانا بحاجة الى التذكير بان هذا المحل الكبير لم يولد كبيرا ولا ادرك اهميته وبسطة علائقه باعجوبة. الا اذا عدنا الاجتهاد الفائق والحذق التجاري الخارق اللذين اتصفت بهما ادارة هذا المحل منذ نشاته من العجائب . وفي هذه الحال يكون قيام التجارة السورية كلها في المهاجر بمثل اعجوبة ويكون من خير الشواهد عليها تاريخ نشاة ونمو محل ملوك اخوان

فقد كان تاسيس هذا المحل في سنة ١٩٠٠ تحت اسم «اولاد نقولا ملوك» وذلك على اثر وفاة الوالد المرحوم نقولا ملوك الذي جاء الى نيويورك من وطنه دمشق مع افواج المهاجرين الاولين وكان كل مدة حياته من معتبري الجالية ممن يوءتم برايهم ويراعى فضلهم وبعد مضي سنتين على تاسيس المحل ارتاى موءسساه وهما سليم والياس كبيرا ابناء نقولا ملوك استبدال الاسم الاول باسم «ملوك اخوان» وهو اسم لا تزال تعرف به تجارة ملوك الواسعة حتى الان وقد صار بفضل الاهمية والشهرة اللتين احرزهما علما من الاعلام في تجارة المطرزات والمحوكات النفيسة ليس فقط بين السوريين بل في السوق الوطنية الكبرى ايضا

وقد كانت بداية تجارة ملوك اخوان اشبه ببداية سائر المتاجر السورية في المهاجر الامريكية لا قوام لها غير عدة تامة من النشاط والاجتهاد والثقة بالنفس . وكانت الاصناف الاولى التي تاجروا بها البضائع المعروفة بالاسطمبولية وكانت مصادر مشترى هذه البضائع وسواها من المطرزات والمحوكات الثمينة بيوتا تجارية امريكية وسواها في نيويرك. غير ان الوقت لم يطل على اكتشاف التاجر السوري المهاجر المشهور بالحذق مصادر هذه البضائع فهب للاستجلاب منها راساوقد كان كبير محل ملوك اخوان اول من ارشدته الفطنة ونهضت به الهمة الى الاقدام على هذا العمل الخطير الذي كان فاتحة عهد جديد في التجارة السورية كتب لها ان تدرك فيه ارفع

شاو من الاتساع والاهمية

وقد كانت اول فتوحاته اكتشاف مصادر المخرج النفيس المعروف بالكلوني . وهذا الصنف يجيء على اشكال كثيرة ويستخدم لاغراض بيتية شتى فتصنع منه اغطية الطاولات والبيرو والرفوف وما اشبه ومع ان التجار السوريين عرفوا ان مصدره فرنسا لم تكن حالتهم في ذلك الوقت تمكنهم من استجلابه راسا ولا سيما ان المكان المعلوم في فرنسا الذي كان يرد منه الصنف ما لبث مجهولا . ولكن سليم ملوك الذي له قدر وافر من التهذيب المدرسي ويحسن اللغة الفرنسوية كاحد ابنائها لم تستكبر همته الاقدام على هذا الامر الصعب وما كاد ينقضي الشهر على الوقت الذي خطر له فيه الفكر حتى كان في باريس ينتقل بين بيوت الكومسيون باحثا عن الصنف الى ان اهتدى الى مصدره وفي الحال اسرع الى نوبوي ولم يتردد عن مشترى كل ما امكنه الحصول عليه من السوق المطلقة بل انه عمد الى انشاء معمل خاص للمحل لاصطناع الرسمات الجديدة التي ابتدعها وكانت مشحوناته من هذا الصنف وحده الى محله في نيويورك في السنة الاولى من اكتشافه مصدر هذه البضاعة الرائجة بقيمة لا تقل عن مليون ونصف مليون من الفرنكات او ما يعادل ثلثمائة الف دولار

فحين نعرف مثل هذه الحقائق عن التاجر السوري المهاجر لا يسعنا الا الاعجاب بالهمة العالية البادية ادلتها في مثل هذا الاقدام المشكور غير اننا نزداد تعجبا عندما نعرف ان مثل هذا الاقدام في التجارة كانت ترافقه مقدرة في الادارة هي ما جعلت ذلك الاقدام مفيدا مثمرا . فان هذه الحركة التجارية الواسعة التي نشأت في السنة الاولى من اكتشاف سليم ملوك مصدر صنف الكلوني اديرت براس مال لم يكن اذ ذاك يتجاوز العشرة الاف دولار . وفي ذكر هذه الحقيقة شاهد على سر نجاح التجارة السورية في المهاجر وكيف انها بلغت اهميتها الكبرى الحاضرة في مثل هذا الوقت القصير

ومن فتوحات سليم ملوك التجارية ايضا انه اول من استجلب صنف مطرزات مادیرا راسا من مصدره . وقد حدثت له في هذه المهمة امور وقامت في وجهه مصاعب ليس غير حاير قالاشغال تقدر على التغلب عليها . فمحل ملوك اخوان كان اسوة بسائر المحال السورية في نيويورك يشتري هذه المطرزات النفيسة من مستجليها الالمانيين الذين كانوا محتكرين استجلابه . ولكن سليم ملوك قرر ان يقتحم الامر في عرينه فسافر الى مادیرا واخذ يسعى لصنع المطرزات لحساب محله . وقد راى التجار الالمانيون في مادیرا حالا عظم الضرر المزمع ان يلحق بتجارتهم من تعدي هذا التاجر السوري عليهم في دائرتهم فاخذوا يستنفدون قواهم في مقاومته ويلجاون الى كل واسطة مشروعة او غير مشروعة حتى انهم عمدوا الى مقاطعة كل مقاول يقبل شغلا من ملوك بل جاوزوا ذلك الى مقاطعة كل عاملة تشتغل له . ولكن سليم ملوك اظهر مثل صلابة عود الانكليز في مقاومة الالمانيين وما زال ملاحقا غرضه حتى تم له الفوز به . وقد استغرقت هذه الحرب التجارية ست سنين يقاوم فيها سليم ملوك وحده جموع الالمانيين قبل ان دخل الساحة احد سواه من التجار السوريين وسواهم

ومن بعد ذلك حول سليم ملوك عنايته الى جهات اخرى من اوروبا والى الشرق الاقصى فانشا فرعين للمحل في البندقية او فينيس وفي فلورنس من بلاد ايطاليا ثم في يوكاهاما من بلاد اليابان وفي شنغاي من بلاد الصين . وكان غرضه من ايجاد العلائق مع اليابان صنع البضائع النفيسة المعروفة بالموزاييك وهي ذات الخيط المنسول التي كانت تصنع اولا في المانيا . بنوع ان موءسسات محل ملوك اخوان التجارية والصناعية ترصع الان خريطة الكرة الارضية في الشرق والغرب

ومحل ملوك اخوان الان مستقل بملكيته كبير الاخوين الموءسسين سليم . اما الموءسس الاخر الياس فقد انفصل عن المحل في سنة ١٩١٧ وانشا تجارة خاصة بشركة احد اخويه الاخرين

ولا يزال سليم ملوك يوالي سفراته الى اوروبا والشرق لدرس الفرص واستطلاع الاحوال وقد اتخذ لمعاونته في ادارة اشغاله الواسعة الاديب والكاتب المعروف وليم كاتسفليس الذي له من ذكائه الفطري وطول مزاولته الاشغال التجارية وفرط مقدرته الادارية ما يوءهله لتولي ادارة هذه المصالح الضخمة

تلك لمحة مختصرة عن تاريخ نشاة ونمو محل ملوك اخوان وكيف ان صاحب المحل بذل مقدرة الجابرة في انجاح فتوحاته التجارية وهو بفضل الهمة المبذولة في العمل والمقدرة البادية في الادارة والنجاح الذي يكافا به التاجر المستقيم النشيط من خير الشواهد التي يمكن السوريين المهاجرين تقديمها على اسباب نجاحهم ومبلغ تقدمهم

* * *

Arab American National Museum

محل بردويل اخوان

هذا المحل السوري في نيويرك هو من اكبر المحال التي من نوعه في امريكا يشغل بناية بكاملها في الافنيو الخامس · مؤلفة من ستة اطباق ومشحونة بالمصنوعات اليدوية النفيسة الواردة عليه من معامله الخصوصية في الشرق والغرب وتبلغ دائرة اشغاله السنوية ملايين الدولارات وهو شاهد حي على عظم همة المهاجر السوري ومبلغ نجاحه في المرافق التجارية

عندما كان يقال للمهاجر السوري واللبناني ان في نيويرك ابنية متناهية في العلو تبلغ عدد اطباقها الاربعين والخمسين وقد لقبت بنواطح السحاب لعظم ارتفاعها في الجو كان يعد الوصف من باب المبالغة والغلو لانه بالنظر الى تصوره المحدود كان يستحيل عليه تصديق وجود مثل هذه الابنية الغريبة العجيبة

ولكنه عندما كان يطل على نيويورك ويشاهد هذه الابنية العظيمة قائمة في وجهه وقد كادت تسد الفضاء وترد الطرف كليلا كان يؤمن بما سمع لانه راى وتحقق بنفسه ان ما كان يحسبه مستحيلا كان واقعا في الحقيقة بل قد اصبح عنداهل البلاد من الامور المألوفة التي لا يعدونها على شيء من الغرابة

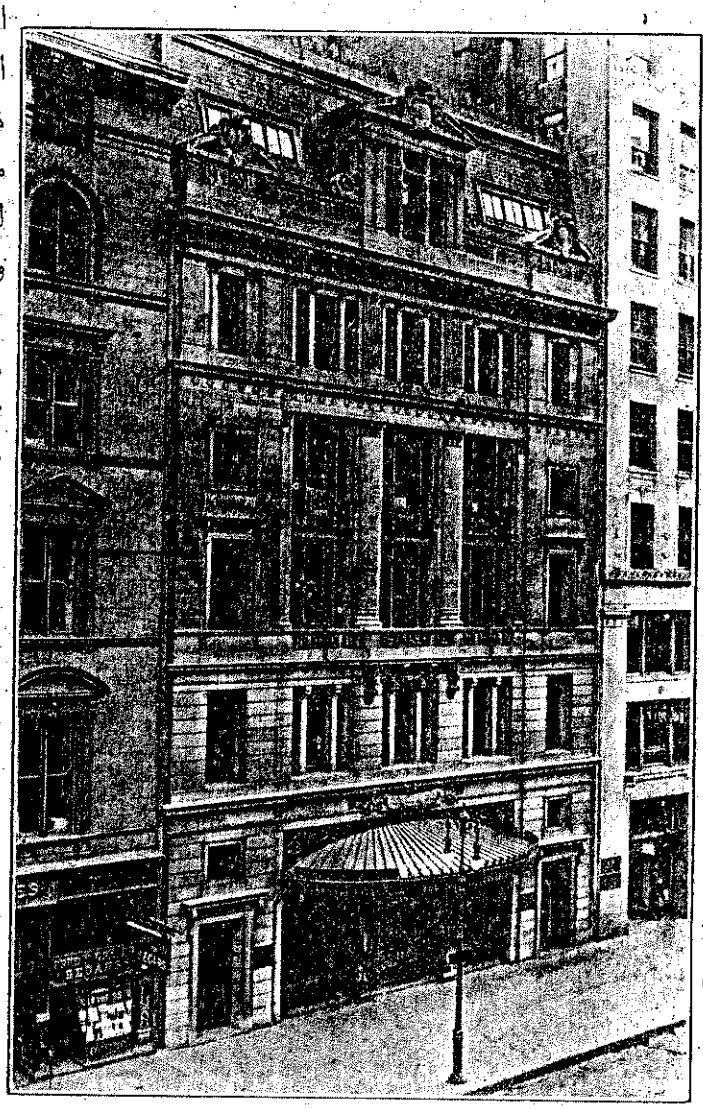

بناية محل «بردويل اخوان» في الافنيو الخامس بنيويرك

وعلى مثل هذا يمكن ان تقاس التجارة السورية في المهاجر الامريكية الداعية الى العجب من حيث سرعة نموها ومبلغ اهميتها وعظم اتساعها · فنحن المقيمين في المهاجر الذين نرى حولنا مظاهر هذه الاهمية ومبلغ هذا الاتساع والجسامة والضخامة قد الفنا المشهد حتى نكاد لا نرى فيه ما يدعو الى الاستغراب · ولكننا اذ نقص على الاغراب عنا بعض ما ادركنا من التقدم التجاري في ديار الهجرة قد يغلب عليهم الظن اننا مبالغون · الا انهم في هذا الظن اشبه بنا يوم كنا مقبلين الى هذه الديار وتوصف لنا جسامة وارتفاع ابنية نيويرك وعظمة امريكا عموما فلا نصدق · ولا نحسبهم الا مثلنا مضطرين الى التصديق ساعة تبدو لهم الشواهد الحسية التي تزيل الشك وتجلو اليقين

ومن الشواهد على عظم ارتقاء ومبلغ اهمية التجارة السورية في المهاجر الامريكية محل بردويل اخوان في نيويرك · فنحن غير مبالغين اذا قلنا ان هذا المحل السوري من اشهر المحال التي من نوعه في البلاد · حتى لست تجد من بين جميع المحال التي تعنى بالاشتغال بالبضائع النفيسة من مطرزات وسواها ما يفوقه مرتبة · والكلام يعم المحال الامريكية وسواها · له الوكلاء المتجولون منبثون في كل انحاء البلاد واسمه معروف عند جميع الشراة من الشاطىء الاتلانتيكي الى الشاطىء الباسيفيكي ومن البحيرات الكبرى الى خليج المكسيك

ولهذا المحل بناية جميلة فخمة في الافنيو الخامس الشارع المشهور في نيويرك تليق من كل وجه بان تكون مركزا لهذه التجارة الراقية · وتتالف هذه البناية من ستة اطباق

وزعت عليها الادارات المختلفة تصل بينها مرقاة (اليفاتر) خاصة . ولما كانت هذه البناية من اجمل المراكز التجارية السورية في امريكا فمن المفيد ايراد كلمة في وصفها

فموقع هذه البناية في نقطة تجارة الجملة بالبضائع النفيسة في الافنيو الخامس عند الشارع الثاني والعشرين. واذ تدنو منها يلفت نظرك حالا جمال هندستها وضخامة بنيانها ومظاهر الجلال البادية عليها . وقد قام فوق مدخلها رواق فسيح مسقوف تقرا على جانبيه من اية جهة قدمت من الشارع اسم «بردويل اخوان» واذ تدخل البناية وتستقر منها في الصحن تجد الى جانبيك يمنة ويسارا الغرف المرتبة المعدة لعرض امثلة البضائع ولكل غرفة وكلاءوها الاخصاء. وانما المشهد الذي يقر الناظر ويبهج الخاطر هو ما يتجلى في صدر المكان حيث تقع العين على سلم عريض من الرخام الناصع البياض يتفرع عند راسه الى شعبتين متصلتين برواقين جعل احدهما مكاتب والاخر مستودعا للبضائع. ثم انهما تلتقيان في طبق اعلى فسيح الجوانب تشغله دائرة الكتاب وفي صدره وراء حاجز من خشب الجوز الجميل مكتب صاحبي المحل

ومن هذا الطابق يمكنك ان تصعد على السلم او تركب المرقاة الى الاطباق الاخرى حيث تجد في الواحد قسم بضائع ماديرا ثم دائرة الشحن وغير ذلك حتى تاتي على اطباق البناية الستة

وانك تجد الترتيب والتنظيم بادية اثارهما حيثما جلت في جوانب المحل الفسيحة. وتدرك من كثرة عدد العمال ومن استمرار الحركة فيه شيئا من اهمية اشغال هذا المحل

ذلك هو مثال عما وصلت اليه التجارة السورية في المهاجر الامريكية في حالتها الحاضرة من الارتقاء المدهش ولكن ما هو ادعى الى العجب ان تكون قد بلغت هذه الاهمية في المدة القصيرة التي انقضت عليها ومن البداية الحقيرة التي نشات عنها

فالاخوان امين وجورج بردويل صاحبا المحل لم يهاجرا الى هذه البلاد الا منذ عشرين سنة. ولم يمر على تاسيسهما محلهما التجاري غير خمسة عشرة سنة. ولم يكن لديهما عند ابتدائهما الاشغال ما يستحق ان يدعى راس مال. وعلى الرغم من ذلك كله نجد ان محلهما اصبح من المحال المعدودة باصناف بضائعهما بين المحال الكبرى التي من نوعها في هذه البلاد

فكيف كانت بداية اشغال الاخوين بردويل وما هو السر في نجاحهما هذا الباهر؟

ففي سنة ١٩٠٠ هاجر الاخوان وهما فتيان في ريق الصبا وطنهما زحلة برفقة والدتهما قاصدين هذه البلاد. وكانا قبل ذلك يكاتبان انسباء لهما سبقوهما الى المهاجرة ويستطلعانهم احوال المهجر. فنصح لهما هولاء الانسباء بجنب ما تيسر من انواع الخروج والمحوكات اليدوية الموافقة للتجارة فعملا بالنصيحة وجلبا الاصناف المعروفة بركايات المكوك وما كان من نوعها من المصنوعات الوطنية اللبنانية التي صادفت رواجا كثيرا وكانت من الاصناف التجارية المهمة الى حين

وكان امين وهو كبير الاخوين عماد العائلة ويشعر على رغم حداثة سنه بثقل هذه المسوءولية. لذلك كان شديد الطموح دائم الحركة يقظا منتبها وكان له من اخيه الممتلىء نشاطا وحياة خير عضد في الاشغال. فاخذا يطوفان المدينة باحثين عن اصناف جديدة جميلة من نوع بضائعهما قابلة الربح من حيث لا تكون مفضوحة السعر . واليهما يعزى الفضل في العثور على صنف الكاوتشوك الذي كان يستجلبه بعض التجار الفرنسويين والالمانيين واصبح بعد ذلك من اهم الاصناف التجارية بين السوريين حتى اصبح محل الاخوين امين وجورج بردويل يبيع من نفس تجار الاوربيين في هذه البلاد ذات البضائع المستجلبة من بلادهم

وفي سنة ١٩٠٥ كان الاخوان قد جمعا قدرا من المال حسباه راس مال كافيا لفتح محل فباشرا التجارة بصورة وضيعة وبمنتهى التحفظ. ولكن بعد ذلك بسنة فقط سافر امين الى اوروبا فقلبها بطنا الى ظهر في البحث عن انواع البضائع الموافقة. فزار انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا وسويسرا والبلجيك وغيرها وكان انه في سفرته هذه الاولى اهتدى الى صنفي الكت ورك والفيله وهما المطرزات والخروج الايطالية النفيسة التي اصبحت فيما بعد من اهم واثمن اصناف التجارة السورية

ومن ادلة الاقدام التجاري الماثور عن محل بردويل ان امينا حتى في سفرته الاولى لم يغامر بمشترى الاصناف الشائعة من البضائع فقط بل اخذ يبحث عن الاصناف الجديدة التي امتنع بامكان مصادفتها رواجا فاكثر من مشتراها وحققت النتائج حكمه فما اهتدى المزاحمون الى مصدر البضاعة حتى كان محل بردويل قد انفق منها الكميات

Arab American National Museum

صحن بناية «بردويل اخوان» في الافنيو الخامس في نيويرك وقد قامت على الجانبين قاعات المعروضات المتعددة وفي الصدر سلم الرخام الذي يؤدي إلى الاطباق العليا

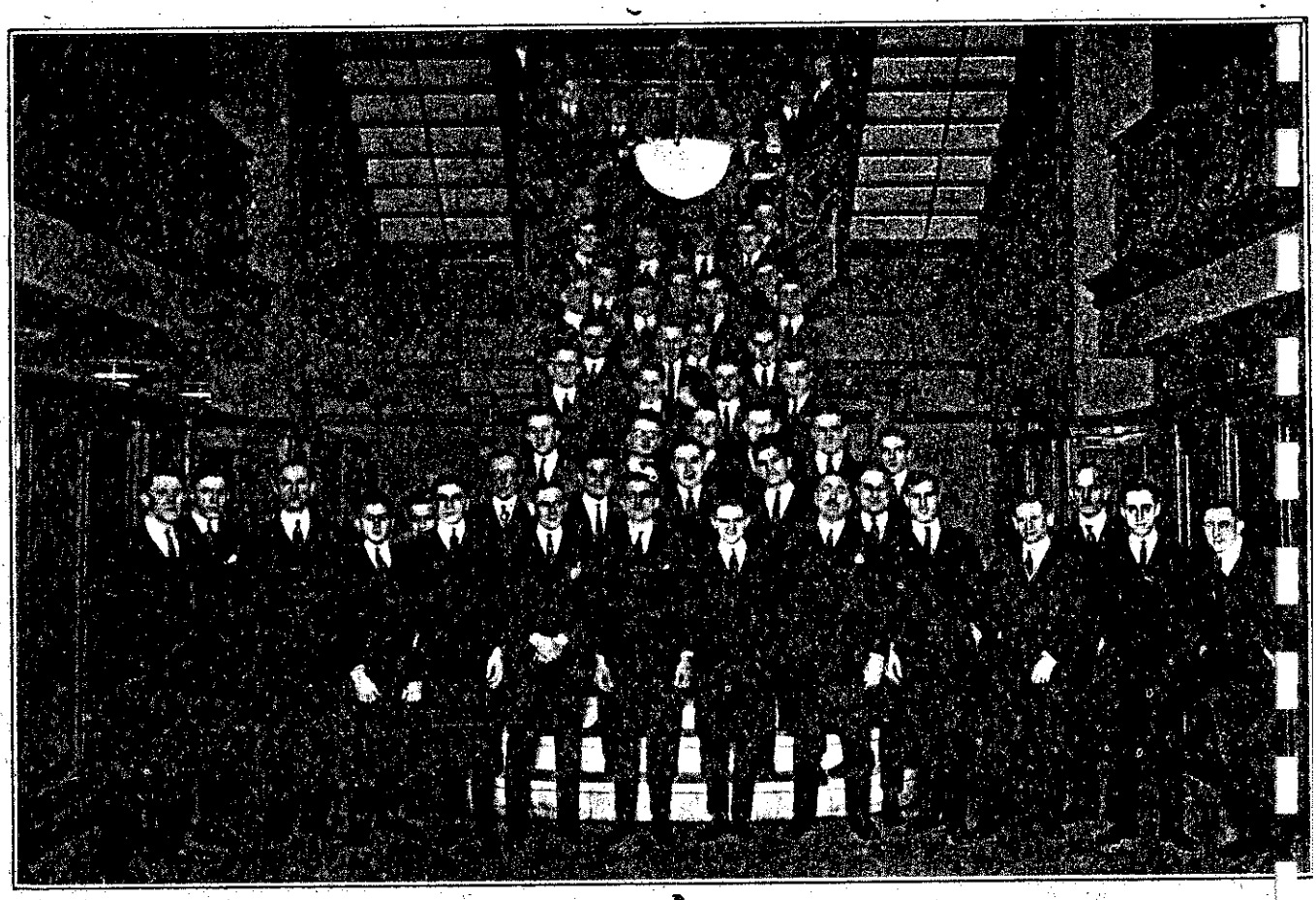

كل من قدرت ان تجمعهم عدسة الالة المصورة من موظفي ومستخدمي محل «برديويل اخوان» في نيويرك

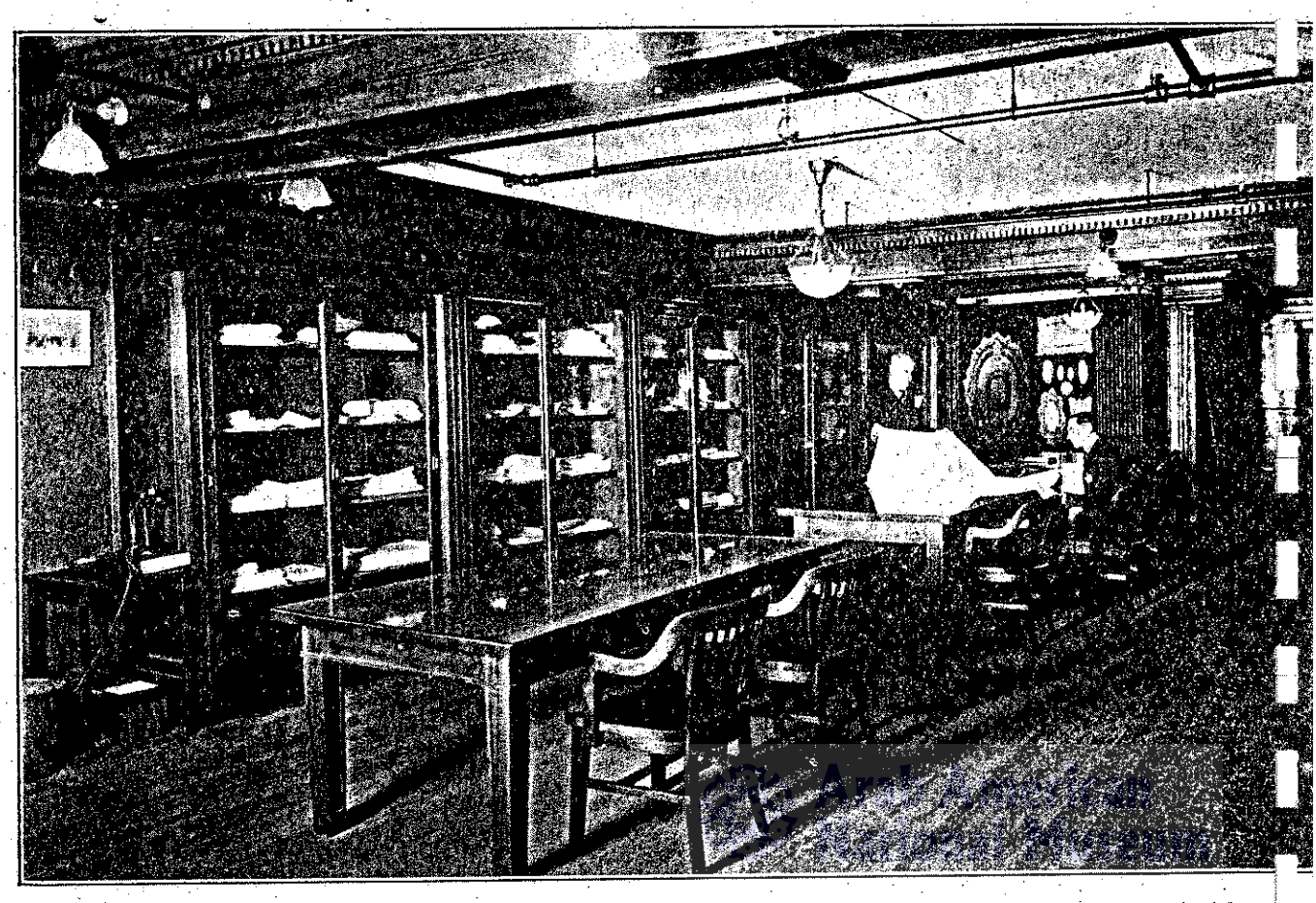

قاعة معروضات مطرزات مادیرا في محل «برديويل اخوان» وهي مثال لقاعات معروضات اصناف بضائع المحل الاخرى

بناية معمل «بردويل اخوان» في مانيلا الفيليبين

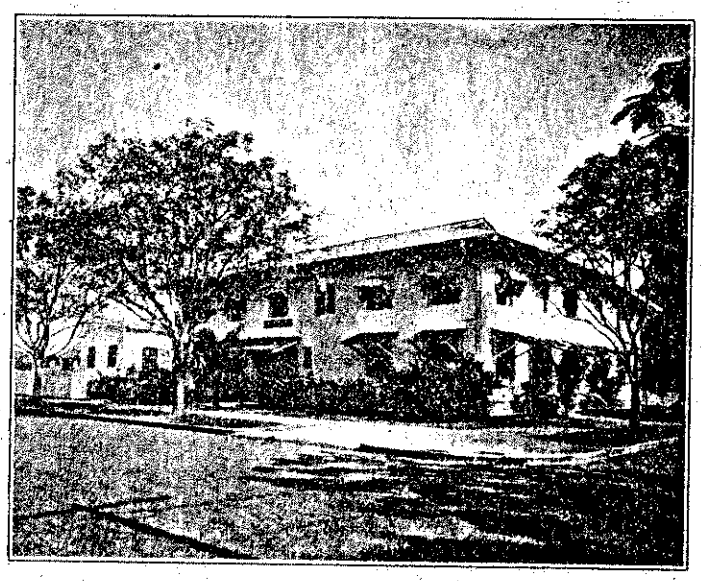

مكتب معمل «بردويل اخوان» في مانيلا الفيليبين

الكبيرة بارباح وافرة

ومنذ ذلك الوقت واشغال المحل على نمو مطرد وسريع وقد طرا تغيير جوهري على اشغالهم قضى به التوسع الكبير الذي نالته. لانهم بعد ان كانوا تجارا وسطاء يشترون البضائع من مصادر شتى ويتولون بيعها اصبحوا يشتغلون بضائعهم في معاملهم ولا يبيعون سواها. بنوع ان كل تجارتهم الواسعة قائمة الان على نتاج معاملهم الخاصة. ولهم معمل في لوبوي فرنسا انشاوه سنة ١٩١٢ لصنع بضائع الكلوني . ومعمل ثان في فنيس ايطاليا لصنع واردات تلك البلاد من خروج وقطع مطرزة وثالث في فونشال ماديرا لصنع المطرزات اليدوية المعروفة بهذا الاسم ورابع في يوكوهاما اليابان لصنع المطرزات اليابانية المتنوعة. والمعامل الثلاثة الاخيرة جرى تاسيسها جميعا في سنة ١٩١٤ ثم معمل خامس في شنغاي الصين تاسس سنة ١٩١٧ ومعمل سادس في مانيلا الفيليبين تاسس سنة ١٩١٨

وقد كان تاسيس كل هذه المعامل بهمة واعتناء الاخ الاصغر جورج الذي تولى امر السفر الى اوروبا بعد اخيه امين و كان يبدي من ضروب الحذق والتفنن في التجارة ما لم يكن مستغربا معه ان يكون الاخوان بتشابههما في المقدرة وتوافقهما في الاخلاق قد حققا مثل هذا النجاح

فهذا واحد من المحال التجارية السورية الناجحة في المهاجر يمكن الحكم منه على مبلغ ارتقاء التجارة السورية في المهاجر الامريكية في حالتها الحاضرة والاستدلال من هذه النبذة التاريخية عنه على نوع الطينة التي جبل منها تجارنا المهاجرون

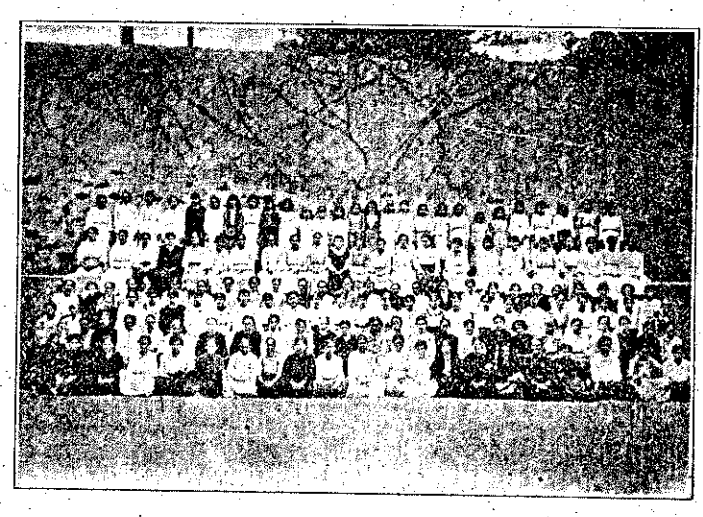

فريق من العاملات في معمل «بردويل اخوان» في ماديرا

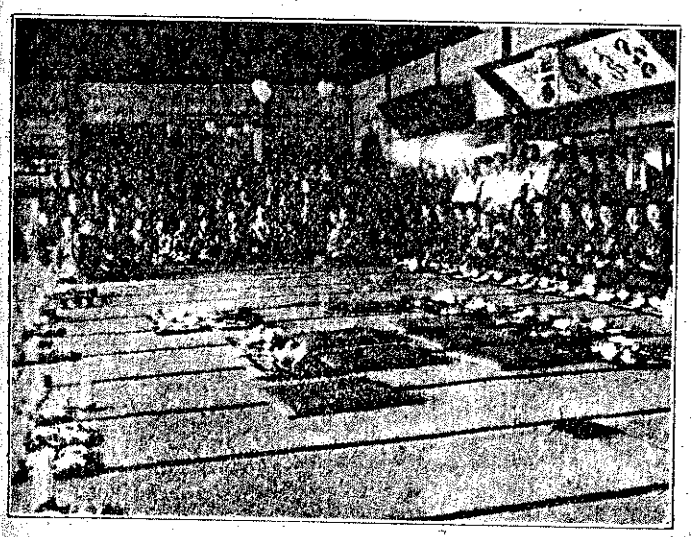

فريق من عاملات «بردويل اخوان» في اليابان مجتمعات في حفلة شاي

محل اسكندر ابو حمره وشركائه

من بداية وضيعة في شارع ركتر اصبح الان من المحال الخطيرة باصناف الخروج والمطرزات النفيسة في اهم نقطة في الافنيو الخامس وقد تم هذا الانقلاب بسرعة تدل على ما للسوري من الذكاء وفرط الاهلية في ادارة المصالح التجارية

في النقطة الوسطى من الافنيو الخامس — ذلك الشارع المشهور بكونه معرض الازياء في امريكا ومتنزه ومجتمع طبقة الاغنياء واصحاب الذوق والكياسة — يوجد محل تجاري سوري هو بنفاسة بضائعه وجمال ترتيبه وفاخر اثاثه ممتزج اتم الامتزاج بالمحيط الذي وجد فيه بل هو يزيد في جمال وكمال ذلك المحيط بفضل اتقانه الباهر وجماله الزاهر

ولسنا نعلم كم انفق صاحب المحل المذكور عليه حتى جعله على هذه الصورة التي تاخذ بالالباب وتملاء العين بهجة والقلب مسرة. فلا بد ان ترتيب محل على هذه الصورة الشائقة يستغرق نفقات تبلغ عشرات الوف الدولارات . ولكن ما قد يعده البعض على جانب من الغرابة ليس ان يوجد محل على هذه الصورة المتقنة بل ان يكون مثل هذا المحل لتاجر سوري . ولا سيما اذا اعتبرنا ان من جمهور شعبنا كثيرين ليس فقط في الاوطان وفي المهاجر الامريكية الاخرى بل في نفس الولايات المتحدة من لم يتسن لهم بعد الوقوف على شيء من القدر الرفيع الذي بلغته التجارة السورية من الارتقاء في دورها الحاضر

ولكننا في هذا التاريخ محاولون التعويض عن هذا القصور وسد بعض هذا النقص . وهي مهمة حتمنا على النفس القيام بها حتى اذا لم يكن في الطاقة وفاءوها كل حقها فلا اقل من محاولة وفاء جزء منه

والمحل الواردة عنه الاشارة في صدر هذا الكلام هو محل اسكندر ابي حمره وشركائه الذي يسرنا ان نعرضه كشاهد على مبلغ ارتقاء تجارة المطرزات والخروج النفيسة بين السوريين في نيويرك وان نبين بالشواهد الفوتوغرافية الحسية بعض وجوه الاتقان الذي اتصل اليه ارباب هذه التجارة

فاذ يدخل الزائر محل اسكندر ابي حمره في الافنيو الخامس يجد نفسه في قاعة فسيحة مكسوة ارضها بالطنافس الشرقية الفاخرة والى احد جوانبها فتاة تعنى بمجاوبة التلفون واستقبال الزوار وحولها المكاتب المختصة بوكلاء البيع. وقد جعلت جدران الغرفة من خشب الجوز اللامع ورصعت سماءها بالاضواء الكهربائية الجميلة

ومن هذه الغرفة تطل من جهة على مكاتب الادارة حيث يقيم مدير المحل واعوانه والكتاب. وهذه الغرفة مشرفة على الشارع وقد غشيت نوافذها بالسجف الثمينة وقطع الخرج الفاخر من صنع معامل المحل في ايطاليا . ثم تدخل من جانب اخر من قاعة الاستقبال الى مكتب صاحب المحل «حيث لا يدخل الا الاخيار المفضلون» . ولكن القاعة المتناهية في الجمال هي المعدة لعرض البضائع الايطالية النفيسة وهي رحبة الجوانب فاخرة الاثاث لائقة من كل وجه بان تكون مستودعا للمصنوعات اليدوية الثمينة التي تعرض فيها. ومنها تمر الى غرفة اخرى مختصة بمعروضات المطرزات اليدوية وارد مادیرا. ومن وراء ذلك غرفة اخرى معدة للشحن ولاقامة العمال والعاملات الذين يتولون اعداد البضاعة

نذكر هذا من وصف مظاهر المحل لان فيه دليلا على صدق نظر التاجر السوري في الاشغال وعلى مرونة استعداده لتكييف بظروف المحيط الذي يلقى فيه. الا ان في الاشارة الى اهمية واتساع اشغال هذا المحل دليلا اعظم على همة السوري التجارية وعلى اهليته لمجاراة ارقى الشعوب بمدارکه ووفورها استعدادا في حلبة التجارة . ولا سيما اذا راعينا قصر مدة مزاولته التجارة بهذه الاصناف ووجوده في محيط غريب لا يقدر على الثبات فيه الا كل من توفر له ما توفر للقوم الموجودين بينهم من الاهلية والمقدرة والنشاط

فمن اهمية اشغال هذا المحل ان له معملا من اوفى المعامل اتقانا في جزيرة مادیرا لصنع المطرزات اليدوية المشهورة عن هذه الجزيرة . وان المطالع ليدرك شيئا من اهمية واتقان هذا المعمل من الرسوم الفوتوغرافية المنشورة عنه. ثم ان له معملا في ايطاليا لصنع وتوريد المطرزات والخروج

Arab American National Museum

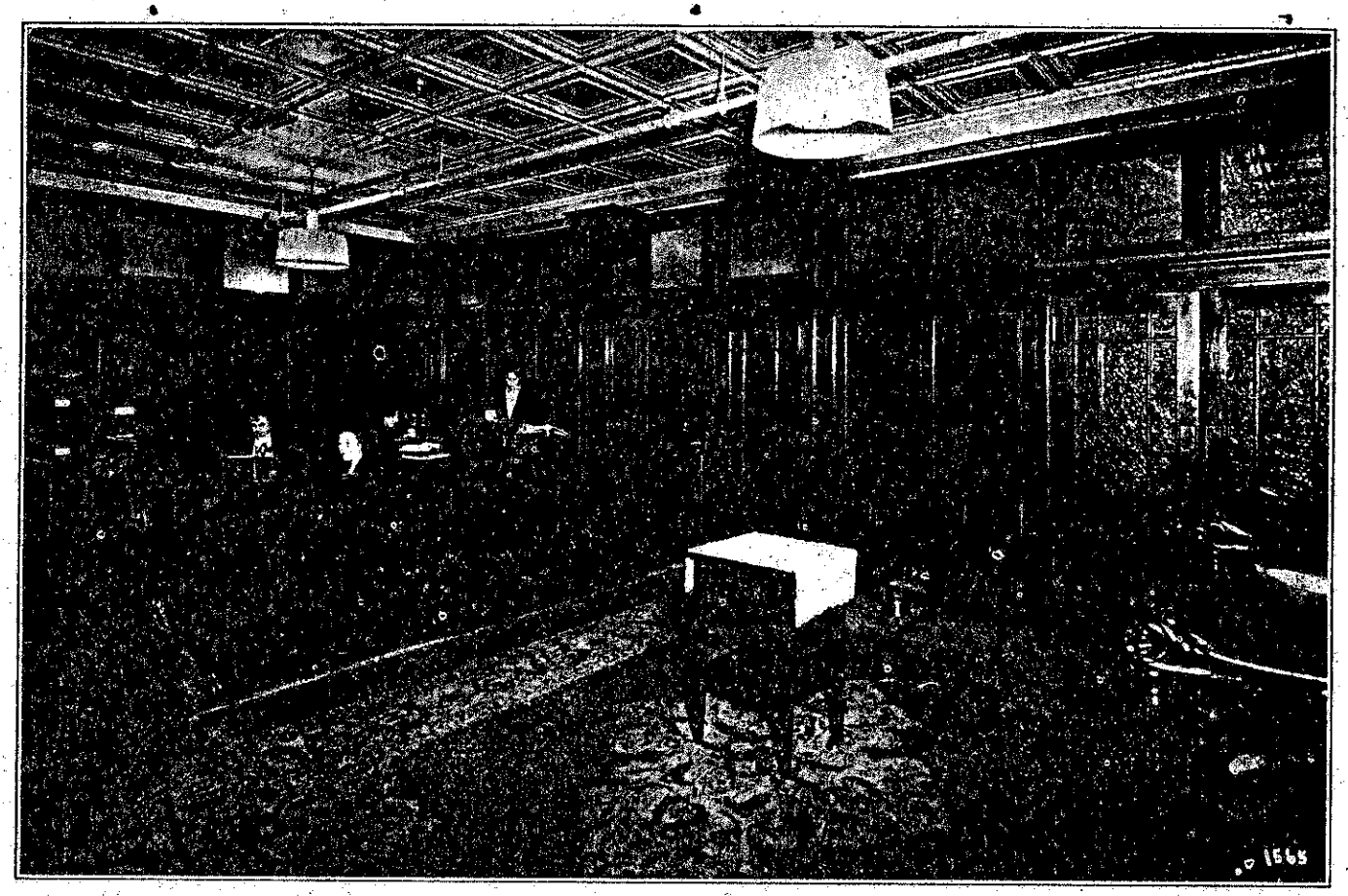

المدخل وقاعة الانتظار في محل «اسكندر ابو حمره وشركائه»في الافنيو الخامس بنيويرك

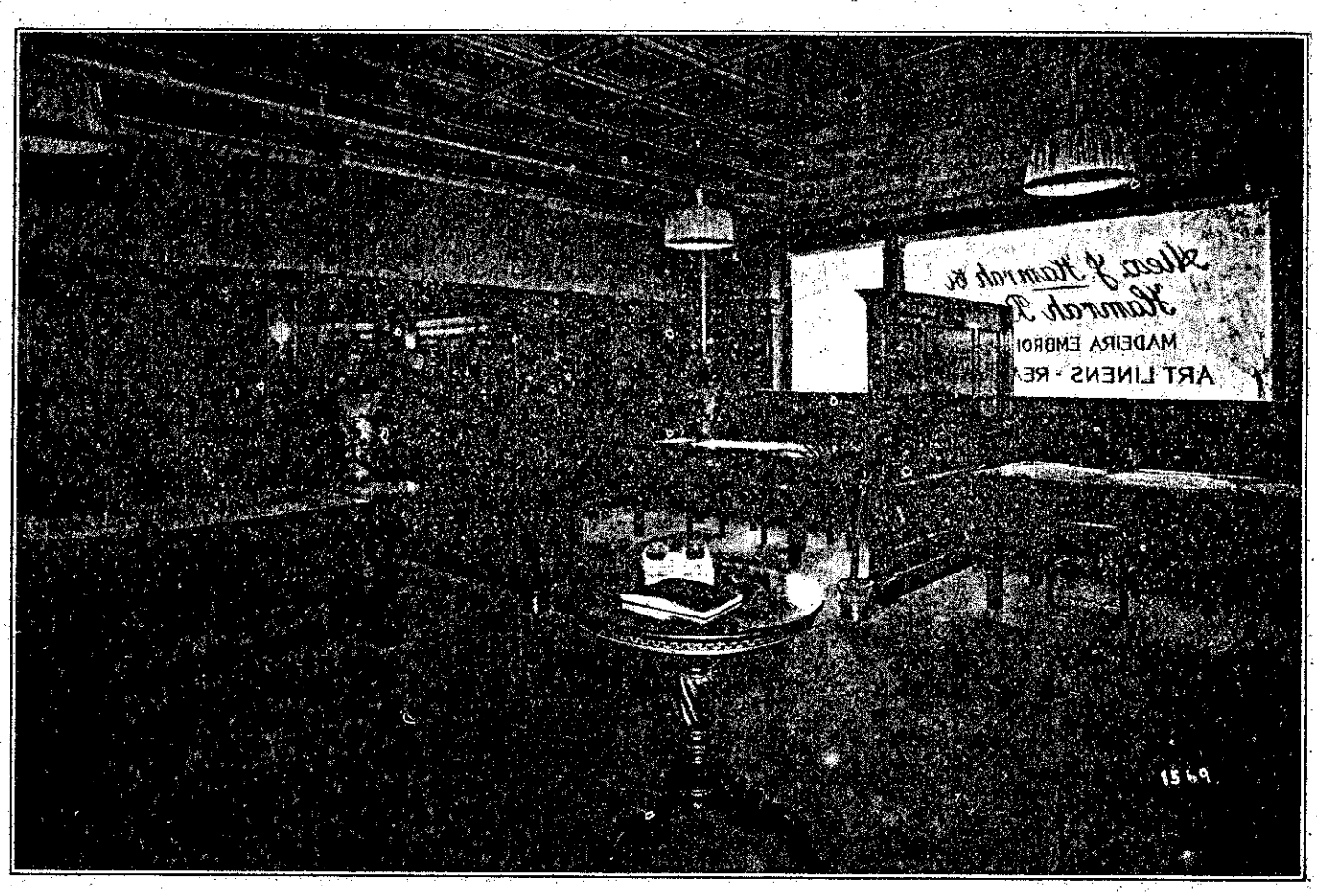

قاعة معروضات مطرزات مادیرا في محل «اسكندر ابو حمره وشركائه»في نيويرك وقد جعلت اقساما تسهيلا لعرض الامثلة على الشراة

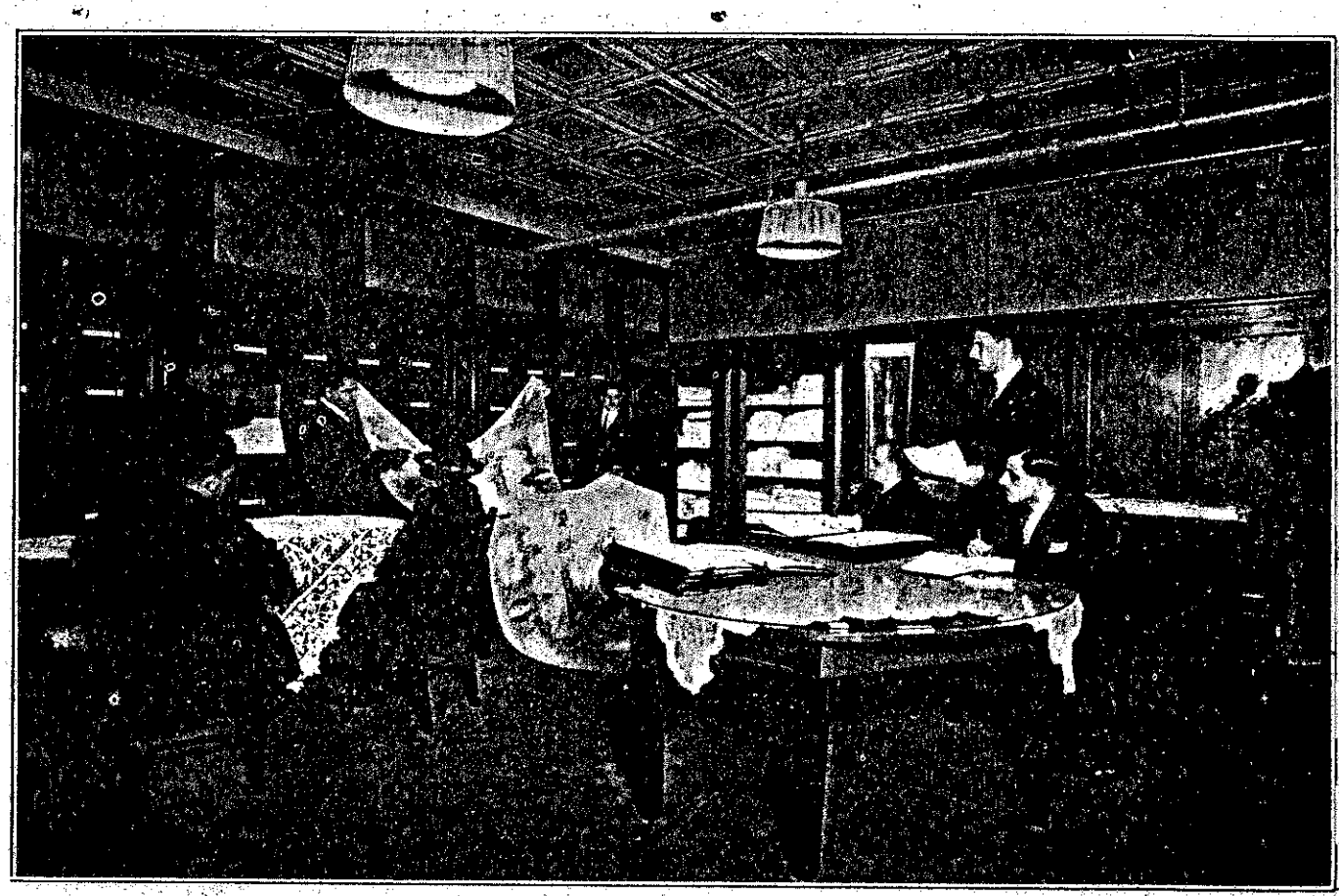

قاعة معروضات الخرج وبضاعة الكت ورك في محل اسكندر ابو حمره وشركائه في نيويرك

جانب من مكتب مسك الدفاتر في محل «اسكندر ابو حمره وشركائه في نيويرك

Arab American National Museum

رسم صفحتين من كاتلوك يصدره محل اسكندر ابو حمره وشركائه وفيهما رسوم لمعمل المحل في مادیرا تظهر فيها طريقة رسم وتطريز وكي البضاعة النفيسة

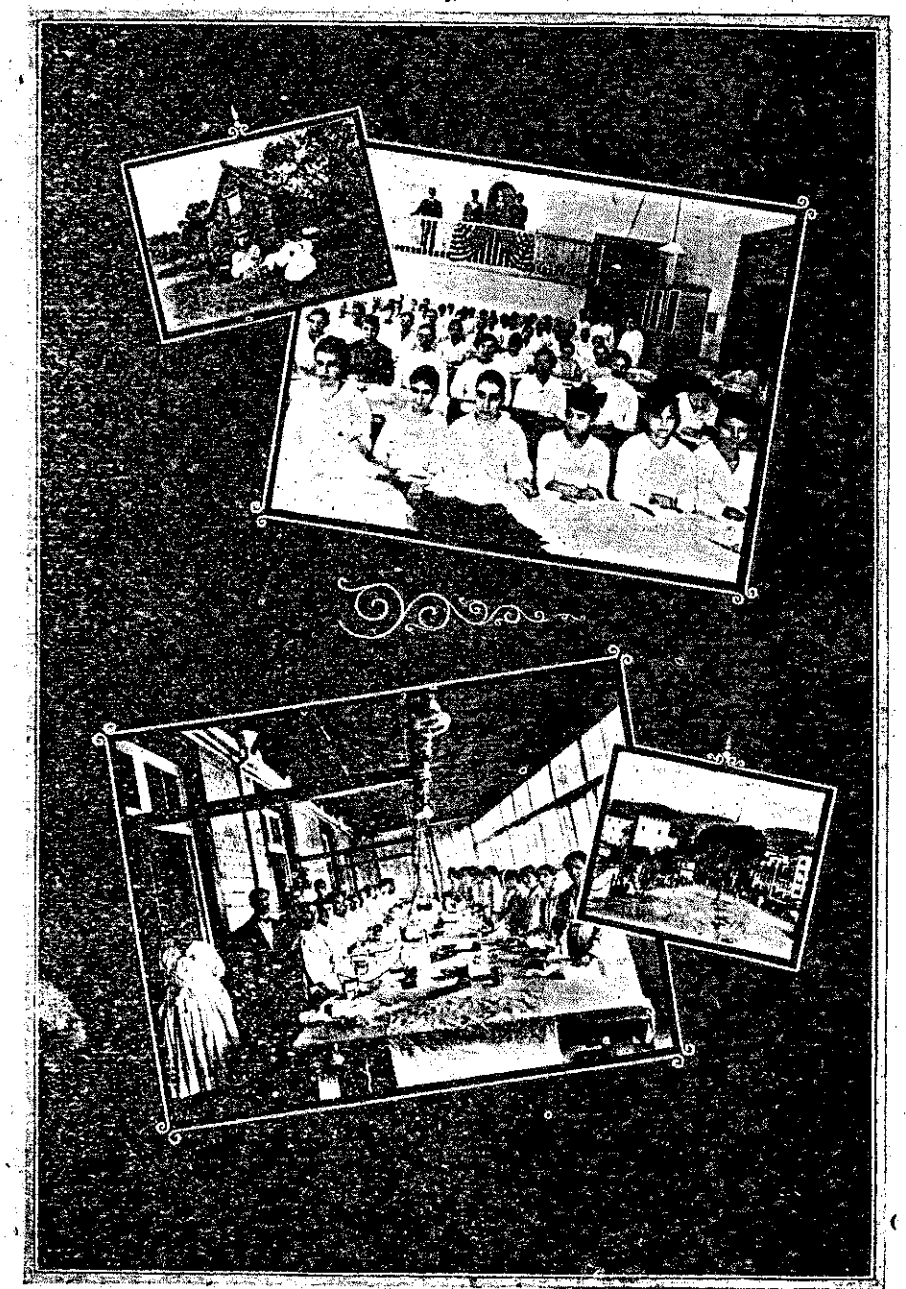

صفحة من كاتلوك محل اسكندر ابو حمره
وشركائه والرسم الظاهر فيها يمثل عمال المحل
ذاهبين الى داخلية جزيرة مادورا لتفقد العاملات

صفحة اخرى من كاتلوك
محل اسكندر ابوحمره وشركائه
والرسم الذي فيها يمثل احدى
العاملات الوطنيات جالسة امام
كوخها منصرفة الى التطريز

مكتب الادارة في محل «اسكندر ابو حمره وشركائه» في نيويرك وصاحب المحل هو الجالس الى اليسار الابعد عند النافذة

اليدوية النفيسة . ومعملا اخر في شنغاي من بلاد الصين لصنع الخرج اليدوي المعروف بالفيله الذي كان اول صدوره عن ايطاليا ولكن حذق السوريين التجاري ارشدهم الى موافقة اصطناعه في الصين فاصبح الوارد منه من هذه البلاد الاخيرة يفوق الاصلي دقة واتقانا

وقد ادرك المحل اهميته هذه خلال العشر سنين الاخيرة نعم ان تاسيسه يرجع الى ابعدمن هذه المدة غير ان سرعة تقدمه ما اخذت تظهر الا في هذه الاونة . وما كانت السنين السابقة الا تمهيدا لوضع الاساس الثابت المزمع ان يقوم عليه هذا البناء التجاري الضخم

وسواء كان التقدم سريعا ام بطيئا فالمعارف بحالة نشوء هذا المحل وكيف انه ادرك عظم اهميته الحاضرة من البداية الوضيعة التي ظهر بها لا يسعه الا الاعجاب بالفكر الثاقب والنظر الصائب والهمة العالية التي صيرت هـذا النجاح ممكنا

فاسكندر ابو حمره صاحب هذا المحل جاء هذه البلاد من مسقط راسه زحلة برفقة ابيه واخيه كسائر المهاجرين في سنة ١٨٩٣ على اثر المعرض العام في شيكاغو وقد تقلب في اشغال ومصالح كثيرة وكان كثير التجول شديد الملاحظة وسريع الاقتباس . وقد فتح عدة محال في الداخلية يتعاطى فيها بيع البضائع البيضاء ويكثر التردد الى نيويرك للاستبضاع حتى اذا كانت سنة ١٩٠٥ جاء واخيه بطرس الى نيويورك وانشاءا محلا تحت اسم ابو حمره اخوان في ٣٤ شارع ركتر براس مال صغير ولكن بامال كبيرة . وكانا حتى منذ ذلك الحين سريعي الاقتباس للطرائق والاساليب التجارية الحديثة فكانا يكثران من الاعلانات ويبالغان في التفنن بها ويصدران لوائح الاسعار باوقات معينة ويعتنيان بجعلها متقنة وسهلة على الافهام دون وقوف عند زيادة النفقة . حتى انهما اعتنيا بجعل نمر خاصة لاصناف البضائع كافة وكان العملاء قبل ذلك عند طلبهم الصنف يصفونه وصفا . وقد تمسك المحل بالعمل بهذه الطرائق الحديثة الى هذا الوقت حتى انك تجد اثار التفنن والذوق في الترتيب بادية في مطبوعات ولوائح اسعار وسائر منشورات المحل كما تبدو في اعداد المكاتب والمعامل سواء في المركز الرئيسي ام في

فروع الخارج

وفي سنة ١٩٠٩ قصد اسكندر اوروبا لاستجلاب البضائع للمحل من مصادرها الرئيسية فزار فرنسا وايطاليا والمانيا والنمسا وغيرها من البلاد وكانت تلك السفرة فاتحة اتساع علائق المحل واتخاذها شكل الاهمية التي اخذت تتجسم سنة عن سنة. وعقيب ذلك ببضع سنين سافر الاخ الاكبر بطرس الى الوطن للاقامة واستقل بالمحل اسكندر وصار المحل يعرف باسمه منذ سنة ١٩١٤ فجمع حوله عددا من الاعوان المقتدرين واوفد احدهم وديع الخرسا وهو نسيب له ومن مساهمي شركته الى مادیرا في سنة ١٩١٥ لتاسيس معمل فيها فصادف في ذلك نجاحا باهرا ثم انشا معمله في فلورنس من اعمال ايطاليا سنة ١٩١٧ واخيرا معمله الثالث في شنغاي فكان النجاح حليفه في هذه المشاريع جميعا

والان تجد ذلك الفتى الزحلي الذي جاء هذه البلاد منذ نحو ٢٧ سنة جاهلا لغة القوم ويتقلب في بداية عهد وجوده في المهجر بين عمل واخر ويتنقل من مدينة الى اخرى قد بلغ بجده واجتهاده وفرط حذقه وحسن استعداده مقاما رفيعا في عالم التجارة في الاصناف التي انصرف اليها . حتى ان اهمية اشغاله وتشعبها وتناولها السوق الاميركية الكبرى قضت بنقل مركز اشغاله الى النقطة الوسطى من الافنيو الخامس حيث جعل محله على جمال الترتيب الذي سبق وصفه. وهو من الافراد المعدودين بنجاحهم بين تجار المهجر الذين يصح اعتبار تقدمهم انموذجا وعنوانا للارتقاء الذي بلغته تجارتنا في نيويرك في حالتها الحاضرة

محل سليم قنطره واخوته

اربعة اخوة تعاونوا في العمل فحققوا لنفوسهم النجاح الكبير الذي يكافا به اصحاب الاتحاد والاجتهاد. وهم من حيث نشاة اشغالهم ومبلغ اتساعها ومن حيث دعة اخلاقهم وانصابهم على اعمالهم من خير الامثلة على هذا الوجه من اسباب نجاح التاجر السوري المهاجر

كالنهر الكبير السريع الجري والكامنة فيه قوة عظيمة غير ان سطحه هادىء في الظاهر لا يشف عما هناك من مياه عميقة ومجرى قوي هكذا محل سليم قنطره واخوته في نيويرك المعروف بين فئة المتاجرين بالبضاعة البيضاء وعلى الاخص تلك المعروفة بالدرون ورك والرنيصنص وارد البلاد اليابانية وغيرها من صنع هذه البلاد والخارج بانه من العوامل الكبرى في تجارة هذه الاصناف

وتدل سياسة هولاء الاخوة في الامور التجارية على شيء من اخلاقهم الشخصية . فهم من ابعد الناس عن التظاهر والاختلاط حبا بالشهرة . ولكنهم من اقرب الناس الى الاشتراك والمساعدة في كل مشروع نافع . بمعنى ان اجتنابهم الظهور ليس فرارا من المسوءولية العمومية ولكن فرارا من الشهرة اللاحقة بها. وخير ما يذكر عن ذلك ما يعرفه اعضاء اللجنة السورية التي اشتغلت بترويج قروض الحرية الاميركية اثناء الحرب. فلما قصد بعض الاعضاء قنطرة اخوان لسوالهم الاكتتاب اكتبوا بدون الحاح او تشويق بمبلغ خمسة وسبعين الف دولار للقرض الاول. وقيل ان ذلك كان اكبر اكتتاب لمحل سوري فرد في ذلك القرض.

ثم ان بداية اشغال الاخوة في نيويرك كان في سنة ١٩٠٤ عندما انشاوا فرعا لمحلهم الرئيسي في بتسبرغ بنسلفانيا الذي اسسوه في سنة ١٩٠٢ فانشاوا الفرع في برودواي بعيدا عن الحي السوري ولما ان نقلوا مركزهم الرئيسي الى نيويرك اقاموا في برودواي ايضا ولم يكن غير من يزور محلهم او من يتعاطى بانواع بضائعهم يدرك اهمية واتساع اشغالهم

وفي الحقيقة ان اشغال هذا المحل سواء من حيث اتساع نطاقها وحسن ادارتها او من حيث الشهرة الطيبة التي اكتسبها المحل بين الهياة التجارية الاميركية لمن الاعلاق النفيسة التي يتحلى بها جيد التجارة السورية في المهاجر الاميركية. ولا سيما عندما يرجع الباحث الى تاريخ نشاتها ويدرك سرعة ومقدار النمو الذي رافقها

Arab American National Museum

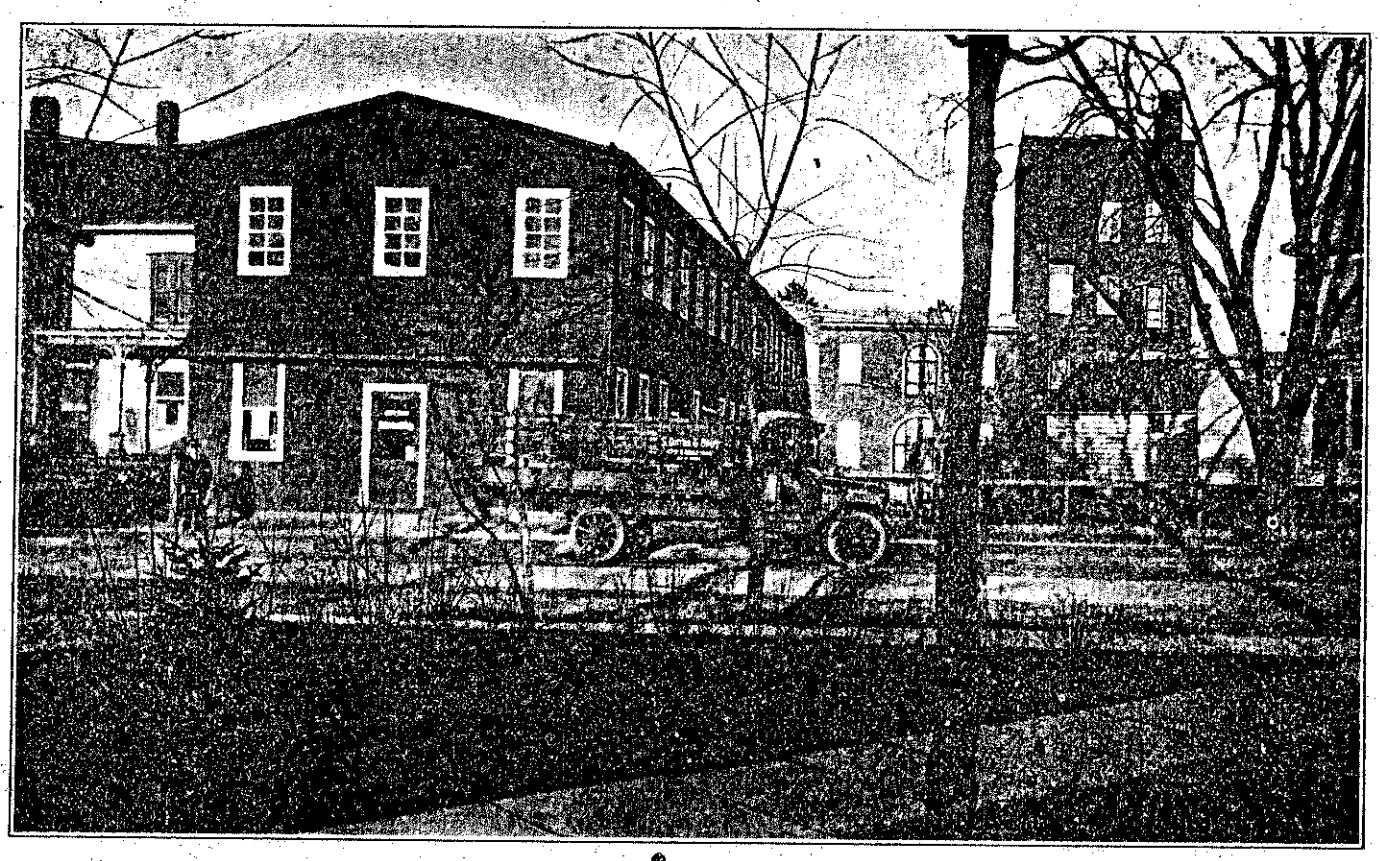

رسم خارجي عام لمعمل قنطره في وستوود تيو جرزي يظهر فيه الجناحان المبني احدهما بالقرميد والاخر بالخشب وامام المدخل احدى سيارات الشحن خاصة المحل

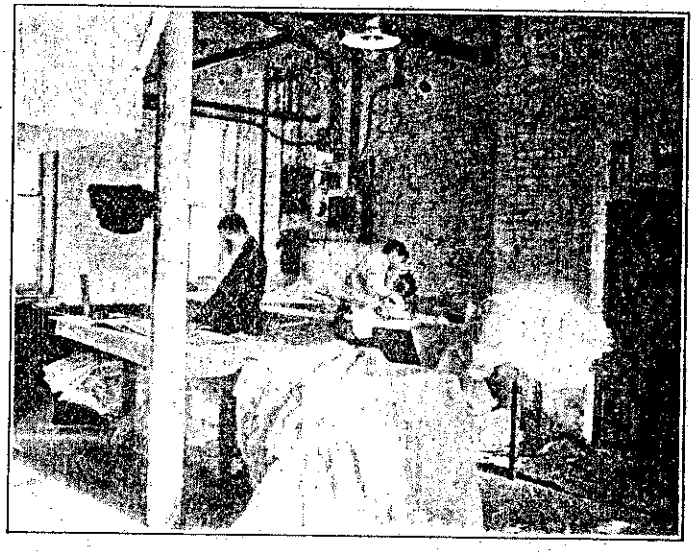

جانب من قسم تكميل البضاعة (فنش) وفيه تنسل الخيوط ويكمل ما يكون قد نقص من شغل الماكنات

جانب من قاعة التفصيل تظهر فيه طريقة قطع القماش جملة بالقوة الكهربائية

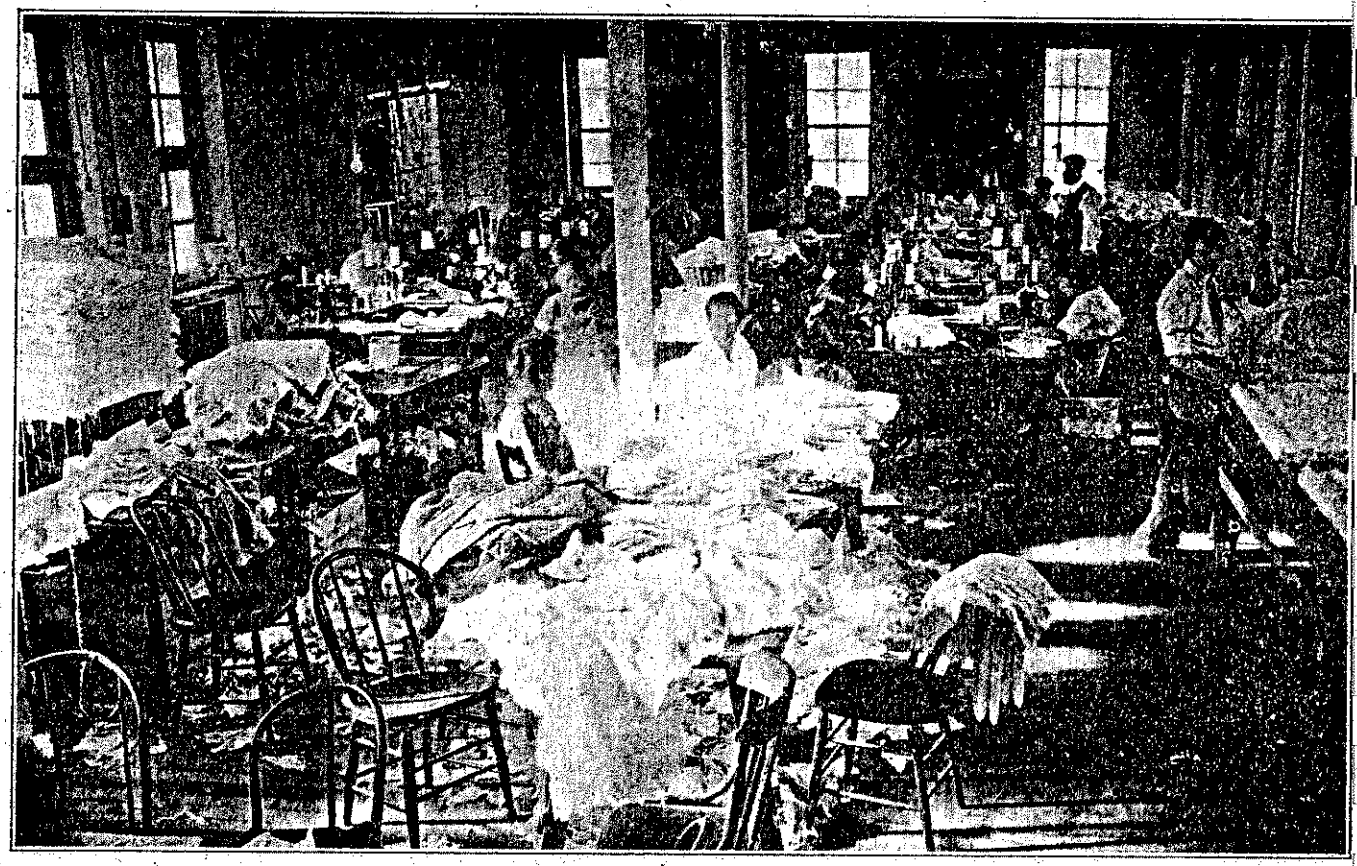

رسم جانب من قسم الخياطة في معمل قنطره في وستوود نيوجرزي

جانب من مستودعات البضاعة حيث تخزن في رزمها الى حين الشحن

قاعة فحص البضاعة قبل رزمها واعدادها للشحن

Arab American National Museum

فقد كان اسبق الاخوة الى المهاجرة اكبرهم سليم الذي جاء من وطنه طرابلس الى هذه البلاد منذ احدى وثلاثين سنة وتبعه بعد ذلك اخوته الاخرون انيس وتوفيق وباخوس في اوقات مختلفة . وقد ارشدته فطنته حتى منذ ذلك الوقت الى استخدام الطريقة التجارية التي اشرنا اليها في مقدمة هذا التاريخ والتي اخذ كثيرون من ناهضي التجار الامريكيين الان يستخدمونها بصورة مجسمة وهي استعمال العربات للتجول بالبضائع

ولكن سليما لم يكن من المهاجرين المحدودي المطامع الذين يقنعهم ان يجمعوا بضعة الاف دولار ليعودوا بها الى الوطن ويعد نفسه اذ ذاك فائزا بالبحبوحة . بل هو قد كان بعيد المطامع مثلما كان صادق النظر سريع الاقتباس . وقد افاده انه كان في الوطن مع اخوته تاجرا بالغلال حتى ان احد اخوته قبلان لا يزال الى الان من كبار تجار الغلال في سوريا

حتى اذا استوثق سليم واخوته من موافقة الظروف انشاوا محلهم الاول في بتسبرغ بنسلفانيا سنة ١٩٠٢ . ومنذ ذلك الوقت وتوسعهم في الاشغال مطرد وسريع . ففي سنة ١٩٠٤ اسسوا فرعهم في نيويرك . وفي سنة ١٩٠٥ اسسوا فرعهم في ديترويت وفي سنة ١٩١١ سافر كبيرهم سليم الى اليابان حيث اقام ستة اشهر فانشا علائق قوية لاستجلاب البضائع المعروفة بالدرون ورك والرنيصانص . ويدلك على مقدار تقدم تجارتهم بهذه الاصناف ان محلهم استورد منها في سنة ١٩١٦ ما يقارب نصف الوارد الى الولايات المتحدة عموما على ما يستدل من سجلات الجمرك . ولذلك سبب يجعل ذكره للاحاطة بتطور التجارة السورية من جميع وجوهها

ففي سنة ١٩٠٨ اخذ يتكاثر عدد المهاجرين الى امريكا من ابناء فلسطين وغيرها من الولايات السورية وكان معظمهم من الرجال الاشداء لا تصحبهم عيال وتساعد ظروفهم على التجول . فانصرفوا الى بيع البضائع البيضاء المعروفة بالدرون ورك والرنيصانص وما كان من نوعها من البضائع المتوسطة الثمن . وبفضل ذلك اوجدوا طلبا قويا على هذه الاصناف . وكان محل سليم قنطره واخوته من اكبر المحال التي يعتمدون عليها في الحصول على هذه البضائع ولم يجدوه مقصرا عن التلبية

ولكن اشغال محل قنطره لم تقتصر على استجلاب البضائع من الخارج . وهنا ما نجد شاهدا مشكورا على شدة فطنة السوري في الامور التجارية . فان اصحاب المحل قالوا في نفوسهم انه ما زال الطلب قويا على هذه البضائع المعتدلة الاثمان فما الذي يمنع من اصطناعها هنا؟ وعند ذاك اخذوا يستنبطون الطرائق لاصطناع البضائع في هذه البلاد فابتدعوا رسمات جميلة من الخرج المشابه ذاك الذي يصنع باليد وقاولوا بعض المعامل على اصطناعها لحسابهم الخاص بنوع ان الرسمات اصبحت محصورة لهم ثم انشاوا معملا واسع الجوانب حسن الترتيب كامل المعدات في بلدة وسنوود من ولاية نيوجرزي لتركيب الخرج على القماش وصنعه قطعا متنوعة لزينة البيوت . وقد كوفئوا على صدق نظرهم وعظم اجتهادهم وانتباههم غير المتجزئ الى اشغالهم بالنجاح الكبير الذي لهم الان

واشغال محل سليم قنطره واخوته غير منحصرة في هذا الوجه من الصناعة والتجارة . فان علائقهم مع الخارج لا تزال باقية . وهم يستجلبون البضائع الجميلة النفيسة راسا من اوروبا ومن الشرق فضلا عن ان لهم عناية خاصة بتصدير البضائع الى الخارج تساعدهم عليها مقدرتهم المالية وعلائقهم القوية بالمصادر الرئيسية للبضائع الوطنية

هكذا نجد في تاريخ نشاة ونمو هذا المحل التجاري السوري الكبير في نيويرك شاهدا اخر على اسباب النجاح الباهر الذي ادركه التجار السوريون في المهاجر وكيف ان اتحاد الاخوة وتعاونهم على العمل مقرونين الى المقدرة الادارية والفطنة التجارية لا بد ان تلاقي جزاءهما العادل

الاشغال السورية المتنوعة في نيويرك

مقدرة السوري المهاجر التجارية بادية باجلى واجمل مظاهرها في الاشغال المتنوعة التي انصرف اليها والتي اصبحت تتناول كل وسيلة من وسائل الكسب حتى تستلزم وجود خبرة فنية ودقة صناعية الى درجة رفيعة وعلى الرغم من ذلك نراه قد برز فيها جميعا وادرك من النجاح ما يشهد بوفرة استعداده الفطري الموروث وبسرعة اقتباسه الاساليب التجارية الحديثة بصورة تدعو الى الدهشة والاعجاب

تكاد لاتذكر الان نوعا من المرافق التجارية في الديار الامريكية الا وتجد للسوريين المهاجرين ضلعا فيه وكثيرا ما يتبين لك بعد البحث ان السوريين قد امتازوا باشغال عديدة فاقوا بها جميع مزاحميهم فضلا عن انهم في سواها بلغوا شاوا من التقدم صيرهم من عداد الممتازين بتجارة او صناعة الصنف. وان في هذا الامر بالحقيقة ما يدعو الى مزيد الاعجاب وبالاخص اذا رجعنا بالفكر الى عهد قريب ماض وتاملنا كيف كانت حالة هولاء القوم عند قدومهم الى البلاد وهم لا يكاد يكون لاحد منهم من الشروط التي توءهله للدخول ميدان المزاحمة في مثل هذا المحيط التجاري الراقي غير همة شماء وتصميم صحيح على بلوغ المنى العالية.

وقد سبق لنا في مقدمة هذا التاريخ وصف التجارة السورية في دورها الابتدائي وكيف ان المهاجرين الاولين جاءوا هذه البلاد وكان الواحد منهم يقتحم مخاطر الاسفار ويصل الليل بالنهار جدا في طلب الرزق. ثم كيف ان التجارة اخذت تتطور وتتشعب الى مرافق جديدة بفضل ما كان يطلبه الدوارون من التجار من البضائع التي يسألون عنها ويتحقق لهم رواجها. واخيرا كيف ان التجارة السورية في نيويورك بلغت قدرا من الاهمية والاتساع اوجب عليها التخصيص وصير بعض فروعها ذا اهمية ذاتية خاصة حتى لابد من معالجة البحث عنها باستقلال. وقد راعينا منزلتها هذه في وضع هذا التاريخ وذكرنا اهم هذه الفروع بحسب اقدميتها او اسبقية نشاتها فجئنا على وصف تجارة الاصدار والاستيراد ثم تجارة وصناعة الكيمونو فتجارة البضاعة البيضاء. ولما كنا قد راعينا في بيان اهمية التجارة السورية في حالتها الحاضرة ضرورة الاستشهاد بالامثلة الواقعية على مقدار ما كان ارتقاء وتقدم كل صنف فقد نشرنا عن كل من هذه الاصناف نبذات تاريخية معززة برسوم فوتوغرافية تصور للعين ما يقصر عن وصفه الكلام عن عدد من المباني التجارية السورية المشهورة لكل من هذه الاصناف.

ولكن ما لايجوز الاغفال عن ذكره ان التجارة السورية في نيويرك غير منحصرة في الاقسام الرئيسية التي سبقت اليها الاشارة ولا كل اهميتها مقتصرة عليها. فان السوريين قد برهنوا عن عظم اقدامهم التجاري وعن فرط لياقتهم واهليتهم لتولي اي الاعمال ولادارة اي الاشغال بما ترى من عظم نجاحهم في مرافق صناعية وتجارية كثيرة لم تكن لتخطر لاحدهم في بال ويكاد لايصدق البعيدون عنا حتى الان انهم يقدمون على مثلها. وغرضنا من هذا الفصل بيان بعض ما انصرف اليه السوريون في نيويرك من الاشغال المتنوعة ومقدار ما ادركوا من النجاح فيها متبعين نفس الخطة التي جرينا عليها في وصف الاقسام السابقة اي بايراد النبذات التاريخية عن اشهر هذه المحال مع نشر الرسوم الفوتوغرافية الحقيقية عنها استشهادا على بعض ما هي عليه من الاهمية.

تجارة السجاد

فمن الاصناف التي عني بالاشتغال بها السوريون في نيويرك منذ امد بعيد وادركوا فيها اهمية لا يستهان بها صنف الطناقس الشرقية واخصها العجمية الذي وجد فيه منذ بضع سنين عدد من كبار تجار الجملة يستجلبونه من الاستانة او يقاولون على استيراده رأسا بواسطة بعض كبار الشركات هنا ويتولون تصريفه على جماعة الباعة السوريين وعلى اصحاب المخازن الامريكية ايضا. وقد نشاءت التجارة بهذا الصنف كما نشاءت سائر المتاجر السورية عن نباهة وحذق الباعة المتجولين. وقد عرفنا ان المهاجرين عند اول قدومهم كانوا

Arab American National Museum

يتجولون لبيع البضائع القدسية اولا ثم اخذت تتسع دائرة متاجرهم بحسب ما كان يطلب منهم من الاصناف الوطنية والمجلوبة. الى ان كانت تجارتهم بالبضائع النفيسة التي تناولت البضائع الاسطمبولية والبضائع البيضاء من مطرزات يدوية وسواها. وكما سبق لنا وبينا ان طبقة المتجولين بهذه البضائع كانت من ذوي وذوات النباهة والكياسة لان علائقها كانت مع العيال المعتبرة واصحاب الثراء. فلما اكتسب افرادهذه الطبقةمن المتجولين السوريين ثقة السيدات المثريات واخذوا يكثرون التردد عليهن ويحصلون على كتب الوصاة منهن لصديقاتهن مع شهادة بجودة بضائعهم وبحسن معاملتهم امكنهم ان يعرضوا خدمهم على هذه الطبقة الغنية من الامريكيين في جلب كثير من الاشياء النفيسة حتى ما كان منها ذا قيمة كبيرة. وكان من عداد هذه الاشياء صنف السجاد الشرقي. وساعد الباعة السوريين على النجاح في هذه التجارة كونهم شرقيين وكون الصنف شرقيا ولا يستغرب ان تكون لهم به خبرة تستوجب وضع الثقة. بل ان من الباعة من كان يقاول على تاثيث بعض الغرف في منازل الاغنياء بالمفروشات والانية الشرقية فيجلب لها الخزائن والاسكملات المطعمة والقناديل وغيرها من الانية النحاسية المطرقة باليد من دمشق وبعض المحوكات النفيسة من صنع الزوق ويجعلها على هيئة الدور الشرقية فيها المقاعد والمساند او المتكاآت واباريق القهوة والنراجيل وغير ذلك مما يحدث للمكان صبغة شرقية بحتة. وكانت عند شيوع هذه الفكرة بين طبقة الاغنياء الامريكيين قد نشات تجارة واسعة بين السوريين في نيويرك باستجلاب المصنوعات الشرقية مما تقدمت الاشارة الى بعضه.

ولكن الصنف الذي لم توءثر عليه تقلبات الحدثان في هذه المتاجر هو صنف السجاد. لان الطلب عليه على ازدياد متواصل ولا سيما بعد ان اصبح يصنع سواء في بلاد العجم ام في الاناضول على القياسات والرسمات والالوان المرغوب فيها هنا. وقد استجلب بعض السجاد من حلب وغيره من المدن السورية الا انه وجد من الاصناف الدون التي لم تلاق رواجا بجانب الاصناف العجمية المتقنة. لذلك انصرف معظم المتاجرين بهذا الصنف من السوريين الى بيعه في المدن التي يمكنهم ايجاد حلقة خصوصية من المعارف فيها. ومن جراء ذلك قل عدد المتاجرين بالصنف على طريقة الاستجلاب وبيع الجملة في نيويرك الا ان المحل السوري الكبير القديم المعتني بهذه التجارة في نيويرك يعد من المحال الكبرى من نوعه وهناك بعض المحال الحديثة النشاءة السائرة على قدم النجاح مما يبرهن عن مقدرة السوري على مزاولة التجارة حتى في هذا الصنف المحفوف باشد المصاعب

تجارة السمانة

ومن الاشغال التي تكاد تعد رئيسية بين انواع المتاجر السورية في نيويرك تجارة السمانة والماكولات واخصها السورية. وقد طرا على هذا النوع من اشغال السوريين انقلاب خطير يرجع معظم الفضل فيه الى حسن نظر ومضاء عزم التجار السوريين المشتغلين بهذا الصنف. حتى ان من تجار السمانة اليوم من يشغل البناية الكاملة الموءلفة من ستة او سبعة اطباق مشحونة بانواع الحبوب والزيوت والمكابيس وسواها عدا ما يكون في المستودعات. مع ان بداية هذه الاشغال كانت اسوة بسائر المتاجر السورية صغيرة البداية قليلة الشان

وقد نشات تجارة السمانه من قالب السوريين على بعضهم في نزالات مستقلة في البلاد الغربية التي نزحوا اليها وتمسكهم في المهجر بكثير من العادات والتقاليد في طريقة المعيشة والسلوك مما كانوا يالفونه في الوطن القديم. وكانت اكثر ما تظهر عليهم هذه الحالة في بداية عهد المهاجرة في مدينة نيويرك التي كثر عدد السوريين فيها بفضل كونها باب الولايات المتحدة وحين يصل السوري المهاجر اليها لا يجد له غنى عن الاستعانة بابناء وطنه الذين تقدموه بسبب كونه غريبا جاهلا. وكان معظم المهاجرين في اول عهد المهاجرة يحملون من الوطن زادا للطريق او يجيئون انسباءهم في المهجر ببعض الهدايا مما هو موفور في الوطن مثل الحلاوى والتين المطبوخ بدبس والسمنة والفستق والبرغل والكشك وانواع الحبوب. ولكن زاد الطريق اذا كان يفضل منه شيء فوق حاجة الطريق لم يكن ذلك الفاضل كثيرا فخطر لبعضهم ان يستجلب اصناف الماكولات السورية برسم التجارة وقد اخذت تتوسع هذه التجارة حتى اصبحت تتناول ما يكاد لا يحصى من الاصناف. وتطورت حتى اصبحت ترود اسواق العالم النائية لاستجلاب الاصناف المطلوبة بنوع انها تتمكن من الاستغناء عن السوق السورية تماما على ما

ثبت في سني الحرب عند انقطاع المواصلات بين امريكا وبين الوطن القديم . ويدلك على حذق التاجر السوري ونباهته انه صار يستجلب الزيت من اسبانيا وايطاليا والزيتون من بلاد اليونان والعدس من المانيا والحمص من مراكش ومن المكسيك وزجاجات الاراكيل من النمسا وفناجين القهوة من اليابان والتنباك من بلاد العجم وانه انشأ معامل حديثة لجرش البرغل واصبح لا يستجلب غير القليل منه من سوريا . ذلك فضلا عن ان بعض التجار السوريين اجروا امتحانات عديدة لزرع وصنع كثير من الاصناف في هذه البلاد واخذوا يصنعون ركوات القهوة والنرابيش والقضامة والملبس في هذه البلاد ويأتون غير ذلك ضروبا كثيرة من التفنن

وقد تكون اهم اصناف السمانة واضمنها رواجا في المستقبل صنفا الزيت والفستق . فالاخير يستورد التجار السوريون معظم المجلوب منه الى هذه البلاد وقد اوجدوا له رواجا في السوق الاميركية حتى انك لا تدخل محلا مرتبا لبيع الحلوى وتطلبه الا تجده . اما زيت الزيتون فمن الاصناف التجارية المهمة وعلى الاخص بعد ان اصبح يعرض في الصيدليات ويصف الاطباء الاكثار من استعماله لما ثبت من منافعه الصحيه . غير ان الزيت السوري كثيف ولا يصلح منه لمثل هذه التجارة غير اجود الاجناس وقد اخذ بعض ناهضي التجار السوريين يكررونه ويعالجونه بطرائق خصوصية يصادفون فيها فلاحا وقد اصاب بعضهم ثروة من هذه التجارة

المحوكات والمطرزات

ومن الصنائع التي انصرف السوريون في نيويرك الى الاشتغال بها في الاونة الاخيرة وتم لهم فيها نجاح مذكور صناعة الحياكة والتطريز مما تناول اصنافا كثيرة من البضائع فمنذ نحو عشر سنين درج استعمال ربطات الرقبة للرجال الشبيهة بشغل الصنارة واخترعت ماكنات لحياكتها فاقبل السوريون على الاشتغال بها وانشأ بعضهم المعامل الكبيرة المتقنة المخصصة لها واقتطفوا بواكير ثمارها على غير عناء يذكر . انما الذين ثبتوا منهم في هذه الصناعة هم قليلون وهم الذين شيدوا اشغالهم على القواعد النظامية واخذوا يدرسون حاجة السوق ويكيفون مصنوعاتهم بموجبها . حتى ان اكبر معمل لبعض انواع هذه البضائع المحوكة ليس فقط في اميركا بل في العالم كله هو لتجار سوريين في نيويرك وفي ذلك من ادلة النهضة ما يغني عن التبسط في الشرح

وقد اشتغل السوريون على قدر مذكور بصناعة التطريز على الماكنات السويسرية وهي ماكنات ضخمة فيها الوف الابر وتطرز القماش حتى الى عرض عشرة يردات بل اكثر ويديرها عامل واحد يسير الابر دون ان يرى مغارزها وذلك بموجب رسم امامه . وقد راجت هذه الصناعة كثيرا بفضل كون معظم التجار السوريين يتعاطون هذه الانواع من الاقمشة وتوسع بعضهم حتى صار يشتغل الملبوسات النسائية ايضا مستعينا بهذه الماكنات لتطريز القماش ومحققا بهذه الواسطة اقتصادا وافرا في النفقات الاولية

الاشغال السورية الاخرى

ولو جئنا نعدد جميع الاشغال التي يتعاطاها السوريون في نيويورك لوجب علينا الاحاطة بالاشغال جميعا على تنوعها ولكن الغالب بينهم المرافق التجارية وان يكونوا قد بدأوا باخذون بالصنائع الاولية حتى لا يمضي عليهم الوقت الطويل الا يصبحوا من العوامل القوية فيها . بل ان من ادلة اقدامهم وشواهد مقدرتهم ان يكونوا قد ادركوا منزلتهم الحاضرة مع قصر عهد مهاجرتهم الى هذه البلاد

ومن اشغال السوريين في نيويرك غير ما سبق لنا ذكرها في ابواب مستقلة انهم يشتغلون بتجارة العقار وقد اصبحت لبعضهم املاك ثمينة مما كان قائما عند انتقاله الى ايديهم او اصلحوه وبنوه هم . ولهم المخازن لبيع الملبوسات الثمينة في الافنيو الخامس التي يقصدها اصحاب الملايين مثلما ان لهم المخازن الصغيرة لبيع الاقمشة والخرضاوات في الاحياء المتوسطة والفقيرة . ومنهم من يشتغل بالاثريات من شرقية وغربية واصبحوا ممن يركن اليهم فيها . ولهم معامل لصنع اللفائف والسيكارات ومطبعة لورق اللعب هي الوحيدة من نوعها في البلاد المزاحمة لشركة الاحتكار . ومعمل لاغطية القناديل المصورة والملونة باليد هو من الممتازين بهذه الصناعة في البلاد . ومنهم مقاولو بناء ومهندسون وخياطون ونجارون يديرون اشغالهم على طرائق منظمة منتفعين بالخبرة التي اكتسبوها من المحيط . ولهم المطاعم المتقنة ذات المطابخ السورية البحتة او الاميركية وفيها مئات الكراسي ولهم معارض الصور المتحركة وشركة للتجارة بهذه الرسوم وشركة لصنع صواني الفونغراف . ولهم قاعات المرطبات

Arab American National Museum

والحلويات على غاية الاتقان. ومنهم من انشأ شركات لشحن البضائع لديار عشرات العربات والسيارات الكبيرة ولها المستودعات الرحبة. ولهم الصيدليات المرتبة ووكالات السفر وغير ذلك كثير من الاشغال التي تجعل الجالية السورية في نيويورك مدينة قائمة بنفسها يزاول سكانها جميع الاعمال المألوفة في قيام المدنية الحاضرة. ناهيك عن المهن التي لم نشر اليها كالطباعة والصحافة والطباعة والمحاماة والتعليم مقتصرين على ذكر المرافق التجارية

ولا شك في ان كثرة عدد السوريين في نيويورك يؤذن بالاحاطة بمثل هذه الاشغال المتنوعة. غير ان نجاح السوريين في هذه الاشغال التي لم يألفوها من قبل ولا خطرت لاحدهم على بال هو ما يدعو الى الاعجاب بهمة السوري وذكائه واجتهاده. ولا سيما حين نذكر ان هذا السوري الذي نجده في هذه المنزلة اليوم هو نفسه ذلك السوري الذي جاء هذه البلاد منذ سنوات معدودة مهاجرا جاهلا اللغة صفر اليدين خاليا من الخبرة وما هجر وطنه وقصد المهاجر الغربية النائية الا مسترزقا

فالسوري المهاجر اليوم هو غير السوري المهاجر في العهد القديم . فقد طرا عليه في حالتيه الادبية والمادية انقلاب جوهري جعل ماضيه اثرا لا يذكر الا بما رافقه من التضحية والاجتهاد. وهو اليوم يسكن الدور الفخمة ويكثر البذل بغية التمتع برخاء الحياة وقد يكون من بين العناصر الاجنبية اوجهها من حيث الظهور بالسعة وطلب مستوى رفيع في حالة المعيشة. وقد تم ذلك بفضل ما جنى من الفوائد المادية التي حصلت له من حسن استخدام مواهبه الطبيعية في المرافق التجارية. فحق والحالة هذه ان ينشر للملا طرا وصف ما ابدى السوري المهاجر من النشاط الماضي وما وصل اليه من التقدم الحاضر للذكرى والعبرى على ما نحن مجتهدون ان نفعل في وضع هذا التاريخ

ولما كنا قد ذكرنا في ما سبق الاقسام الرئيسية في التجارة السورية فنحن اخذون الان بذكر نبذات تاريخية عن الاشغال المتنوعة التي يستدل منها اولا على تاريخ نشاة تجارة السوريين بهذه الاصناف الخاصة ثم على سعة دائرة وتنوع الاشغال التي اقدم عليها التاجر السوري المهاجر. واننا في ذكر هذه النبذات غير مراعين ترتيبا خاصا وسنوردها كما تجيء وسيرى منها القراء ادلة على عظم ومبلغ اقدام واجتهاد ومقدرة التاجر السوري اشبه بما راوا في النبذات السابقة التي اوردناها تحت ابواب المتاجر الرئيسية

محل نعمه تادرس وشركائه

صاحب هذا المحل اختار فرعا من اصعب المتاجر وجاهد فيه بهمة خارقة فادرك نجاحا باهرا جعله من الافراد المعدودين بثروتهم بين المهاجرين واظهر ما طبع عليه من كرم النفس ببذله عن سخاء للمشاريع الادبية والوطنية والخيرية فاشتهر بكونه من كبار المحسنين

في ٢١ كانون الاول من سنة ١٩٢٠ اقيمت في احد النزل الشهيرة في بروكلن مادبة وداعية لنعمه تادرس قبيل مغادرته هذه البلاد الى الوطن ندر ان اقيم مثلها لاي تاجر سوري مهاجر. وقد كانت هذه الحفلة دليل اعتبار وشاهد اكرام الجالية لاحد افرادها الممتازين الذي خصه الله بمواهب مكنته من حلول هذا المركز الرفيع بين القوم. والناس يرون في هذه الحفلة برهانا على علو مكانة نعمه تادرس الاجتماعية بين الجالية غير ان لهذا المواطن في عالم التجارة مكانا يوازي ذلك الذي له في دوائر الهيئة الاجتماعية ان لم يكن يفوقه مرتبة لانه من العصاميين المتفردين باجتهادهم ومن الناجحين الممتازين بسعة دائرة اشغالهم وحسن انتظامها وجسامة اهميتها بنوع ان دارس تاريخ التجارة السورية في المهاجر الامريكية لا يسعه الا وضع تجارة نعمه تادرس في المرتبة الاولى بين المتاجر السورية في المهاجر ويجد في نشوئها وتطورها برهانا حسيا ليس فقط على الهمة العملية والمقدرة الادارية بل على عظم ما كوفيء به التاجر السوري من النجاح الباهر على اجتهاده النادر

فمحل نعمه تادرس وشركائه هو المحل السوري الكبير في نيويورك المشهور بتجارة السجاد الشرقي الذي تتصل

نعمه تادرس

علائقه لاستجلاب السجاد بمصادر الصنف الاولية في بلاد العجم وتركيا وسواهما من البلاد الشرقية بينما علائقه لتصريف مجلوباته مترامية الى جميع انحاء البلاد الامريكية واذا تاملنا في حالة تجارة السجاد الشرقي في امريكا وكيف ان شركات امريكية تبلغ رؤوس اموالها عشرات ملايين الدولارات تحاول احتكار الصنف علاوة على كون جماعة من كبار تجار الاعجام والارمن راصدة رؤوس الاموال الطائلة عليه ولها امتياز على سواها بكون الصنف من صادرات بلادها ياخذنا العجب كيف ان تاجرا سوريا يقدر على مزاحمة مثل هولاء الاقوام في تجارة هذا الصنف ويستجلبه من بلادهم راسا وتبلغ اهميته فيه منزلة يشهد المزاحمون نفوسهم برفعتها ويصبح عاملا من العوامل المهمة في هذه التجارة ليس فقط في الحلقة السورية المحدودة الدائرة بل في تجارة البلاد عموما

ولاجل ادراك شيء من صعوبة التجارة بصنف السجاد يجب ان تراعى فيها وجوه كثيرة تستلزم مقدرة مالية وخبرة فنية وحذقا في المعاملات قل ان يستلزم وجود مثلها اي الاصناف الاخرى فالسجاد يرد معظمه من بلاد العجم ومن تركيا وقل ان تصل شحنة منه قبل مرور سبعة اشهر ومعظم الاثمان

Arab American National Museum

جانب من محل نعمه تادرس وشركائه في نيويورك المخصص لبيع السجاد الشرقي بالجملة

تدفع نقدا لان المشترى يكون على الغالب متقطعا ومن الصناع الوطنيين افرادا حتى لا تلحقه النفقات الكثيرة من مروره على ايدي التجار العديدين . وكل هذه المعاملات كما لا يخفى تستلزم رصد راس مال كبير يبقى جامدا الى مدات طويلة . ذلك علاوة على وجوب دفع الرسم الجمركي العالي عند دخول الصنف الى البلاد وما تقتضيه القطع من الغسل والمشط والتحضير قبل ان تصير صالحة للعرض في سوق البيع والشراء

ولكن ما هو على مثل ذلك من الاهمية ان الخبرة الفنية في السجاد من اللزوميات الاولية في هذه التجارة. فان من الامريكيين من اتقنوا السجاد الشرقي درسا حتى اصبحوا عارفين بتاريخ كل صنف من اصنافه وينسبونه الى المقاطعات التي يصنع فيها ويحلون رموزه ويعرفون عدد العقد في كل فيراط مربع فيه الى غير ذلك مما يقضي على تاجر السجاد ان يكون واسع الخبرة وافر المهارة. واذا كان هذا شان الشاري الفرد بين الاميركيين فكيف بتجار الصنف الذين لا يخفى على عينهم الناقدة عيب في القطعة مهما يكن صغيرا ومن هذا يستدل على شيء من الصعوبة التي يعانيها تاجر الجملة بالسجاد الشرقي ومقدار ما يجب ان يكون متدرعا به من الخبرة ومتوفرا له من الحذق والمهارة

واذا تاملنا في هذه الشروط واعتبرنا في الوقت نفسه ان محل نعمه تادرس من المحال التجارية المشهورة في امريكا باستجلاب وتجارة السجاد تولانا العجب كيف ان هذا التاجر السوري امكنه ادراك هذه المنزلة على الرغم من شدة المزاحمة وتوفر الصعوبات التي تهن عندها القوى المحدودة وتخور العزائم الضعيفة . ولكن التجار السوريين الناجحين في المهاجر لم يجبلوا من طينة الضعف ولا هم ممن يحجمون عن تطلب عظام الامور مهما يكن بلوغها صعبا. واننا نجد الشاهد على مقدرتهم وصلابة عودهم في ما نرى من نجاحهم الباذر في اي المشاريع التي اقدموا عليها

تدخل الان محل نعمه تادرس في احدى البنايات الكبرى في الافنيو الخامس فتجده طابقا فسيحا مشحونا بالطنافس الشرقية النفيسة مرتبة حسب احجامها واجناسها فتدرك في الحال عظم الراسمال المرصود عليها وان لم تكن عارفا بقيمة السجاد الحقيقية. ولكنك تتعجب عندما تعرف ان من الطنافس ما تبلغ قيمة الواحدة منها خمسة وعشرة الاف دولار واكثر وهذه من النفائس النادرة اما الطنافس الاعتيادية فتختلف اثمانها بحسب اختلاف حجمها وجنسها

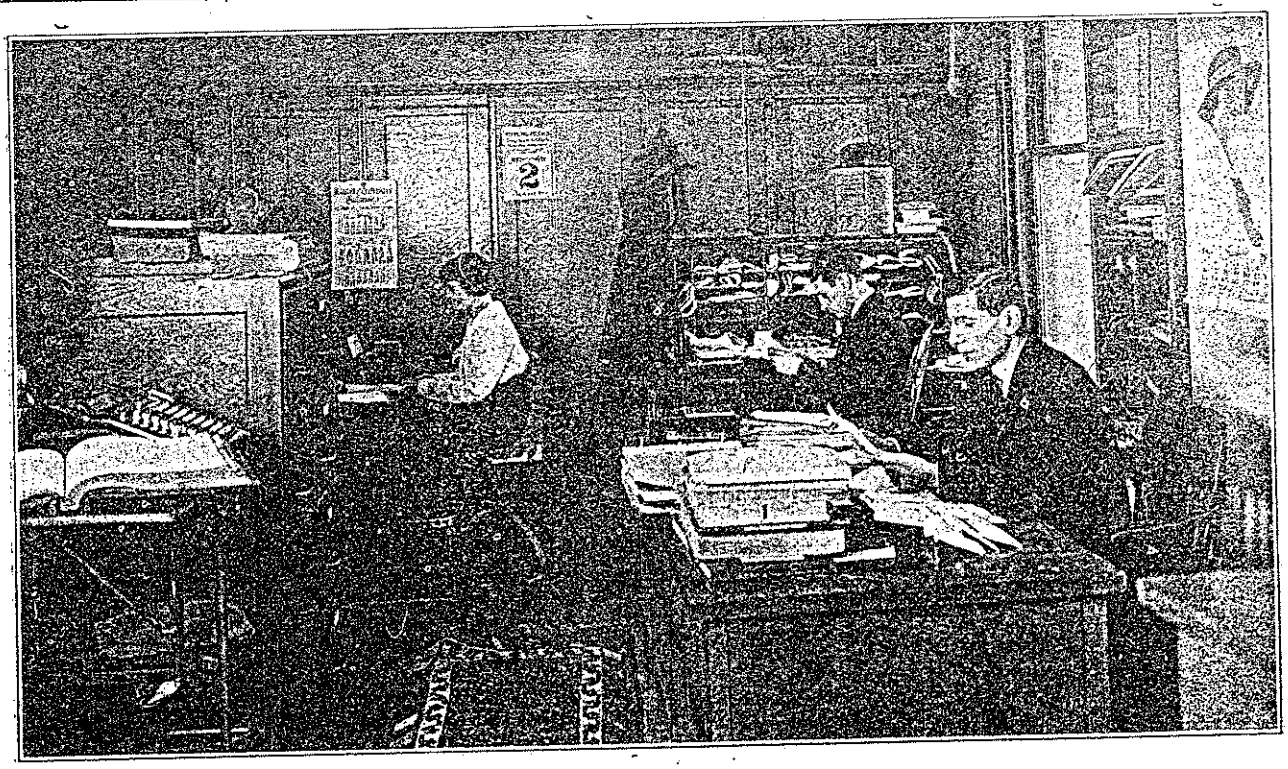

جانب من مكاتب محل نعمه تادرس وشركائه لادارة تجارة السجاد وفرع الاصدار والاستيراد

ويتراوح ثمن الواحدة من هذه الاصناف الاخيرة بين المائة والالف دولار. فاذا جعلت ثمن السجادة المتوسط خمسمائة دولار وضربت القيمة بعدد القطع الموجودة في المحل امكنك تصور ما تستلزمه هذه التجارة من القدرة المالية. ناهيك عما يكون واردا على الطريق او واقفا في مستودعات الجمرك او لدى الغسال او مسلما للزبناء على الامانة

ثم ان تجارة محل نعمه تادرس وشركاه غير قاصرة على هذا الصنف بل هي تتناول فرعا التصدير والاستيراد تبلغ دائرة اشغاله السنوية مئات الوف الدولارات وله المعتمدون في معظم المدن المصرية والسورية الكبرى مثل القاهرة والاسكندرية والبصرة وبغداد وبيروت وطرابلس ويافا والاسكندرونه ذلك فضلا عن مشاريع اخرى متعددة يستثمر فيها صاحب المحل مبالغ كبيرة

واذا استقريت تاريخ نشاة ونمو هذا المحل وجدت فيه من بواعث العجب ودواعي الاعجاب ما يفوق على ما تشاهد من الاهمية الظاهرة. فقد كانت القوى والعوامل التي ادت الى نجاحه من اد ل البراهين على طبيعة الهمة التي بذلها التجار المهاجرون في تاسيس وتنشئة اشغالهم. بل ان في تاريخ نعمه تادرس التجاري درسا يفيد كل راغب في الوقوف على اسرار النجاح الاطلاع عليه. لان العناية غير المتجزئة التي وجهها هذا التاجر المواطن الى اشغاله والطرائق المستحسنة التي اتبعها لمما يجدر التمثل به والجري عليه

ففي نحو سنة ١٨٩٠ هاجر نعمه تادرس من مسقط راسه طرابلس قاصدا اميركا لجمع ثروة. وكان في وطنه تاجرا صغيرا بالاخشاب الا انه اصيب بحمى المهاجرة واستهوته الروايات التي ملاءت فضاء سوريا اذ ذاك عن سهولة تحصيل المال في العالم الجديد. فمر في طريقه على قبرص حيث كان له عميل اشترى منه كمية من الخمر توهما بانها تروج في بلاد المهجر. ولكن هذه الصفقة كانت خاسرة وبسببها فقد تادرس قسما كبيرا من راس ماله. وعقيب وصوله الى نيويورك اسس محلا لتجارة البضائع القدسية وسواها مما كان يحمله الدوارون بشركة اخيه المرحوم طانيوس. ولكنهم خسروا ما كانوا قد ربحوه بسبب ضياع ديون كثيرة على المحل فقال نعمه اذ ذاك في نفسه ان الغرض من قدومه الى امريكا هو اغتنام الفرص الموفورة في البلاد فيجب ان ينشد هذه الفرص بين اهل البلاد نفوسهم لا بين ابناء وطنه

Arab American National Museum

حبيب الخوري وكيل خاله نعمه تادرس في ادارة اشغاله اثناء تفيه

السوريين . وبناء على هذا العزم استلم كمية من البضائع الاسلامبولية وشيئا من المجوهرات من تقليد العاديات واخذ يجوب البلاد ويعني على الاخص بزيارة المعارض فيستاجر فيها فسحة لعرض بضائعه ويغتنم الفرصة السانحة لدرس الاصناف الرائجة فكان انتباهه هذا مقرونا الى صدق همته وفرط اجتهاده سببا لنجاحه لان دائرة معلوماته توسعت كثيرا من درس معروضات المعارض واكتسب على الاخص خبرة وافرة بصنف السجاد الشرقي فراقته التجارة به حتى اذا كان ختام معرض سان فرنسيسكو اشترى كمية من السجاد وفتح محلا لبيعه في المصيف المعروف بوطسبرنغز من ولاية اركنسس ومن هناك انتقل الى بفلو ونياغرا فولز في ولاية نيويورك حتى اذا استوثق من خبرة وافية هبط نيويورك لفتح محل لبيع السجاد الشرقي بالجملة . ولكن راسماله المادي لم يكن قد اصبح حتى في ذلك الوقت وافرا بل انه لم يكن يتجاوز الالفين وسبعمائة دولار غير ان الاجتهاد الخارق والمقدرة الادارية عوضاه عن هذا النقص فما كانت بضع سنين حتى انتقل من المحل الصغير الذي ابتدا فيه التجارة في ٣٩ برودواي الى قلب حي تجارة السجاد في يونيون سكوايز ثم الى مركزه الحالي الفخم في الفنيو الخامس حيث تبلغ تجارته من الاهمية ما سبقت الاشارة الى بعضه من حيث امتداد العلائق الى مصادر الصنف الاولية في بلاد العجم فضلا عن فرع الاصدار والاستيراد

فاذا تاملنا في هذا النجاح الذي تم في سنين معدودة وراعينا ايضا صعوبة التجارة في هذا الصنف وكيف ان نعمه تادرس لم تهله الصعوبة بل اقتحمها وتغلب عليها على الصورة التي نراها امكننا ان نشير بافتخار الى نعمه تادرس كعنوان الخصائص والصفات الادبية التي صيرت نجاح السوريين المهاجرين على ما هو عليه من الجسامة والاهمية هذا اذا قسنا النجاح بمقياس المنزلة التجارية والثروة المادية . اما اذا جئنا نراعي المنزلة الادبية فليس من ينكر على هذا التاجر الناجح كونه من الافراد المعدودين بين المهاجرين الذين بذلوا عن سخاء في تعزيز الاداب ومناصرة الادباء وتاييد المشاريع الخيرية والوطنية حتى اصبح مقصدا للطلاب ولا يرد سائلا وقد لا يكون تاجر غيره بين المهاجرين اديت اليه الموءلفات وخصته الجرائد بالشكر والثناء مثله .

فلا عجب والحالة هذه ان تكون اللجنة الطرابلسية لاغاثة منكوبي الحرب العمومية التي كان رئيسها شاءت

اكرامه باقامة مادبة وداعية له قبيل سفره الى الوطن اشترك فيها جميع ارباب الصحافة العربية ونحو مائتين من نخبة الجالية السورية لانهم انما اجتمعوا ليكرموا بشخصه احد افراد المهاجرين الذي امتاز بنجاحه واشتهر بميزاته فحق بفضل ذلك ان يعطى مقامه في التاريخ كاحد اصحاب المراكز الاولى بالاهمية في تشييد بناء التجارة السورية في المهاجر الامريكية

حاشية — اثناء وجود نعمه تادرس في الوطن قد القيت مقاليد ادارة محله في يد ابن شقيقته الاديب حبيب الخوري وهو شاب لا يتجاوز الخامسة والعشرين من العمر له ذكاء نادر وخبرة فائقة بتجارة السجاد كما انه معروف لدى سائر تجار هذا الصنف . ولا عجب فقد نشا تحت رعاية خاله ودرس هذا الصنف تحت ادارته ونعمه تادرس يعتمد عليه كل الاعتماد بادارة محله الكبير . وله معاونون ادباء ذوو جد ونشاط ومقدرة

* * *

محل نسيب وبولس وحنا طرابلسي

نهضة المهاجر السوري العجيبة بادية بصورة داعية الى الانذهال والاعجاب في تاريخ نشاة ونمو هذا المحل الذي بلغ من اهمية اشغاله انه اصبح اكبر محل من نوعه في العالم لاصطناع بعض اصناف المحوكات الرائجة ومعامله تشغل عشرات الوف الاقدام المربعة وهي على نمو مستمر

منذ عشر سنين باشر شابان في مقتبل العمر تجارة صغيرة في غرفة من البناية الواقعة تحت رقم ٣٩ برودواي لا تتجاوز مساحتها الثلثمائة قدم مربعة . وكانت كل عدتهما في هذه التجارة راس مال لا يتجاوز بضعة الوف الدولارات ودليل من الخبرة في اصناف البضائع العمومية التي يتعاطى التجارة بها السوريون . فهل كانا يحلمان او هل كان احدغيرهما يحلم بان المحل الذي وضعا اساسه في تلك الغرفة الصغيرة سيصبح من اكبر المحال الاختصاصية بانواع بضائعه في العالم وتصبح المساحة التي تشغلها معامله عشرات الوف الاقدام واثمان الماكنات والمعدات المجهزة بها هذه المعامل عشرات الوف الدولارات وكل ذلك في مدة لا تتجاوز العشر سنين

قد لا يكون الشابان حالما بمثل هذا التقدم السريع المدهش انما كان لهما الطموح الى التقدم معززا باجتهاد صادق في العمل واستعداد خارق للقيام بذلك العمل . فكانت السنة الاولى كدا وكدحا الى الدرجة القصوى ولكنهما وجدا ان اشغالهما على تقدم ودائرة معاملاتهما على اتساع فنقلا من تلك الغرفة الصغيرة في برودواي الى طابق صغير في احدى بنايات شارع كورتلند . وفي مدة ثلاث سنين قضياها في هذا المحل الاخير اندفعت اشغالهما في سبيل التقدم بسرعة مدهشة حتى ان محلهما اصبح المصدر الرئيسي لكثير من انواع البضائع التي صادفت اذ ذاك رواجا خارقا واهمها بعض انواع المستحدثات من محوكات ومطرزات كانا اما يصنعانها مباشرة او يحتكران صنعها في معاملها . وما زالا يتدرجان في التفنن والتوفيق يرافق كل خطوة من خطواتهما حتى اصبح المحل الذي اسساه على الاهمية التي اشرنا اليها

فاي المحال التجارية السورية هذا الذي كان تقدمه هكذا سريعا ودائرة اشغاله على هذه الاهمية

انه محل نسيب وبولس وحنا طرابلسي الواقع تحت رقم ٤٧٥ برودواي والذي لا تسال احدا عنه من تجار المستحدثات المحوكة الا يبدي لك تعجبا من اهمية اشغاله واندهاشا من سرعة تقدمه ويشهد بانه من الطبقة الاولى من نوعه في البلاد بل قد امتاز عليها جميعا بصنف اختص بصنعه هو المثمات التي يلبسها الرجال حول اعناقهم في ايام البرد فصار يلقب «بملك هذا الصنف» لانه اكبر محل يصنعه في العالم تبلغ حاصلاته منه نحو مائتين وخمسين دزينة في اليوم

فمثل هذا التقدم في حلبة الصناعة والتجارة لهو اعظم شهادة على مقدرة التاجر السوري المهاجر واهليته لمجاراة اي الاقوام في اي المرافق التي ينصرف اليها . واننا لنجد في حالة اشغال محل نسيب وبولس وحنا طرابلسي الحاضرة شاهدا حسيا على هذه المقدرة يخلق ان يسجل ذكرها كصفحة مجيدة في تاريخ التجارة السورية في المهاجر الامريكية

Arab American National Museum

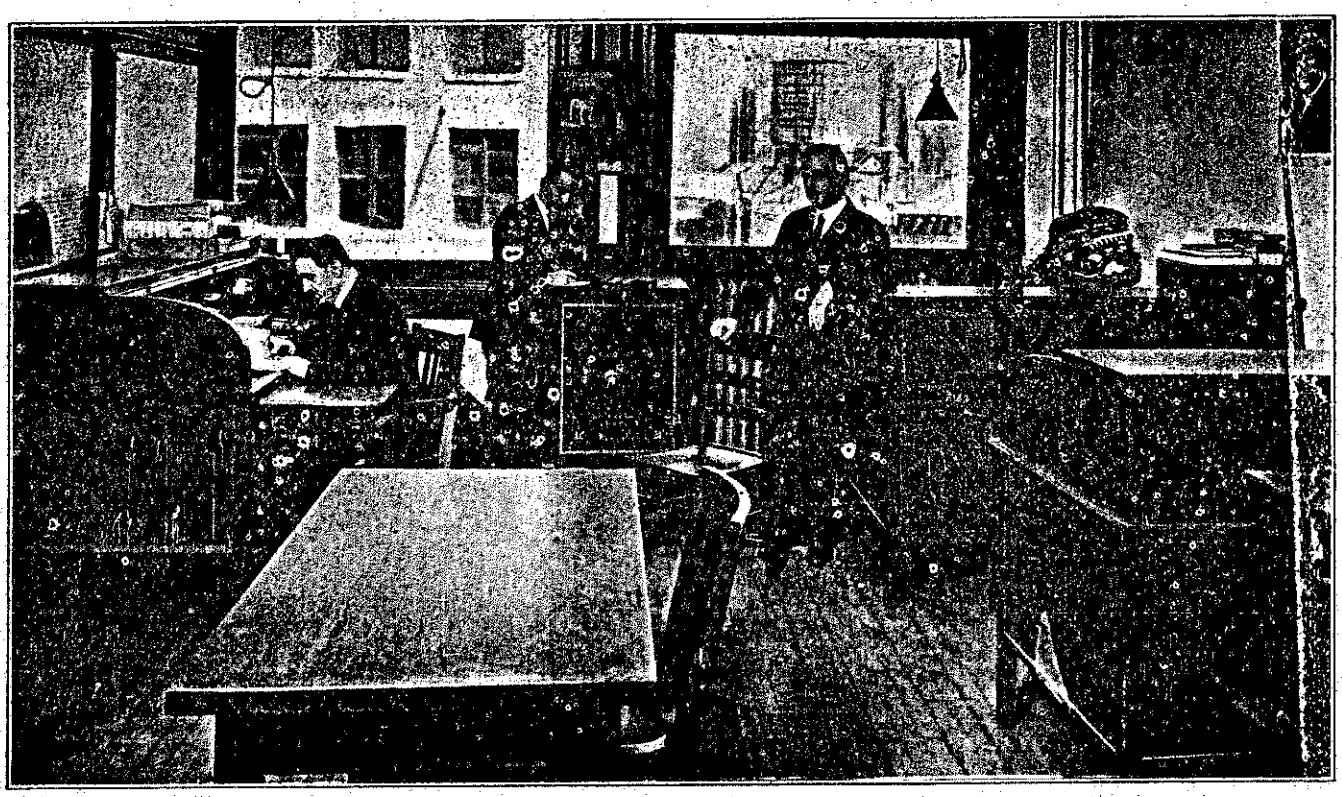

جانب من مكاتب محل نسيب وبولس وحنا طرابلسي والجالس الى المكتب هو بولس بينما الواقف الى جانب مكتبه اخوه حنا اما ابن عمهما نسيب فكان عند اخذ هذا الرسم في سوريا على عطلة

فبعد ان راى موسسا المحل نسيب وحنا طرابلسي وهما ابناء عم ومن بلدة واحدة في الوطن هي مشغرة البقاع ان اشغالهما تتدرج في النمو على معدل ليس في طاقتهما الانتفاع منه الى الدرجة الواجبة براس مالهما المحدود وان الفرصة السانحة جليلة الاهمية يجب الاستفادة منها دون تهامل استعانا بيولس طرابلسي شقيق احدهما حنا الذي كانت له تجارة ناجحة رابحة في مدينة اتلنتك ستي المصيف المشهور في ولاية نيوجرزي. وراى هذا بما كان له من الراي الصائب والنظر الثاقب عظم الفرصة السانحة فامدهما بقدر من المال استخدماه في زيادة توسيع الاشغال وكان علاوة على ذلك يقوم بحركات تجارية ساعدت كثيرا على نجاح اشغال المحل بفضل وجوده في مركز معتزل عن السوق العمومية ولا سيما ان بضائع المحل من المستحدثات ويستلزم عملها بعض التكتم في البداية حتى اذا مرت السنة على دخول بولس في الاشغال على قاعدة الشركة المضاربة وراى ان المستقبل يبسم عن نجاح باهر للمحل في الاعمال التي انصرف اليها صفى اشغاله في اتلنتك ستي واضاف كل راس ماله الى محل نيويرك الذي انضم اليه بصفة شريك اصيل واضيف اسمه الى الشركة وانصرف الى الادارة فيها بصورة عاملة وكانت هذه النجدة الواردة على المحل بما توفر للشريك الجديد من المقدرة العملية والادارية اهم من عدة وجوه من النجدة المادية التي جاء بها

وقد تم هذا التوسع في سنة ١٩١٦ ومنذ ذلك الوقت واشغال المحل مطردة التقدم بصورة مدهشة. فهو الان معروف باصنافه الخصوصية من ادنى البلاد الى اقصاها ويعد بين عملائه اكبر تجار الجملة الاميركيين في البلاد من محل مارشال فيلد في شيكاغو ونازلا . بل هو قد اصبح المصدر الاول لكثير من المستحدثات في اصناف المحوكات الحريرية ياخذ عنه الاخرون الازياء والرسمات ويرجع اليه فيها كاكبر الثقات. مع اننا نذكر انه لم ينقض على اصحاب المحل في هذه الاشغال اكثر من عشر سنين وكانوا قبل ذلك جاهلين هذه الاصناف تمام الجهل

والان اذ تتفقد معامل نسيب وبولس وحنا طرابلسي وتقابل بينها وبين الغرفة الصغيرة التي شهدت بداية اشغالهم في ٣٩ برودواي يتولاك العجب مما ترى. فالثلاثة اطباق التي قضى اتساع دائرة اشغالهم استئجارها في البناية الكبرى التي هم فيها مشحونة بالمعدات والمواد من جميع الانواع

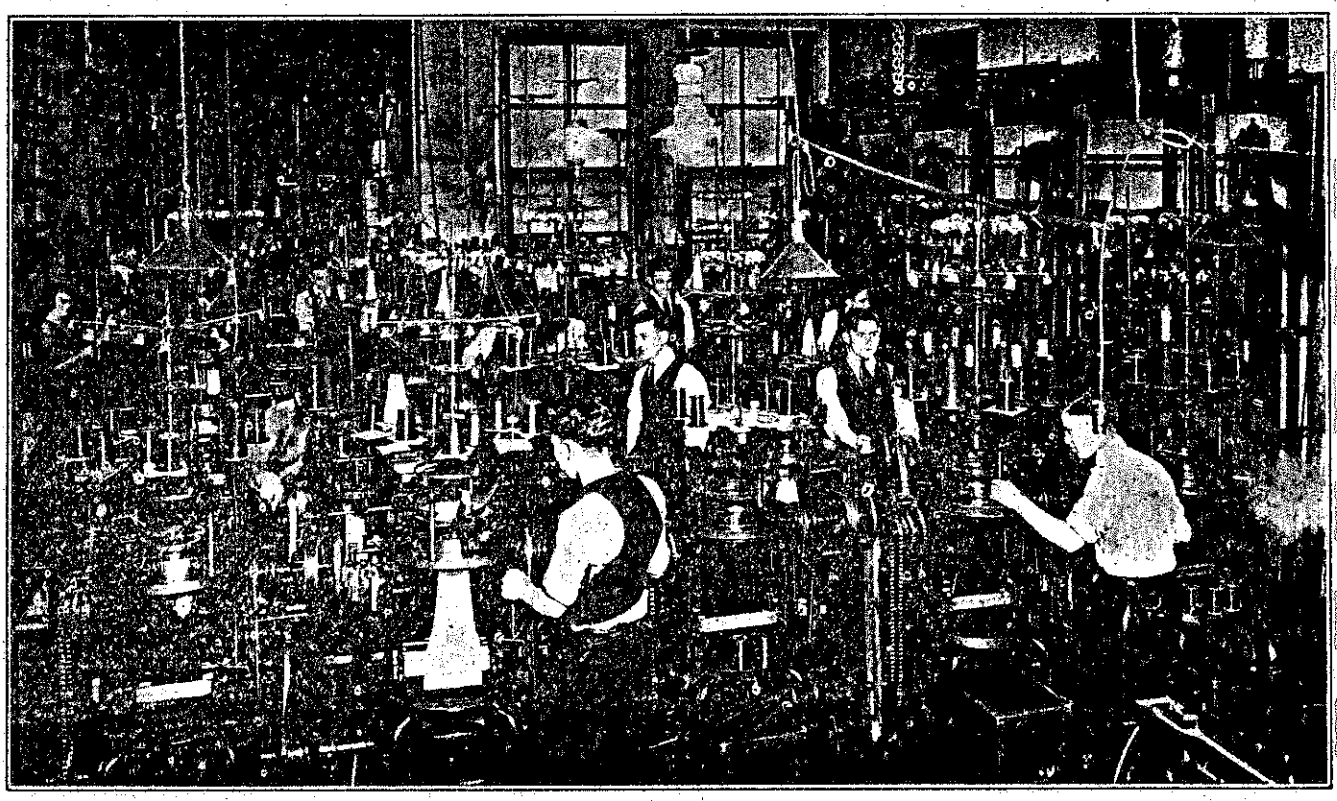

الماكنات بالعشرات في معمل نسيب وبولس وحنا طرابلسي والظاهرة في هذا الرسم هي ماكنات حياكة اللثمات المعروفة بالمفلر

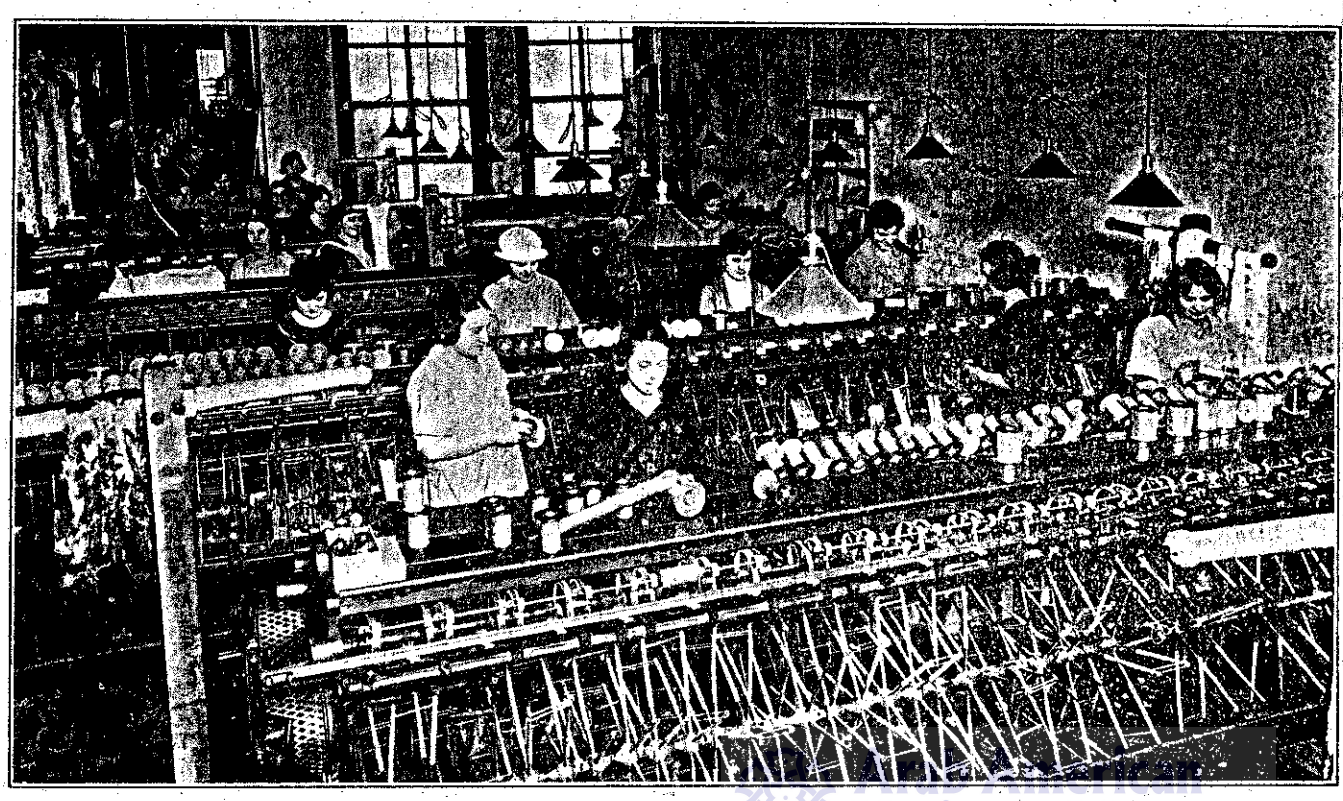

ماكنات غزل وفتل خيوط الحرير في معمل نسيب وبولس وحنا طرابلسي

National Museum

ادارة الكتاب في محل نسيب و بولس وحنا طرابلسي

ويكفي ان تتامل في عدد الماكنات وتنوعها ودقة شغلها واختلاف حركاتها. فهنا ترى ماكنات من المانيا هي احدث ما يعرف في هذه الصناعة وهناك ترى ماكنات من امريكا لا تجارى بالدقة والسرعة. هذه تصنع ربطات وتلك تحوك القماش. وهناك ماكنات للحل والغزل والفتل وماكنات للكي والطي. وماكنات لكل ما تقدر ان تتصور من الحركات في صنع هذه البضائع على احدث الطرائق الاقتصادية. واذ تشاهد ذلك كله تتعجب كيف ان السوري الذي لم تسبق له خبرة بمثل هذه الاشغال قدر ان يدرك اسرار هذه الصناعة الدقيقة ويبرز فيها على اربابها

والجميل في سياسة اصحاب هذا المحل انهم يعتقدون بالاختصاص لذلك تراهم منصرفين بكل قواهم الى نوع واحد من الصناعة هو صنع البضائع المحوكة الشبيهة بشغل الصنارة. وقد بالغوا في اتقان هذه الصناعة حتى لم يفتهم شيء من تفاصيلها او يعجزوا عن اي الاصناف الداخلة فيها

وفي المعمل الرئيسي لهذا المحل الاستعدادات المخصصة باصناف اللثمات «المفلر» وجملة المساحة التي يشغلونها خمسة عشر الف قدم مربعة . ولا يخيل الى الناظر ان الراسمال المرصود على المعدات الميكانيكية وحدها في المحل الرئيسي يقل عن مائة الف دولار. بينما ان للمحل فرعين اخرين الواحد في برادواي مختص بصنع ربطات الرقبة والاخر في شارع سبرنغ مختص بصنع القماش والجاكت النسائية المعروفة بالسويتر ولو ان هذه المصانع كلها البالغة مساحتها مجموعة نحو خمسة وعشرين الف قدم مربعة جمعت معا لشغلت بناية كبيرة . ولا نظن ان الحائل دون تشييد معمل خاص الا محاذرة ضياع الوقت في نقل المعدات

هذا قليل من كثير مما يمكن ان يروى في وصف هذا المشروع الصناعي الكبير الذي نجد ان همة ثلاثة شبان سوريين ناهضين من المهاجرين اوجدته من العدم وصيرته في مدة قصيرة على هذه الاهمية الخطيرة وذلك على الرغم من وجوده في مثل المحيط الصناعي الامريكي الراقي. ولكن من يعرف شخصيات اصحاب هذا المحل وكيف انهم مثال التهذيب وحسن الاخلاق لا يستكبر مثل هذا النجاح عليهم ويسلم بلياقة الاستشهاد بهم كخير الامثلة على اسباب نجاح وارتقاء الاشغال السورية في المهاجر الامريكية

قسم تكميل البضاعة (فنشن) في معمل طرابلسي

* * *

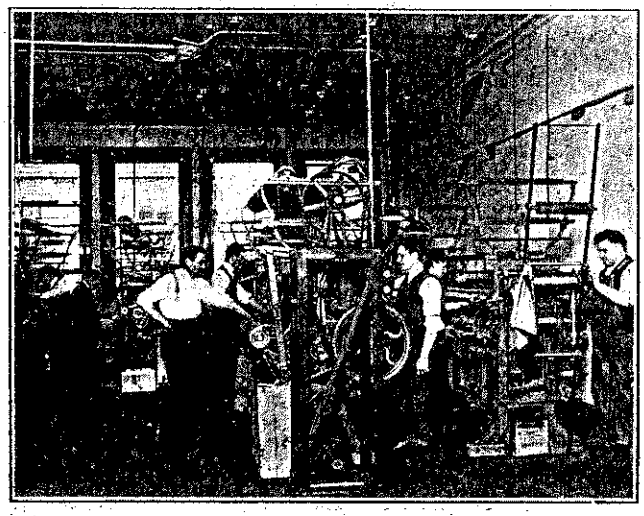

بعض ماكنات الحياكة في معمل طرابلسي

شركة الاهرام لورق اللعب

لصاحبيها عبدالله وسمعان برصا

هذه الشركة هي الوحيدة من نوعها في الولايات المتحدة الخارجة عن دائرة الاحتكار وقد انشاها تاجران سوريان اخوان برهنا على همة فائقة واقدام خارق وثقة تامة بالنفس حققت لهما النجاح في هذا المشروع كما في سائر مشاريعهما الصناعية والتجارية الكبيرة

اذا احتجنا الى دليل على عظم همة السوري المهاجر وصدق اقدامه على الاشغال وفرط شجاعته على اقتحام عظام الامور فاننا نجد الدليل البين على ذلك في المشروع الخطير الذي باشره عبدالله برصا واخوه سمعان صاحبا معمل الكيمونا المشهور باسمهما في نيويرك عندما انشا امعملهما الكبير لصنع ورق اللعب المسجل تحت ماركة الاهرام

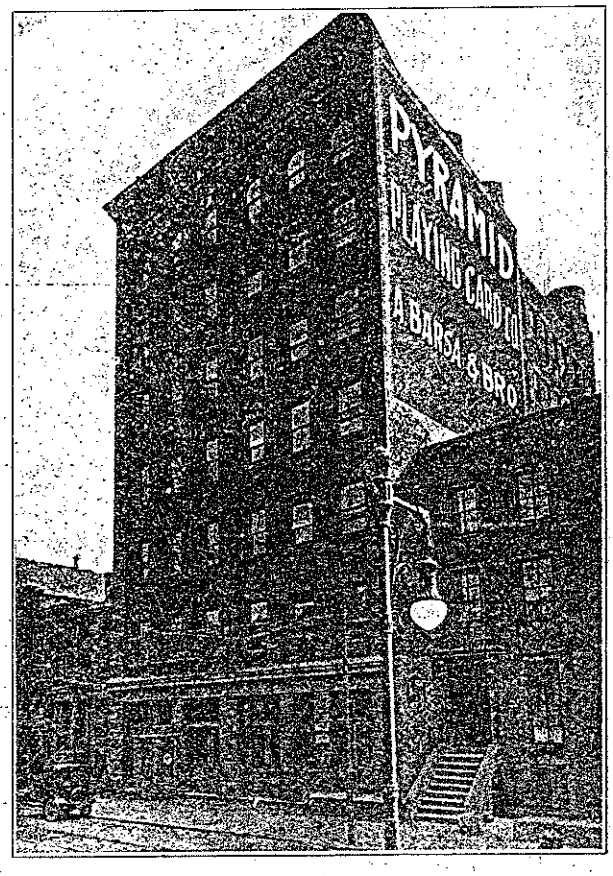

بناية مطبعة شركة الاهرام السورية لورق اللعب

واننا ندرك شيئا من طبيعة هذه الهمة الشماء من كون هذين التاجرين السوريين هما الوحيدان الان في كل الولايات المتحدة اللذان انشا معملا لطبع ورق اللعب خارجا عن دائرة احتكار هذا الصنف . وقد لا يكون رجل في العالم له اقل اطلاع على احوال التجارة والمام في الاشغال ويجهل ماهية شركات الاحتكار في الولايات المتحدة . فهي التي شبهوها بالاخطبوط ذات الاذناب العديدة الطويلة النابتة على جسمها في كل جهة تلفها على عنق خصمها محاولة خنقه . وشركات الاحتكار هذه تنشا عادة من اجتماع عدد من المتمولين الذين يرصدون المبالغ الطائلة على احتكار كل مشروع تلوح لهم فيه ارباح واقية واول مايعمدون اليه استئصال المزاحمة اما بخنق مزاحميهم او بمشترى مصالحهم وانك تكاد لا تفتكر بصناعة ام تجارة رابحة الا تجد لها شركة احتكار يدعونها «تروست» وما خرج عنها يعرف بالمصالح المستقلة

ولما كان ورق اللعب من الاصناف الكثيرة الرواج الجزيلة الارباح فقد نشات شركة لاحتكاره صادفت من النجاح في استئصال المزاحمة ما تكاد لم توفق الى مثله شركة احتكار اخرى . لان الشركة لم تحجم امام نفقة في مقاومة كل من يزاحمها فخلا لها الجو واصبحت تستبد بالاسعار وتتمادى في تقييد التجار ما شاءت مطامعها الاشعبية . وهي لا تزال صاحبة البيطرة في هذه التجارة لا يجرؤ على مزاحمتها فيها من بين جميع تجار البلاد من امريكيين وسواهم غير تاجر واحد — وهو سوري

قد يستكبر القارىء مثل هذا الاقدام ولا سيما بعد ان يدرك مقدار نفوذ شركات الاحتكار في هذه البلاد وربما يخيل اليه ان من يقدم على هذا العمل يطوح بنفسه في مهاوي التهلكة الاكيدة . ولكن القارىء اذا كان يعرف شيئا عن اخلاق الاخوين عبدالله وسمعان برصا ومقدار مالهما

Arab American National Museum

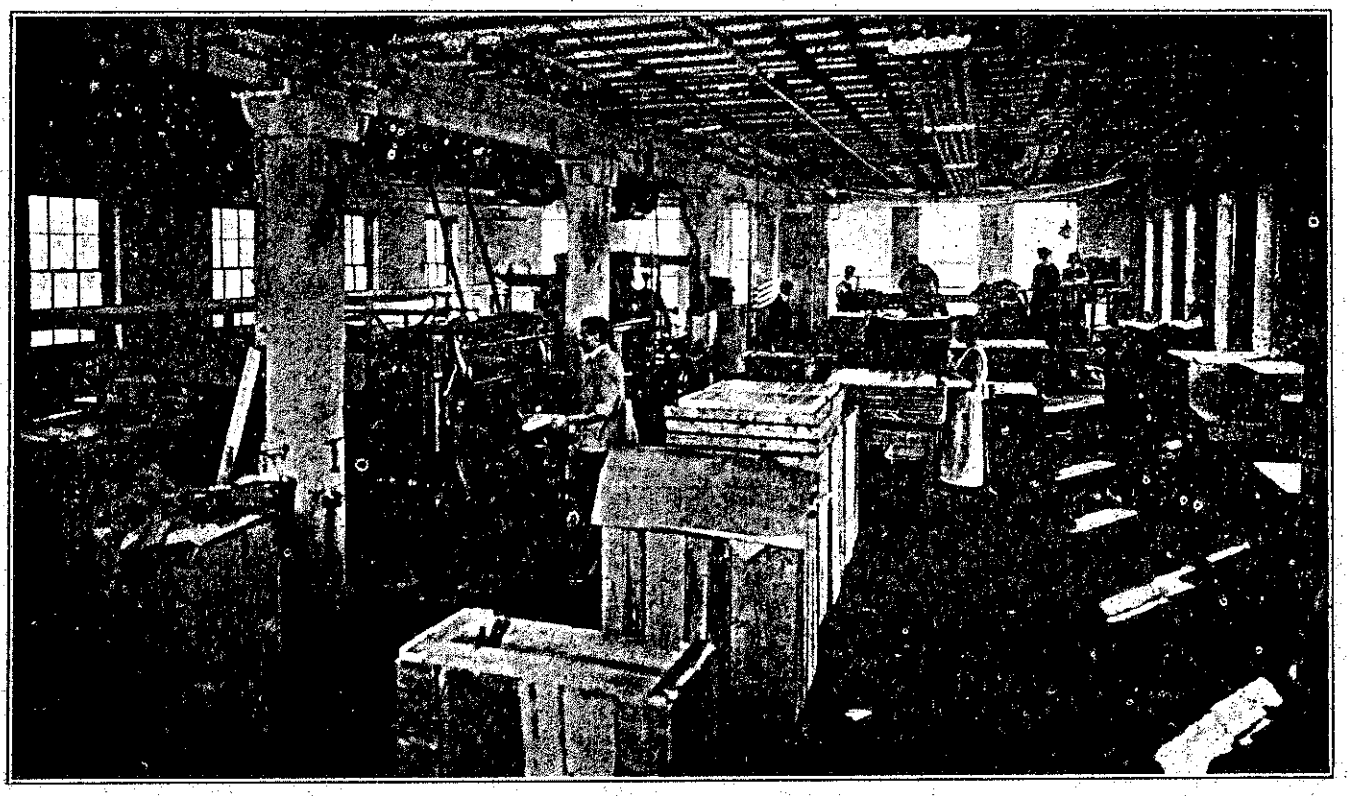

منظر جانب من مطبعة شركة الاهرام لورق اللعب تظهر فيه احدى المطابع وبعض لمقاطع وكميات من الورق الخارج من المطبعة

من الشجاعة الادبية والمقدرة المادية وما اتصفا به من الهمة العالية التي تذلل اشد الصعاب لا يعود يستكبر عليهما هذا الاقدام . والبرهان القاطع على مقدرتهما انهما ما زالا منذ ثلاث سنين متابعين العمل لا يعبآن بالتهديد ويعرضان عن كل ترضية ورجاء بل يجددان الهمة في دفع المشروع الى الامام مع مرور الايام ولا يريان المستقبل الا منبتا لهما اذكى الورود وان تكن نابتة على ساق لا يخلو من اشواك

حقا ان مثل هذه الهمة البادية من التاجر السوري المهاجر لجديرة بان يخلد ذكرها بالاعتبار والفخر ابد الدهر

اما كيف خطرت لصاحبي المشروع فكرة مباشرته فمن اغرب ما يروى من الاحاديث التجارية في اية بلاد وبين اي الاقوام . والى القراء الخبر

كان في سنة ١٩١٨ انه وردت على عبدالله برصا واخيه في نيويورك توصية كبيرة من الخارج على ورق اللعب . فارسلا وكيلهما لمشترى المطلوب فعاد الرسول متعثرا باذيال الخيبة ليس لان منزلة المحل المالية غير معروفة — لان المحل من اعلى طبقة بين البيوت التجارية في نيويورك — وليس لان الصنف غير موجود وهو موجود باية كمية شاءها الطالب — بل لان الصنف محتكر وشركة الاحتكار قد رتبت ووزعت طريقة البيع وانشات الوكلاء في الداخلية والخارج وخولتهم الامتياز بان لا يكون البيع في منطقتهم الا عن يدهم فتمنعت والحالة هذه كل التمنع عن بيع عبدالله برصا واخيه الكمية المراد شحنها الى الخارج وانباتهما بان البيع في البلاد المقصود شحن الطلب اليها لا يمكن ان يتم الا عن يد وكيلها فيها

والاخوان برصا من اصحاب المداخلات القوية بين طبقة كبار المتمولين في نيويورك بل هما معدودان من هذه الطبقة ولهما اشتراك في كثير من النوادي الاجتماعية والتجارية التي يرتادها المتمولون وكبار رجال الاشغال . ففي ذات يوم اجتمع الاخوان برصا بمدير شركة احتكار ورق اللعب في احد هذه النوادي فابديا له استغرابا من خطة الشركة واستفسراه القصد من ذلك . فاعتذر المدير بان هذه الخطة تتمشى عليها الشركة طبقا لقرار وضعه مجلس المدراء ولا سبيل الى الحياد عنها . ثم جرت بين كبير الاخوين السوريين وبين المدير الامريكي محاورة بهذا المعنى

قال عبدالله — اذن لا يقدر احد في امريكا ان يشتري ورق اللعب المصنوع في امريكا بقصد شحنه الى الخارج

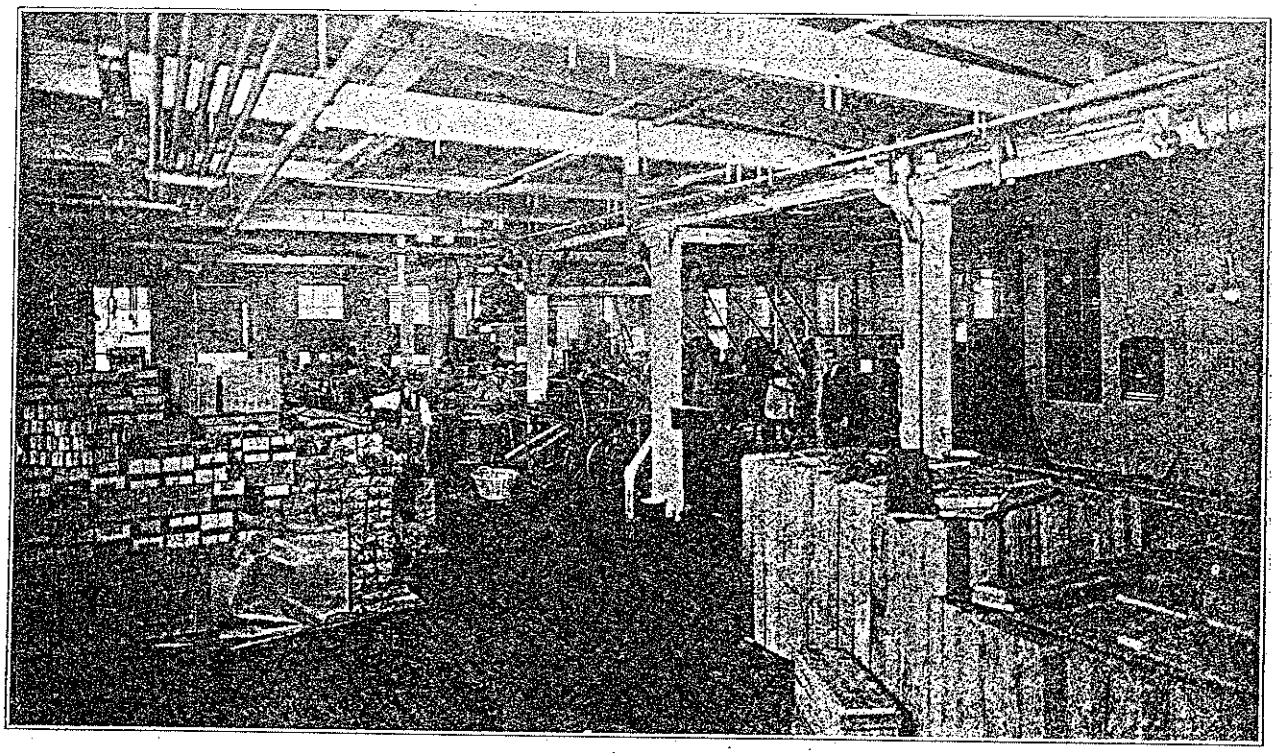

منظر جانب اخر من مطبعة شركة الاهرام لورق اللعب تظهر فيه احدى الالات التي تصنع علب الكرتون التي تعبا فيها رزم ورق اللعب

فاجاب المدير — ذلك هو الواقع ويجب عليه وان يكن هنا ان يشتريه من وكيل الشركة في البلاد الاجنبية

عبدالله — ولكني لا اقدر ان ارفض الطلب الوارد علي وانا مستعد ان ادفع لكم ثمنه نقدا وانتم لا تقدرون في ظروف الحرب الحاضرة ان توصلوا البضاعة الى البلاد الاجنبية المراد الشحن اليها بينما نحن نقدر على ذلك

المدير — لو اردنا بيعك البضاعة لاكتفينا بوعدك لان لنا الثقة الكافية بمقدرتك المالية ولكن بيعنا البضاعة هنا من فوق راس وكيلنا في الخارج اعتداء على حقوقه

اما عجزنا عن ايصال البضاعة الى البلاد الاجنبية فلا يؤثر على قاعدتنا التجارية

عبدالله — اتقصد ان تقول لي ان الحصول على ورق اللعب في امريكا مستحيل وانكم لا تراعون الظروف الخصوصية التي بينتها

المدير — تلك هي الحقيقة

عبدالله — ساريكم ان ذلك غير مستحيل ولو اضطررت الى فتح مطبعة خاصة لصنع الورق

المدير — قد جرب غيرك هذا الامر قبلك وعرف الى اين وصل

عبدالله — اما انا فاعرف الى اين اصل وستفتح انت عينك عما قليل على ما لم تكن تتصور وتعرف ان هذا الرغيف من غير ذاك العجين

ومنذ اليوم التالي جد الاخوان عبدالله وسمعان برحا في الاهتمام للامر فكتبا الى مكتب الاحصاءات في وشنطون يسالان عن الاحصاءات المتعلقة بصنع وبيع ورق اللعب فورد عليهما الجواب بان الذي صنع منه في سنة ١٩١٧ مائة وعشرة ملايين رزمة او طاقم وان الذي شحن منه الى الخارج في تلك السنة ٤٨ مليونا . وللحال وطدا العزم على مباشرة العمل فاستدعى عبدالله اليه شابا سوريا صاحب مطبعة تجارية صغيرة كان يطبع له اوراق المحل واسمه جبران عطيه وهو من اصحاب الذكاء والذوق له نظر في الرسم ومهارة في حرفة الطباعة . فوكل اليه ان يبحث له عن مقدار ما تكلف القوالب اللازمة لطبع طاقم من ورق اللعب فجد الشاب في البحث والتنقيب وكان جوابه ان النفقة الاولية تبلغ الف دولار ففوضه عبدالله بانفاق خمسة لانه ادرك ان مثل هذه المشاريع تستوجب نفقات لا بد منها في سبيل الامتحان . ثم كانت الخطوة الثانية مشترى مطبعة كبيرة لطبع الورق جعلت في بناية في بروكلن . ولكن

Arab American National Museum

منظر اخر من مطبعة شركة الاهرام لورق اللعب تظهر فيه طواقم الورق وقد عربت ورتبت وفحصت واصبحت معدة للتعبئة في علب الكرتون ـ والشاب الظاهر في صدر الرسم هو مدير المطبعة جبران عطيه يفحص الورق قبل تعبئته

المعدات الجديدة التي وجب مشتراها فيما بعد اقتضت وجود محل كبير فاشترى الاخوان بناية مؤلفة من ثمانيـة طوابق في بروكلن خصصاها لهذا المشروع . وما فتئا منذ ذلك الوقت يشتريان المطابع والمقاطع حتى اصبح المـال المستثمـر فـي هـذا المشروع مـائـة الـف دولار وقد اوصيا حديثا على مطبعة كبرى صالحة لطبع الورق باربعة الوان دفعة واحدة وهذه المطبعة وحدها يبلغ ثمنها اربعين الف دولار.

والنتيجة ـ هي ان هذين التاجرين السوريين الاخوين لم ترعهما سطوة وصولة شركة الاحتكار وما زالا يقاومانها منذ ثلاث سنين واشغالهما على تقدم مطرد حتى انهما الان ينتجان في مطبعتهما عشرة الاف طاقم كل يوم وسيتمكنان بعد تركيز هذه المطبعة الجديدة من انتاج ثلاثين الف طاقم كل يوم. وبضاعتهما سواء من حيث اتقان الطبع اوجودة الورق افضل من كثير من الانواع التي تنتجها شركة الاحتكار وتباع باثمان ارخص.

وماذا ترى حدث خلال هذه المدة ؟

حدث ان الشركة داخلها هاجس من تصميم عبدالله برصا واخيه فجاء ذات يوم محل برصا احد عمالها المستترين وصار ينصح لعبدالله بطرح المشروع مخاذرة الخسارة وخشية مقاومة شركة الاحتكار الى غير ذلك من ضروب التهديد الخفي فكان الجواب ان حضرته يتداخل بما لا يعنيه فاذا تمادى سمع ما لا يرضيه. وما زاد ذلك الاخوين السوريين الا تصميما.

وتراهما الآن ملاحقين هذا المشروع الفريد من نوعه ليس فقط بين السوريين بل في كل امريكا بمنتهى الهمة والجد والثبات ومن مبادئهما التجارية ان انتظار الاثراء العاجل افة الاشغال ومن شاء وضع اساس لعمل ثابت وجب عليه ان يظهر جلدا وصبرا في التاسيس. وهما على هذه القاعدة يؤسسان مشاريعهما الصناعية والتجارية المتنوعة التي اوردنا هذا المشروع كانموذج عنها

* * *

مطعم ميخائيل قيدوح

فتى سوري حقق لنفسه النجاح حيث لم يجن احد مقتدري الامريكيين الذي سبقه في نفس العمل غير الفشل واصبح فيما بعد صاحب احد المطاعم الكبرى في المدينة العظمى وله بناية فخمة في اهم نقطة للاشغال مع انه ابتدا بما لا يكاد يذكر من راس المال

بناية وايتهال هي من الابنية الكبرى المشهورة في نيويورك واقعة على حديقة الباتري بين شارعي وشنطون ووست وتطل على الخليج الجميل ومنها ترى ادارة المهاجرة وتمثال الحرية كانهما على مرمى حجر منك . وهي حديثة البنيان بالنسبة الى سواها من نواطح السحاب ولذلك هي من اجملها واوفاها اتقانا . وقد كان في مكانها قبل ذلك ابنية سكن واشغال اقام فيها جماعة من السوريين لانها واقعة في النقطة المعروفة بالحي السوري

وكان عند اول قيام هذه البناية الكبرى ان احد رجال السياسة المحليين وهو من اصحاب النفوذ البعيد وله حلقة واسعة من الاصحاب انشا فيها مطعما ومحلا لبيع التبغ ومعدات التدخين . وكان اتكاله في تحقيق النجاح على ما له من النفوذ من جهة وما في البناية من الوف الناس من رجال الاشغال والكتاب من جهة اخرى . وقد اتقن رجل السياسة المكان اتم اتقان واستخدم كل ما يعرف من الوسائل لجلب الزبائن انما كان هناك على ما يظهر شيء ناقصا في مكان لم يهتد صاحب المطعم اليه . وبعد ان تابع المشروع عدة سنين خسر في خلالها قدرا كبيرا من المال اقر بالفشل وغسل يديه من الامر وباع المحل

قد يتساءل القارىء — وما شان هذا الرجل وقصة فشله في تاريخ التجارة السورية في المهاجر الامريكية وعلاقته بالموضوع ؟

ولكن القارىء اذا تبعنا قليلا ادرك العلاقة وعرف ان السلم الذي نزل عليه الامريكي يكتنفه الفشل صعد عليه رجل سوري مكللا بالفوز . لان الاول كان رجل سياسة والثاني رجل عمل . ذاك متكلا على معارفه ونفوذه وهذا معتمدا على جده ومقدرته ونشاطه

ميخائيل ديب قيدوح

وقد كان الرجل السوري الذي اشترى المطعم ومحل السكاير والسيكارات في بناية وايتهول المواطن مخائيل قيدوح وهو اذ ذاك ليس له غير راس مال قليل انما له من الخبرة والاجتهاد قدر غير محدود . فاخذ يصل الليل باطراف النهار ساهرا على مصلحته وبدلا من ان يصرف الوقت بالسياسة اخذ يداب في اتقان الخدمة والسهر على مرضاة الزبائن وحيثما وجد سببا للشكوى ازاله وكلما اكتشف نقصا اسرع الى اكماله فكان له من العدد القليل من زوار محله في بداية الامر اعلانات حية تبشر بحسن الخدمة والمعاملة واتقان الطعام في مطعم قيدوح ومن بعد ذلك اصبحت طريقه مفروشة بالورود

ولما ان اكتشف الشاب السوري في نفسه هذه المقدرة وانس وفرة الارباح دفعت به همته الى طلب المزيد . فتخلى عن المحل الصغير الذي له في بناية وايتهول وانشا المطعم الفخم الذي له في البناية الواقعة تحت رقم ٣ شارع ركتر وافرغ فيه ما كان قد اكتسب في المحل الاول من اختبار فانفق عليه الاربعين الف دولار باعداده

Arab American National Museum

منظر داخلي لجانب من مطعم قيدوح اخذ بمناسبة المادبة التي اقامتهافيه الغرفة التجارية السورية في نيويرك سنة ١٩١٥

يافخر المعدات وبتجهيزه بمطبخ على اخر طرز في استعدادات النظافة على القواعد الصحية فجاء من طبقة المطاعم ذات الطبقة الاولى في المدينة . وان كل من زار نيويرك او غيرها من المدن الاوربية والامريكية الكبرى يدرك شيئا من اتقان هذا النوع من المطاعم واهمية اشغالها

وليس ان مطعم قيدوح على هذه المنزلة بين مطاعم المدينة بل هو احد مطعمين فقط معدودين من الطبقة الاولى في القسم الاسفل من المدينة المجموعة فيه اهم دوائر الاشغال وترى الان انه مقصود ليس فقط من المحامين والتجار والصيارفة وموظفي دوائر الحكومة بل ان عددا من المصارف والجمعيات والهيئات العمومية تؤثر ان تقيم فيه مادبها الشهرية او السنوية

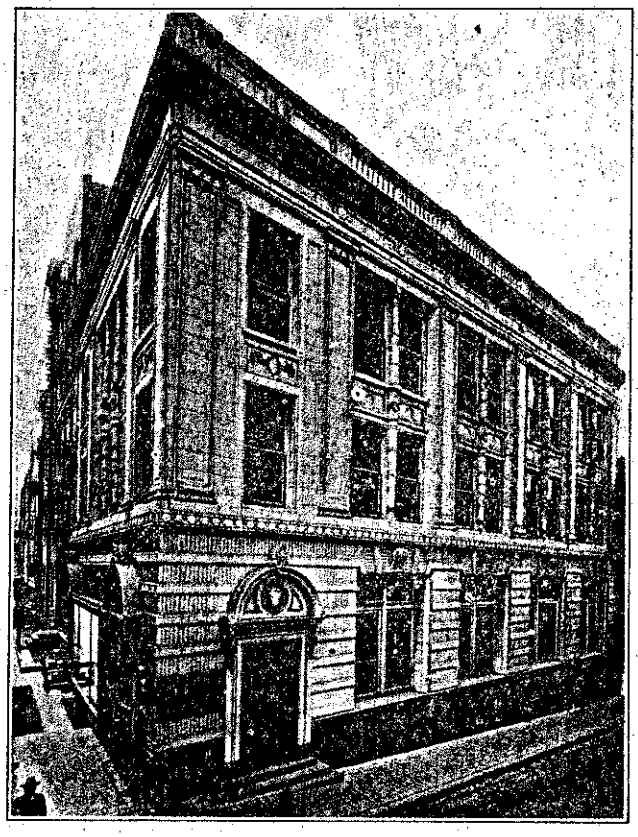

بناية قيدوح
التي يشغل مطعم قيدوح الطبقة الارضية منها

وموقع المطعم الحالي من اهم المراكز في هذه الناحية من المدينة . فهو على مسافة مربع واحد من برادواي وشارع وال وقبالته من جهة بناية شركة اكسبرس الولايات المتحدة ومن جهة اخرى بناية شركة احتكار الفولاذ ولكل من السكة الحديدية المرتفعة ولخط الصبواي او السكة الحديدية الجارية تحت الارض محطة عند بابه . ومن هنا يدرك شيء من اهمية المركز فضلا عن كون البناية ذات ثلاثة اطباق ومن اجمل ما يشاهد هندسة وبنيانا . وكشاهد

اخر على مقدار نجاح صاحب المطعم فهو قد توفق الى مشتراها

ولو جئنا ننظر الى هذا النجاح في حالته الحاضرة لما ظهرت لنا اهميته بقدر ما لو رجعنا الى الماضي غير البعيد واستعرضنا مقدار الجهاد والعناء اللذين قاساهما هذا الشاب السوري في وضعه اساس نجاحه . ومن رواية شيء عن جهاده هذا يمكن الحكم على همة السوري المهاجر واستطلاع شيء من الصفات التي اهلته لادراك النجاح الذي فاز به

فقد هاجر مخائيل فيدوح مسقط راسه طرابلس الشام وهو فتى لا يتجاوز الحادية عشرة وذلك منذ نحو ثلاثين سنة . وكانت بداية حياته العملية بصفة مستخدم في محل خاله المرحوم طانيوس تادرس احد قدماء التجار في نيويرك ومن بعد ذلك تولى مسك دفاتر المحل . ثم انه باشر التجارة لنفسه في انواع الدراي كودس فلم يصب نجاحا لان هذا العمل لم يكن مما يميل اليه . فانصرف الى التمرن على فن المحاماة ودخل بصفة كاتب في مكتب المحامي المشهور والي الذي صار من اكبر اصدقاء السوريين . وبفضل المعارف والاصدقاء الذين اكتسبهم مدة تمرنه على فن المحاماة امكنه فيما بعد ان يبذل مساعدات وياتي بمنافع كثيرة لابناء وطنه

هكذا نجد ان الفتى الطرابلسي المهاجر الذي تقلب في اشغال كثيرة وتغلب على صعوبات كبيرة وبرهن على المقدرة الكامنة في صدر السوري الطموح التي تحقق له الفوز حيث لا يجني سواه غير الفشل يمثل لنا بنجاحه كثيرا من الصفات التي صيرت نجاح المهاجرين السوريين عموما على ما هو عليه من الاهمية ويظهر لنا مقدرتهم ليس فقط على بلوغ المنى عن طريق السبل المطروقة والمالوفة بل في اي الاشغال التي ينصرفون اليها مهما يكن نوعها وبقطع النظر عن قلة اختبارهم السابق بها

محل اسكندر وايليا الخوري

شابان سوريان انصرفا الى نوع من الاشغال الفنية الدقيقة على غير اختبار باصول الصناعة او راس مال مادي يذكر ولكنهما ادركا في خلال ثلاث سنين نجاحا صير اسم محلهما علما بهذه الاثار النفيسة في السوق الاميركية حتى ان بضاعتهما اصبحت معروضة في معظم مخازن البلاد المعتبرة ومستعملة في كثير من الاندية والنزل الشهيرة بل قد بلغ من اتقان صناعتها وجمال رسمها انها استعملت لتزيين اليخت الخاص لرئيس البلاد

بين السوريين كثيرون يتاجرون بالتحف والعاديات والمصنوعات النفيسة ومنهم من ادركوا نجاحا خطيرا في هذه التجارة بعد مزاولتهم اياها عشرات السنين . ولكننا لا نعلم بوجود محل سوري في نيويورك — او في كل الولايات المتحدة — يشتغل بصناعة ادوات زينة البيوت التصويرية النفيسة كصناعة اولية . ولا كذلك نحسب كثيرين ادركوا مثل النجاح السريع المدهش الذي ادركه صاحبا هذا المعمل الذي نشير اليه

يبرهن لنا ذلك عن عظم مقدرة السوري الغريزية الكامنة في خفايا صدره وتظهر بصورة تدعو الى الاندهاش والاعجاب عند اول ما تعرض لها الظروف الموافقة مهما تكن طبيعة العمل المزاول . والظاهر ان هذه المقدرة قد وجدت التربة الصالحة لنموها في ديار المهجر فائمرت النجاح الغريب الذي ادركه المهاجر السوري في كل الاعمال التي انصرف اليها

والمحل الذي نعرض تاريخه الان هو محل الاخوين اسكندر وايليا الخوري اللذين لم يباشرا الاشغال بصورة مستقلة الا منذ اقل من ثلاث سنين وكانت اشغالهما في نوع من المصنوعات الفنية التي لا يقدم عليها غير الخبراء المتمهرين ومع ذلك فقد ادركا من النجاح المدهش بسرعته واهميته ما برهن عن صحة عزيمتهما على العمل وفرط مقدرتهما في الادارة فجمعا حولهما رهطا من مهرة الرسامين واصحاب الذوق والفن في نوع مصنوعاتهما واصبح محلهما كعبة لشراة هذه المصنوعات النفيسة يحجونه من كل انحاء البلاد

وقد تكون في تاريخ نشاة ونمو هذا المحل السوري عبرى لكل شاب مقدم على عمل بوجوب مزاولة العمل الذي يوانس من نفسه ميلا اليه وخبرة فيه وبضرورة احراق الكثير من الزيت سهرا على مصلحته وجدا وراء اتقانها .

Arab American National Museum

منظر جانب من معمل اسكندر وايليا خوري وفيه الرسامون على موائدهم وكلهم يشتغلون بانتاج المصنوعات اليدوية النفيسة

ولا سيما اذا تدرع بمثل المواظبة والاعتماد على النفس اللذين مارسهما هذان الشابان الاخوان في ادارة اشغالهما حتى تمكنا من القبض على ناصية النجاح

ولا بد قبل التبسط في وصف اشغالهما الحاضرة من ذكر كلمة في ماضيهما وكيف صرفا العشرين سنة اونحوها منذ غادرا مسقط راسهما مدينة بيروت قاصدين المهجر . وجملة ما يقال في ذلك انهما صرفا معظم هذه المدة في خدمة اخيهما الاكبر امين الذي كان يستجلب انية النحاس وغيرها من المصنوعات الشرقية لتباع في السوق الامريكية . وكانت من جملة مجلوباته قناديل النحاس المطرق باليد صنع دمشق . ومنذ نحو ست سنين انفصل الاخ الاصغر ايليا عن المحل واستخدم كمعتمد متجول في محل امريكي كبير يصنع المستحدثات في القناديل فجاب البلاد وتعرف الى الشراة ونجح في صنعته هذه نجاحا ماثورا

ثم كانت الحرب وانقطع الوارد من المصنوعات الشرقية الامر الذي حمل صاحب المحل على تصفيته فاصبح اسكندر بدون عمل . ولكنه لم يتردد طويلا في تقرير افكاره ورسم خطة اشغاله المقبلة فاجتمع باخيه الاصغر ايليا وقررا ان يباشرا معا تجارة مستقلة في صنع اغطية القناديل المصورة وكانت اذ ذاك في بداية عهد ظهورها لا يصنعها غير نفر قليل . ومع ان اغطية القناديل المصورة تختلف كثيرا عن قناديل النحاس المطرقة باليد من حيث طريقة صنعها فهما كانا من فصيلة واحدة والتجار الذين يشترون الصنف الواحد هم نفوسهم يشترون الصنف الاخر . وهنا ما يستفيد الاخوان من خبرة احدهما المكتسبة من التجول من قبل المحل الامريكي بينما يكون الاخر باذلا عنايته في ادارة العمل الداخلي ومنصرفا الى ابتكار واصطناع الاصناف المقبولة

كان حسنا رسم الخطة على هذه الصورة ولكن كيف لهما ان يباشرا عملا خطيرا كهذا لهما فيه مزاحمون كبار اقوياء وهما لا يملكان فيما بينهما غير بضعة الوف الدولارات فهل يضيعان الفرصة السانحة لهما من اجتماع هذه الميزات لمجرد ان المال غير جاهز لمباشرة العمل بصورة كبيرة . كلا فان الاخوين اتفقا على ان يقوم كل منهما مقام ثلاثة في العمل حتى ان وقت انصراف الناس الى بيوتهم مساء كان عندهما ابتداء يوم عمل ثان وبهذه الواسطة استعاضا بالاجتهاد عن كبر الراسمال . انما اشغالهما كانت تنمو سريعا حتى لم يعد في طاقتهما المحدودة تلبية كل الطلبات وكان لا بد لهما من الاستعانة بعدد اكبر من العمال وهؤلاء تلزمهم اجور تدفع

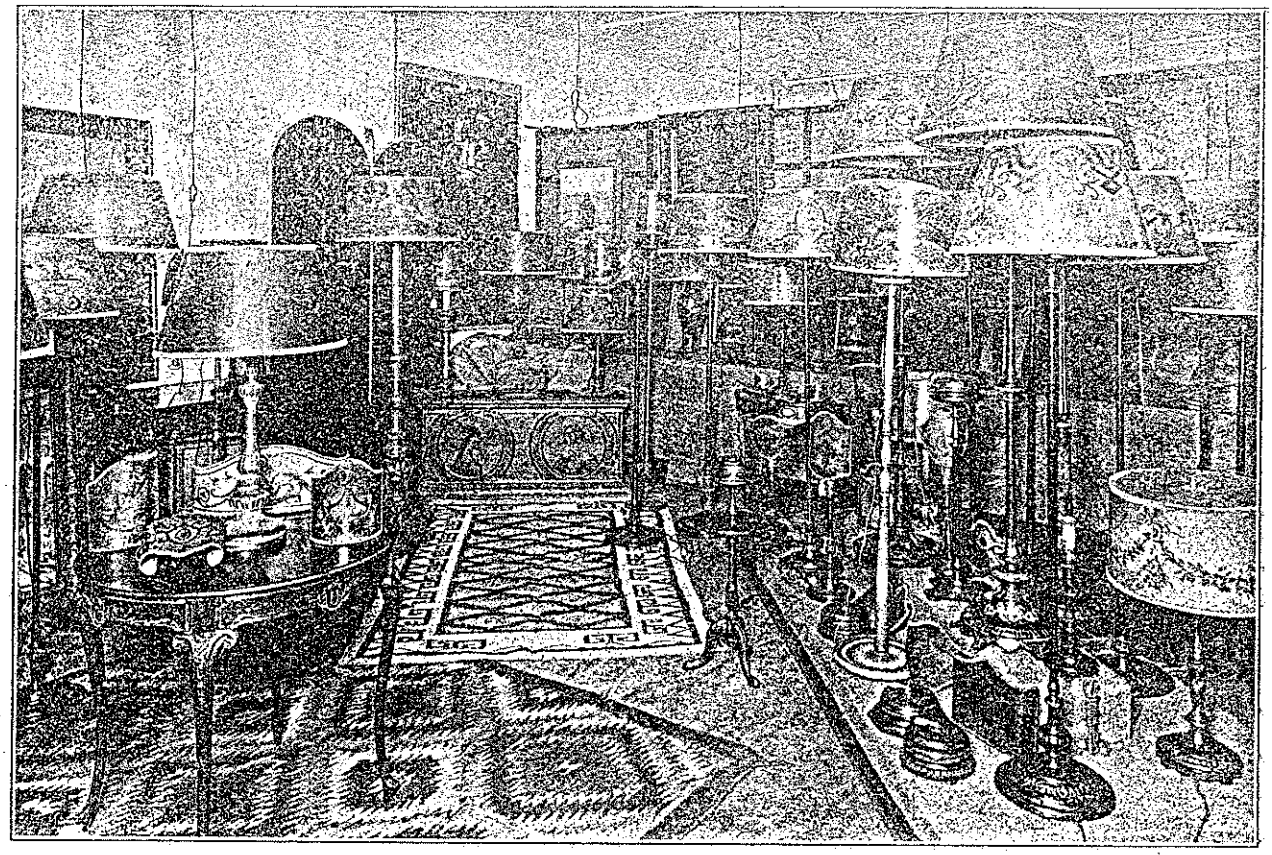

قاعة المعروضات في محل اسكندر وايليا خوري تظهر فيها مصنوعاتهم المتنوعة

نقدا مثلما ان اثمان المواد اللازمة للصناعة يجب تسديدها في مواعيد قصيرة بينما صنع البضاعة وشحنها الى العملاء والصبر على قيمتها يستلزم وقتا طويلا. وفي هذه الحال خطر للاخوين ان يستعينا باحد اصدقائهما المتمولين وعرضا عليه ان يؤديا له قدرا معلوما عن كمية المبيع لقاء المال الذي يمدهما به. وكان لهما من هذا الاتفاق باعث اعظم على زيادة الاندفاع في العمل حتى يتوفر لهما من الارباح ما يغنيهما عن المساعدة الخارجية وقد تحققت امالهما بفضل اجتهادهما الخارق قبل انقضاء السنة الاولى

والان قبل ان تمر عليهما ثلاث سنين في هذه الاشغال اصبحت لهما شهرة في هذه المصنوعات تعم البلاد واصبح اسم «خوري» مرادفا للاتقان والفن والذوق في صنع اغطية القناديل الشفافة المصورة المصنوعة من الرق. بل ان مصنوعات معمل خوري اصبحت تنال الجوائز الاولى في معارض المصنوعات النفيسة من نوعها والمقاولون على تاثيث وتزيين النزل الجديدة الكبرى في نيويرك والداخلية يعتمدون على هذا المعمل السوري في الحصول على اغطية القناديل وغيرها من ادوات الزينة والمصنوعات الفنية لما اختبروا من اتقان صنعها وتناسب الوانها ومتانة موادها بل ان من شواهد النجاح التي تذكر بملء الارتياح انه عند تنصيب رئيس البلاد هاردنغ وعزم الحكومة على تجديد تزيين وتاثيث بخت الرئاسة «مايفلاور» اختص المقاول المشهور في وشنطون الذي القي الى عهدته هذا العمل محل اسكندر وايليا الخوري في نيويرك لصنع اغطية القناديل والثريات اللازمة لهذا الغرض

وفي هذا المعمل السوري الفريد الان فوق الاربعين مصور ماهر وكل ما يصدر منه هو من الاشغال اليدوية المتقنة وتبلغ قيمة مبيعاته السنوية منها مئات الوف الدولارات واذ تدخل اليه وتتفقد مصنوعاته النفيسة المتنوعة وتراقب الدقة والنظام في العمل وكيف ان هذا العمل من ابعد ما تتصور ان السوري يقدم على مزاولته تعجب بالمقدرة البادية في السوري المهاجر على ما هي ممثلة في هذا المشروع الخطير الذي انشاء اخوان حاذقان مجتهدان منذ مدة قصيرة وتمكنا من ابلاغه على الرغم من قصر المدة الى هذه الاهمية الخطيرة

Arab American National Museum

محل يوسف يعقوب

هذا شاب سوري اعاضه حذقه الفطري عن راس المال المادي في مزاولة التجارة فانصرف الى اخذ الوكالات وساعده الاختبار الذي اكتسبه كمعتمد تجاري متجول على ادراك نجاح مذكور وهو لا يزال حاصلا على وكالات نفس المعامل التي ابتدا معها منذ سبع عشرة سنة فكبر معها واصبح من حاملي اسهمها واكتسب شهرة ذائعة كاختصاصي خبير بالاصناف التي يتاجر بها

منذ اثنتين وثلاثين سنة اصابت عدوى المهاجرة شابا من بيروت كانت تطمح نفسه الى تحسين احواله المادية فجاء مدينة نيويورك عندما كانت المهاجرة السورية اليها لا تزال في بداية عهدها واخذ يسعى وراء الكسب كما كان يسعى اليه المهاجرون الاولون · فاشترى وباع وفتح المحال الصغيرة في مدن مختلفة من الداخلية وباصناف متنوعة غير ان افكاره كانت قلقة لا يستقر على عمل مدة طويلة لان العمل الملائم لطبيعته الذي فيه تحقيق لمطامعه لم يكن بعد قد اعترض سبيله · واخيرا جاء الى نيويرك واستخدم في المحل القديم المعروف باسم رحيم وملحمه بصفة معتمد متجول · وقد وجد في هذه المهنة شيئا من الارتياح لان الفرصة كانت تتاح له فيه بان يطوف البلاد ويدرس الاحوال ويختبر انواع المتاجر · وقد لبث في هذه المهنة زهاء ثلاث سنين وكان احد الثلاثة السوريين الاولين الذين انصرفوا الى مثل هذا العمل عندما كانت التجارة السورية تضيق على دائرتها المحدودة وتطلب التوسع

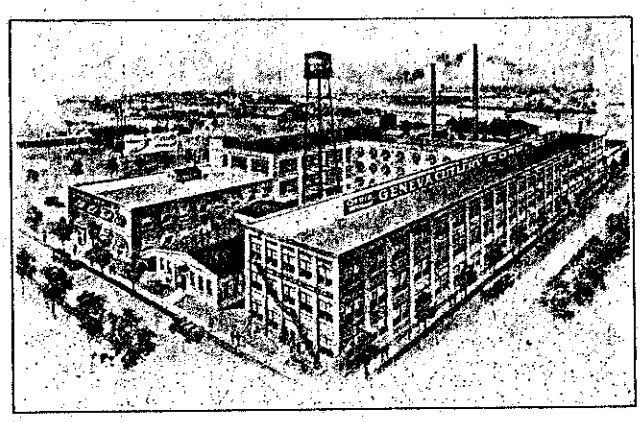

معمل جنيفا للقواطع الذي وكيله السوري يوسف يعقوب

وبفضل التجول كان هذا الشاب يقف على مقدار الطلب على كل صنف ويرقب نموه فخطر له ان يكون الوسيطين المعامل وبين التجار راسا في بيع بعض الاصناف · وكاتب المعامل في الحصول على وكالتها لبيع اصنافها فحصل على عدد من هذه الوكالات · ولما اطمان الى وجود مجال كاف للاشتغال بصورة مستقلة في هذا العمل استقل وهو لا يزال منذ سبع عشرة سنة يتعاطى الاشتغال على هذه الصفة ثم اخذ يتاجر راسا بهذه الاصناف لحسابه ولكنه يحصر تجارته بها دون سواها فحققت الايام رغائبه في ادراك نجاح ممتاز

ذلك باختصار وصف بداية اشتغال يوسف يعقوب وكيل معمل القواطع المعروف باسم جنيفا كتلري كمبني وغيره مما يدخل في هذه الاصناف · ولكن ليس في ما تقدم وصف شيء من العناء الذي بذله هذا التاجر في تحقيق نجاحه او المواظبة التي مارسها في ملاحقة اعماله · ويدلك على شيء من ذلك انه عندما استحصل وكالة جنيفا كتلري كمبني تجول بامثلة بضائعها عشرة اسابيع فلم يحقق ارباحا لنفسه من العمالة التي له عن المبيع غير سبعة وعشرين دولار · ولكنه اجتهد وثابر · وكان مقدار مبيعة يزداد شهرا عن شهر وسنة عن سنة حتى انه في الاونة الاخيرة توصل الى ان حقق من العمالة التي له من هذا المحل نحو الفي دولار في مدة لا تتجاوز الخمسة اسابيع

ولكن اشغال يوسف يعقوب لم تقتصر على البيع بالكومسيون بل هو اخذ منذ عدة سنين يتاجر بمصنوعات المعامل التي هو وكيلها لحسابه الخاص فحصرت له المعامل مقطوعية السوريين وواردات نيويرك وما اليها وكانت سني الحرب له مواسم على اعظم قدر من الاقبال بفضل انقطاع واردات اوروبا من القواطع وتراكم الطلب كله على المعامل الامريكية · وقد اظهر هذا المواطن في هذه الظروف صدق وطنيته لان ابن وطنه السوري كان مفضلا عنده في كل وقت على الغريب في تلبية الطلب على الرغم من توارد الطلبات عليه من كل فج وصوب

جانب من مكتب محل يوسف يعقوب يظهر فيه صاحب المحل جالساعلى مكتبه على يسار الرسم

وبفضل اجتهاد ومواظبة هذا التاجر المواطن في اشغاله نما مع المعامل التي هو وكيلها وعلى نفس النسبة . فمعامل جنيفا مثلا كانت عندما ابتدا اشغاله معها لا تصنع غير نحو ٣٠ دزينة من الامواس يوميا اما الان فقد اصبحت حاصلاتها بين ١٥٠٠ و٢٠٠٠ دزينة يوميا . وتوصل المواطن اخيرا الى المساهمة في الشركة الى قدر مذكور ونقدر ان ندرك مقدار ما جنى من الارباح عن هذه الاسهم في مدة اقبال الاشغال الغريب في البضع سنين الاخيرة

ومما يذكر بالاعجاب عن اعتبار الامريكيين لمقدرة السوريين التجارية عندما يحتكون بهم ويدرسون سيرتهم واخلاقهم ان رئيس شركة جنيفا اراد ان يدرب ابنه على الاشغال التجاريةعند انتهائه من الكلية فسال مواطننا يوسف يعقوب ان ياخذه معه شريكا في المحل وقد استمرت هذه الشركة نحو سنة انفصل بعدها الشاب الامريكي للاستفادة من الاختبار الذي اكتسبه في اشغال مختلفة وعاد المحل الى ملكية مواطننا بالكلية

ومن المنتظر ان يكون لهذا المواطن خبرة واسعة ودقيقة في اصناف القواطع بعد ان زاول التجارة بها كل هذه السنين. غير انه من غير المنتظر ان يكون ادرك شهرةواسعة عمومية بهذه الخبرة . ولكن ذلك ما حصل حتى ان اللجنة الفاحصة التي عينها مجلس الامة لدرس الاحوال الاقتصادية في البلاد ولتقرير النسبة بين نفقة صنع البضائع وبينائمان مبيعها استدعته لاعطاء رايه كاحد الخبراء في اصناف القواطع عند اجرائها الفحص على هذه المصنوعات فاحلت اللجنة الافادات التي امدها بها محلهامن الاعتبار وكان احدثلاثة خبراء وقع عليهم اختيارها لهذا الغرض من كل مدينة نيويورك الحافلة بالمحال الكبرى التي تتعاطى هذه المتاجر

فتجارة يوسف يعقوب هي احد الامثلة عن مقدار نجاح السوري المهاجر في اي المرافق التي انصرف اليها مع ما نراها عليه من اتساع الدائرة والتنوع. ولكن هذا التاجر المواطن متحل بصفات كثيرة مستحبة وممدوحة غير النجاح منها شعوره مع بني قومه ومشاركته في المشاريع العمومية توصلا الى رفع منزلتنا بين الاجانب واظهارنا بالمظهر اللائق بنا والموجب للاعتبار

Arab American National Museum

محل تامر كنعان المعلوف وشركاه

فتى سوري هاجر الى اوستراليا وهو في سن الرابعة عشرة ثم جاء الى الولايات المتحدة وهو في عنفوان الشباب دون ان يكون له من راس المال غير نشاط على العمل واقدام في الاشغال التجارية بلغا به اخيرا الى درجة رفيعة من النجاح حتى اصبح ذا متاجر عديدة متنوعة وصاحب املاك وابنية ثمينة في نيويرك وبروكلن ومن ذوي المنزلة الادبية المعتبرة بين الجالية

من كان يظن ان الفتى السوري الذي ربي في احضان الطبيعة لا يرى في ما حوله غير ابسط حالات المعيشة الفطرية على ما هو معروف عن سكان لبنان يقدم على المهاجرة الى اقصى اطراف الارض ويبرهن في محيطه الجديد الغريب عن مقدرة وذكاء ونشاط تجعله من ارباب الثروة والمكانة في سنين محدودة ؟

يبرهن ذلك عن ذكاء فطري في السوري او اللبناني لا تنقصه للظهور غير موافقة الظروف وقد توفرت له هذه الفرصة في ديار المهجر فجاء النجاح الباهر الذي ادركه الذي يبرهن عن توفر الذكاء مصداقا لما عرف به واشتهر عنه

والشواهد على هذا النجاح كثيرة نراها حيثما القينا النظر في ديار المهجر بل نحن نرى هذه الشواهد ليس في نوع واحد من المرافق بل في ما لا يكاد يحصى من الاشغال المتنوعة

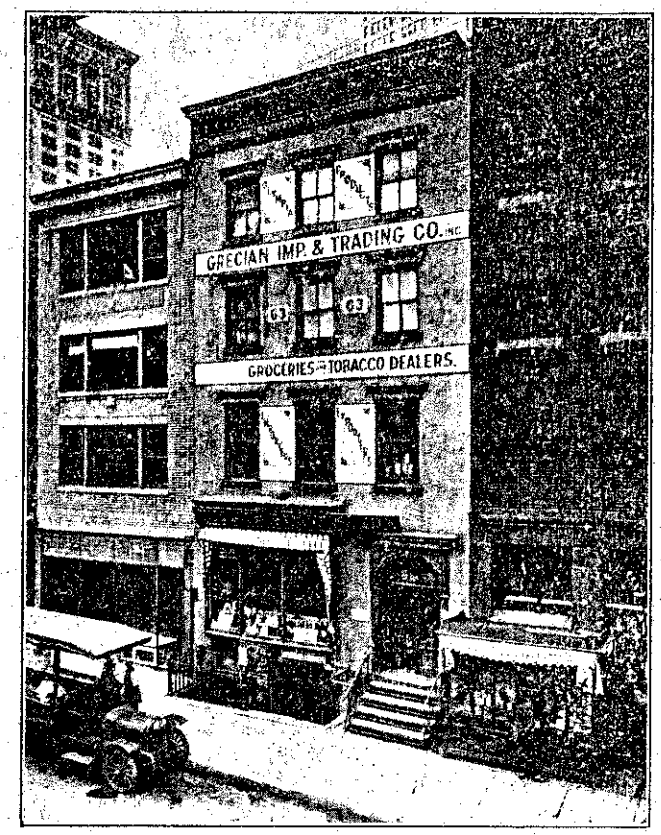

بناية محل تامر كنعان معلوف وشركائه في نيويرك

وهذه قصة تاجر سوري ناجح تقاذفته انواء المطامع في كل جهة فحملته من اقصى الارض الى اقصاها فهاجر اولا الى اوستراليا ثم جاء الى الولايات المتحدة وتقلب في اشغال كثيرة وكان في معظمها فائزا ببعض النجاح الا انه عندما استقر على نوع التجارة التي تلائمه كان تقدمه سريعا وخطيرا

فتامر كنعان المعلوف هاجر من مسقط راسه كفر عقاب لبنان سنة ١٨٩١ وهو في سن الرابعة عشرة غير انه كان مدركا من امور العالم اكثر مما يعهد في فتى بمثل سنه وقد جعل وجهته اولا اوستراليا برفقة احد انسبائه وهناك جال في الداخلية واشتغل بمل ء نشاط الشباب وجمع راس مال قليل فسولت له نفسه فتح شغل في المدينة — مدني — الا انه كان دون السن الشرعية ولا يقدر ان يشتري باسمه واستعان بصديق له على فتح المحل باسمه وكان نوع هذا العمل خياطة ثياب نسائية لتجارة الجملة . حتى اذا ما انقضت عليه بضع سنين جمع في خلالها ثروة معتدلة حنت نفسه الى زيارة الوطن فعاد اليه مع امراته الاوسترالية الا ان اقامته لم تبلغ السنة الواحدة لانه اشترى عقارا بما كان جمعه من المال ووجد مجال الاشغال في الوطن محدودا ففكر في المهاجرة مرة اخرى . ولكنه هذه المرة جاء الولايات المتحدة مدفوعا بمعرفته اللغة الانكليزية التي كان اتقنها في اوستراليا ولكنه وجد الزحام في هذه البلاد اشد والمراس اصعب وكانت المائة ليرة التي سلمت له على طريق النفاد وهو عليه عائلة فصمم على الاخذ بعمل عاجل وكره ان يتجول للبيع بعد ان كان تاجرا فطفق يبحث عن بلد في جوار نيويرك يفتح فيها محلا صغيرا يستلم له بعض البضائع من معارفه التجار السوريين في نيويورك فالقى عصا الترحال في بلدة نيوبرنزويك نيوجرزي ففتح محلا صغيرا اخذ ينمو ويكبر مع الايام . وكان خلال هذه المدة كثير التردد على نيويرك

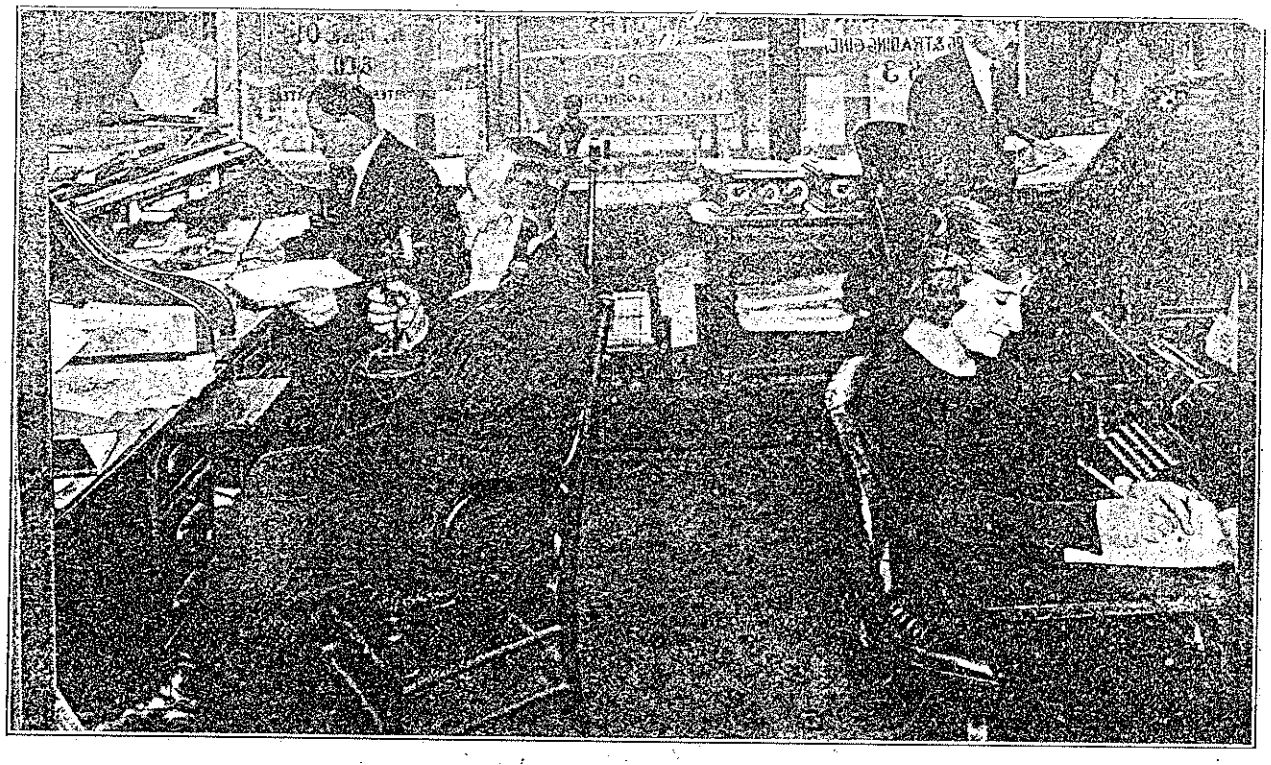

جانب من مكتب محل تامر كنعان المعلوف وصاحب المحل هو الظاهر في يسار الرسم ممسكا التليفون

منظر داخلي لجانب من محل تامر كنعان المعلوف

لمشترى البضائع ورأى ان حركة الاشغال فيها كبيرة تبشر بتقدم اسرع فنقل اليها في سنة ١٩٠٥ واشترك مع سليم فرج الله زلعوم وشركائه في محل السمانة الذي كان لهم اذذاك وانشاوا فرعا جديدا للمحل للتجارة بالدراي كودس اي الاقمشة والخرضاوات على امل ان يحولوا جميع اشغال المحل الى هذه الاصناف فيما بعد ولكن تامر الذي لم يكن له علم بارباح تجارة السمانة من قبل راى منها بعد ذلك ما اقنعه بانها اربح وابقى حتى اذا فسخت الشركة انصرف اليها وكانت اشغاله على تقدم سريع وتوسع مستمر حتى اصبحت في حالتها الحاضرة تتناول تجارة بالسمانة والمأكولات السورية والامريكية تشغل البناية الكاملة الواقعة تحت رقم ٦٣ شارع وشنطون ومستودعا كبيرا في بناية اخرى في شارع كرينوتش وتضم شركة السمانة اليونانية والسورية التي كان هذا التاجر المواطن قد انشاها في سنة ١٩١٥ بشركة احد اليونانيين مقدما لها راس المال ثم استقل بها وهي ذات تجارة كبيرة بحد نفسها تبلغ كمية مبيعها السنوية زهاء نصف مليون دولار . ذلك فضلا عن اهتمام هذا المواطن بتجارة العقار حتى اصبحت له البناية التي يشغلها محله ملكا له علاوة على بنايتين كبيرتين للسكن في بروكلن مدفاتين بالبخار وفي احداهما اليفاتر لخدمة السكان تعد من الطبقة الاولى بين البنايات التي من نوعها في نقطتها دفع ثمنها عندما اشتراها في سنة ١٩١٣ خمسة وسبعين الف دولار

ومن الخلال المشكورة في هذا المواطن اشتراكه في الحركات العمومية والمشاريع الوطنية وعدم ضنه عليها ان بالوقت او بالمال . يشهد على ذلك انتخابه لرئاسة المنتدى السوري الامريكي في نيويرك لثلاث مدات ومثلها للغرفة التجارية السورية في نيويورك التي هو رئيسها حتى هذا الوقت

Arab American National Museum

محل بشاره غانم واخيه

شابان هاجرا الى هذه البلاد في سن الفتوة فاقتبسا كثيرا من طرائق الاشغال الحديثة الشائعة في البلاد وطبقاها على اشغالهما مع ابناء وطنهما فاوجدا لنفسهما تجارة واسعة وحققا نجاحا وافرا في جميع فروع الاشغال التي انصرفا اليها وهي متعددة

هاجر كثيرون من السوريين واللبنانيين الى الديار الامريكية عندما كانوا في سن الشباب او الكهولة وبعد ان اختبروا احوال المعيشة في اوطانهم واندفعوا الى طلب الكسب عن ادراك تام للخطوة التي اقدموا على اتخاذها . فمثل هولاء كان عندهم باعث طبيعي مدعوم بقوة الادراك الشخصي على المخاطرة والسعي والكد والاجتهاد . وليس شانهم شان الفتيان الذين يشبون في محيط يسهل عليهم الاندماج فيه ويشعرون باطمئنان الى حالتهم لا يمكن للشاب او الكهل ان يشعر بمثله مع وجوده في محيط غريب فاذا بدا على الرغم من هذه الظروف في الفتى المهاجر الحدث السن امثل نشاط واقدام الشبان وتعقل وادراك الكهول كفى بذلك شاهدا على فطنته وذكائه وحسن تنشئته

نجد شاهدا على نشاط وذكاء وادراك فئة كبيرة من المهاجرين السوريين الذين جاءوا الى هذه البلاد في سن الفتوة وحققوا لنفوسهم نجاحا منظورا في عالم التجارة السورية في المهاجر الشابين الاخوين بشاره غانم واخاه شاكر صاحبي احد محال السمانة السورية القديمة والكبرى في نيويرك مع غيره من المشاريع الصناعية والتجارية المتنوعة والمصادفة نجاحا . فان هذين المواطنين قدما الى هذه البلاد وهما دون سن الادراك شرعا ولكن تاريخهما العملي والتجاري برهن عن انهما كانا بعيدي الادراك على الرغم من سنهما وشديدي الاجتهاد على الرغم من وجودهما في محيط شبانه وافاه ولم يداخلهما منه شعور بغرابة فجالا في ميدان الاشغال جولات نادرة وبنيا علاوة على التجارة الواسعة الناجحة اسما من اطيب الاسماء التجارية

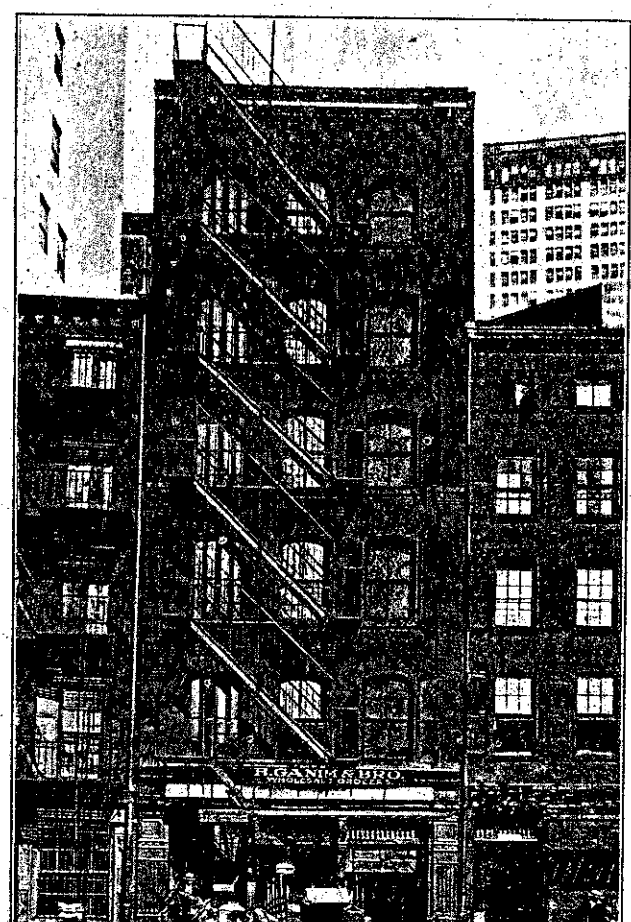

بناية بشاره غانم واخيه في شارع وست

جاء بشاره الى هذه البلاد سنة ١٨٨٩ وهو دون السادسة عشرة للاجتماع بابيه الذي تقدمه بسنتين وكان من اول المهاجرين من قصبة بسكنتا في لبنان الى هذه الديار مع اخيه سالم الذي كان شريكه في محل الدراي كودس المعروف اذ ذاك باسم «غانم وسالم» حتى اذا دعت بعض الضرورات الوالد الى الرجوع الى لبنان خلف ابنه مكانه في المحل وعاد الى الوطن . وظلت الاشغال سائرة حينا الى ان حدث ما اوجب فسخ الشركة فعقد اذ ذاك بشاره شركة تجارية لتصدير البضائع الى الخارج مع ابن عمته طانيوس سعدالله تحت اسم «غانم وسعدالله» واستمر على ذلك بضع سنين حتى كان راي الشريكين الرجوع الى الوطن ففسخا الشركة ولكن اذ كان بشاره يهم بالسفر طرا ما حوله عن عزمه فبعث يستقدم اخاه الاصغر شاكرا الى هذه البلاد وذلك في

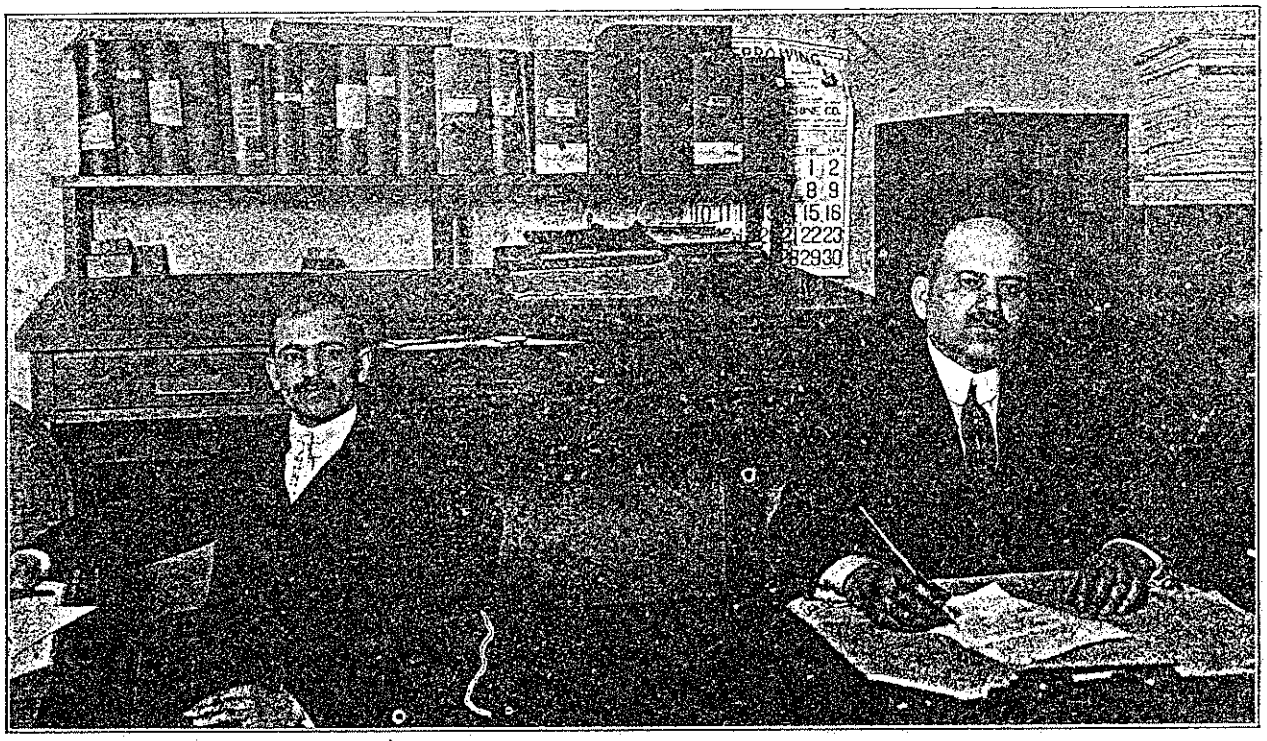

بشاره غانم واخوه شاكر غانم

سنة ١٨٩٥ انما لم يطمع بتقميده بواجبات العمل على حداثة سنه بل شاءان يوليه الوفر نصيب من التهذيب فارسله الى مدارس هذه البلاد وظل فيها خمس سنين وفي كل هذه المدة والاخ الاكبر يعد الاصغر شريكا له في التجارة دون فرق او تمييز شان الاخوة الحقيقيين حتى اذا انهى دروسه واستعد للدخول في عالم العمل ضم اسمه الى المحل ومنذ ذلك الوقت ــ منذ سنة ١٩٠٠ ــ حتى الان وهذا المحل المبني على المحبة الاخوية والاجتهاد في العمل يعرف باسم بشاره غانم واخيه

واذ يعرف عن هذين الاخوين شدة محبتهما الواحد للاخر وهي ما تبعث على الاتفاق في العمل والمباراة في الاجتهاد لا عجب ان يكونا قد ادركا مثل هذا النجاح الظاهر في اشغالهما الان. فالتجارة التي لهما بالسمانة او الكروسري هي من اكبر المعروف من نوعها في نيويرك وبالتالي بين السوريين في البلاد وقد باشراها منذ سنة ١٩٠٠ وما زالا منذ ذلك الوقت يفرغان الجهد في ترقيتها وتعزيزها حتى اصبح تقدمها باديا للعيان سنة عن سنة ومن الادلة الحديثة على ذلك نقلهما اشغالهما الى البناية الكبرى الواقعة تحت رقم ٥٤ شارع وست وهي موءلفة من سبعة اطباق معظمها تشغله تجارة السمانة والباقي مخصص لفرع جديد من الاشغال باشراه فيما بعد وسياتي عنه الكلام

اما تجارة السمانة فقد بدت من الاخوين بشاره وشاكر غانم همة في ملاحقتها حققت لهما فيها نجاحهما الحاضر وسجلت لهما بسببها صفحة مجيدة في تاريخ التجارة السورية في المهاجر الامريكية وفي النوادي التي يذكر فيها الاقدام والتفنن الماثور عن المهاجر السوري

فتجارة السمانة السورية نشات على ما هو معلوم عن كثرة عدد المهاجرين السوريين وتنبه جماعة من حذاق التجار الى موافقة استجلاب الماكولات السورية. وقد كان هذا الاستجلاب يتم بواسطة تجار عمالة في بيروت. ولكن بشاره غانم واخاه كانا من اول التجار في نيويورك الذين ارسلوا معتمدا الى سوريا لاختيار وشحن البضاعة راسا ولم يقتصر مشترى العميل على سوق بيروت فقط بل انه جاب انحاء سوريا كلها من حدود حلب حتى فلسطين لمشترى الاشياء من مصادرها الاصلية. هذا فيما يختص بالاستجلاب اما بشان التصريف هنا فقد كان الاخوان من اول من ارسلوا معتمدين متجولين المقتصرة مهمتهم على بيع الماكولات الشرقية فقط بين مواطنيهم في الداخلية وكانت طريقتهما في ذلك فريدة من حيث انهما كانا يدفعان للوكيل المتجول جميع نفقاته واجرة معينة بدلا من طريقة العمولة التي توجب في

Arab American National Museum

منظر عام لمكتب محل بشاره غانم واخيه

اعتقادهما ان تضاف العمولة الى الاثمان فضلا عن ان الوكيل لا يعود في مثل هذه الظروف يقصد غير البلدان الكبيرة الماهولة بجماعات كبيرة من السوريين . ولهذا ما تمكن الاخوان من بنيان تجارة بالسمانة تمتد حتى الى اصغر البلدان حيثما وجد سوريون في الولايات المتحدة ونشات لهما فيها ايضا تجارة واسعة بالاصدار الى الخارج علاوة على انهما توسعا ايضا حتى اصبحا يتاجران بالمكولات الامريكية ويبيعان راسا من السوق الامريكية الكثير من الاصناف المستجلبة من الخارج . ذلك فضلا عن اتخاذهما طريقة الاعلان في الجرائد بصورة مجسمة جريا على الطرائق التجارية الحديثة التي اقتبساها من المحيط الامريكي وهما بفضل ذلك كانا اول تجار سوريين عمدوا الى وضع الاعلانات بصفحات كاملة من الجرائد وباوقات متواترة

ومن ادلة تفننهما وحذقهما في التجارة انهما كانا اول من انشا معملا للبرغل بين السوريين في هذه البلاد استغناء عن استجلابه من الوطن . واول من استجلب الاراكيل وسواها من مصادرها الاصلية بدلا من الاعتماد في ذلك على تجار بيروت الذين يستجلبون معظم هذه الاصناف من الخارج ايضا . ذلك علاوة عن كونهما اخترعا قلوب الاراكيل التي تركب بالبراغي ويسهل تفكيكها اقساما وقد تسجل هذا الاختراع لاسمهما . فبمثل هذا السهر والانتباه والاجتهاد ترتقي الاشغال ولا عجب ان تكون تجارة بشاره غانم واخيه في اصناف السمانة صادفت مثل هذا النجاح المتاتي عن عظم الاقبال

وقد كان من توسع صاحبي هذا المحل في اشغالهما انهما انشآ معملا لحياكة قماش الحرير المضلع المعروف بالجرزي يبيعانه من اصحاب معامل الخياطة راسا . وقد جهزا المعمل بجميع الالات اللازمة للاقتصاد في النفقة واتقان العمل منها الات للغزل والفتل والحياكة على ما يظهر في احد الرسوم المنشورة مع هذا البيان . وذلك دون ان يقللا من عنايتهما بتجادة السمانة الاصلية ويخفضان من راس المال المخصص لها

فهذان الاخوان هما من الامثلة الحسية على طبيعة الطينة التي جبل منها التاجر السوري المهاجر . فهما متصفان باجتهاد نادرة وباستقامة لا تعتورها شائبة ولهما من الاخلاق الشخصية الرفيعة ما يجعلهما محبوبين ومكرمين من جميع معارفهما سواء في علائق الاشغال ام سواها . وهما على الجملة من افراد التجار المشار اليهم بالبنان بين جماعة التجار السوريين المهاجرين سواء بنجاحهما ام بنزاهة تاريخهما الشخصي والتجاري

منظر جانب من معمل حياكة قماش الحرير في محل بشاره غانم واخيه

محل يوسف نعمان المعلوف

سيرة جهاد صاحب هذا المحل من اغرب روايات التضحية والنجاح بين السوريين في المهاجر — ترعرع في احضان الثروة ولكنه لم يحجم عن اصعب المشقات — له من الآثار الادبية الخالدة جريدة الايام والمؤلفات الكثيرة التي وضعها ومن الآثار المادية امتيازات ثمينة في كندا وتجارته الحاضرة الناجحة والمنظمة في نيويرك

بين التجار السوريين في نيويرك كاتب اديب وزعيم اصلاحي مشهور كان اسمه مالئ فضاء الاندية الادبية والسياسية في الدولة العثمانية قبل الدستور وتحسب له حكومة عبد الحميد حسابا لا تحسبه لغير الافراد المعدودين من الادباء والمصلحين السوريين لان صعقاته الاصلاحية ومذاهبه السياسة كانت من العوامل التي لا يمكن انكار ما كان لها من التاثير في احداث الانقلاب العثماني الاخير . اما الان فقد انصرف هذا الاديب الى التجارة وبذل فيها من علو الهمة وصدق المسعى ما كان يبذل في جولاته وصولاته الصحافية والسياسية فادرك في المهمة الاخيرة ما ادرك في الاولى من علو المنزلة وصدق الاعتبار . والذي يلوح من سير اشغاله وتقدمها المطرد ان نجاحه لا يزال في اوله

يوسف نعمان المعلوف

هذا الاديب التاجر هو يوسف نعمان المعلوف سليل الاسرة المعلوفية الزحلية الشهيرة والذي اوجد لنفسه بفضل ادبه وعقله وحسن اجتهاده وصدق جهاده منزلة في عالم التجارة والادب كانت له خير حسب وتغنيه عن الافتخار بالنسب . اما وقد اجتمع فيه الامران وتوازنت الكفتان فهو بالاعتبار احق وبسرد قصة جهاده للتمثل والعبرى اخلق . ولا سيما اذ نعرف ان ماعاناه هذا المواطن الاديب المترعرع في احضان الرفاه من مشقات الجهاد وما بذله من خارق الجهاد قل ان يكون له مثيل في تاريخ التجارة السورية في المهاجر الامريكية

فانت اليوم تدخل مكتب ومعمل يوسف نعمان المعلوف في ٨٥ شارع وشنطون فتجدهما مجلى لحسن الذوق واكتمال الترتيب ودقة النظام . وترى فوق ذلك دولاب العمل دائرا بسرعة تنم عن مزيد الاقبال فتحسب وانت لا تعرف سر نشوء هذه التجارة انها ولدت خطيرة ودعمتها منذ تاسيسها قوة مالية كبيرة . ولكنك في ذلك على خطا ولا بد ان اندهاشك يتخطى كل حد اذ تعرف ان هذه الشجرة الباسقة المتفرعة الاغصان نبتت من مثل حبة الخردل . ويزداد بالاكثر اعجابك بالتصميم الخارق والاباء الاشم اللذين استحثا صاحب هذه التجارة الى استفراغ كل ذرة في نفسه العالية من النشاط سعيا وراء الاستقلال المادي وحفظ كرامة النفس

ولكن القارىء يدرك طبيعة هذه المهمة من تتبع سياق القصة التي نرانا مقيدين بواجب ذكرها كاملة اولا لتسجيل الحقيقة التاريخية عن اجتهاد التاجر السوري المهاجر وثانيا لاعطاء مثل عن مقدار التضحية الواجب على كل مبتدىء بذلها في طلبه الحصول على اكليل الظفر

Arab American National Museum

منظر عام لمكتب يوسف نعمان المعلوف

فقد كانت مهاجرة ادبنا التاجر الى الولايات المتحدة موافقة لافتتاح معرض شيكاغو وذلك سنة ١٨٩٣ حتى اذا كانت نهاية المعرض قرر جعل مركز تجارته الثابت في نيويرك وكان يسافر الى اوروبا لاستجلاب البضائع الرائجة واليه يعزى الفضل في ادخال كثير من الاصناف الرائجة حتى الان الى التجارة السورية واخصها انواع الخرج والمطرزات والحلي والمستحدثات الباريسية وسواها

انما كانت في كل هذه المدة تغالب نفس هذا الاديب عوامل قوية لا قبل له على مقاومتها ولا سيما انها كانت تمس منه موضع الضعف الاكثر تعرضا وقابلية وهو الانصراف الى خدمة الادب والاصلاح . وقد استسلم اليها في سنة ١٨٩٧ وانشا جريدته «الايام» المشهورة التي كانت من ابواق الاصلاح البعيدة الصوت في النهضة السياسية الحديثة في الدولة العثمانية . وقد استمر على اصدار هذه الجريدة زهاء ثماني سنين برهن فيها عن كون المهاجر السوري بذل من المساعدة على ترويج الحركة الاصلاحية في وطنه الاصلي قدرا لا يستخف به عند استقراء الاسباب التي احدثت الانقلاب . فضلا عن ان «الايام» كانت تنم عن صفات صاحبها الشخصية من حيث الكياسة في المظهر والذوق والادب في الكتابة

ومما يذكر لهذا المواطن من الاثار الادبية خلا جريدة «الايام» عدد من المؤلفات النفيسة التي زادت ولا شك في غنى الاداب العربية . منها «خزانة الايام في تراجم العظام» واسرار يلدز او العقد الثمين في تاريخ اربعة سلاطين والائحة الاصلاحية التي رفعها الى السلطان عبد الحميد

وقد كانت غاية هذا الاديب من مهمته اصلاحية بحتة ومثل هذه المهمة في الغالب مجلبة للخسارة المادية التي احتملها ما قدر اثناء كل هذه المدة . حتى اذا اقتنع بانه قام بواجبه — بل باكثر من الواجب المطلوب من فرد في اصلاح دولة — انصرف من جديد الى الاشتغال بالتجارة وانعكف على جلب المستحدثات والمطرزات النفيسة من اوروبا ولم يتحل عنها الا عندما حدثته نفسه بالذهاب الى كندا لاستقطاع الاراضي المفتوحة للاستعمار ولاستثمار المعادن وذلك في سنة ١٩٠٨

قد يكون مر على كثيرين ما مر على يوسف نعمان المعلوف في التجارة . ولكن قليلون بين السوريين المهاجرين هم الذين وقعت عليهم مثل اختباراته الشاقة في مجاهل كندا . وان في هذا الفصل من تاريخ حياة هذا الاديب عبرى وموعظة لكل مباشر عملا ومقدر قدر الثمن الذي يجب ان يوءدى عن النجاح . ولا سيما ان طريقة تنشئة هذا المواطن واشغاله السابقة لم تكن مما يوءهله لاحتمال هذه المشاق

ففي كندا كانت تقطع الحكومة مساحات معلومة من الارض المشاع مشترطة الاشتغال فيها واستثمارها حتى لا تبقى مهملة . وقد ذهب اديبنا منقبا في غابات كندا الموحشة ينشد المعادن الثمينة . وليس اعظم مشقة من هذا النوع من المعيشة وعلى الاخص لمن الف الرفاه . لان المنقب مضطر ان يحمل زادا يكفيه لاسابيع ويضرب في مجاهل الارض لا مبيت له غير الصحراء ولا موءنس له غير الطيور ووحوش البرية . فضلا عن انه يكون مدفوعا برغبة الاستكشاف الى التنقيب في الارض بمنتهى الهمة وببذل اعظم المشقة حتى يكون السابق الى العثور على الكنز الثمين . وقد قضى اديبنا في هذا المحيط وعلى مثل هذه الحالة عدة سنين لا يعود الى مراكز الحضارة الا في ايام الشتاء وعندما يحتاج الى تجديد الزاد

وقد توفق بعد مقاساة المشاق الى العثور على معادن ثمينة كان قبل عودته الى نيويورك حول امتيازها الى احدى الشركات بقصد الاستثمار وهو امتياز ثمين وينتظر ان يكون مورد ثروة كبير . غير ان رئيس الشركة وصاحب راس المال فيها قضى نحبه بعد ذلك ببضعة شهور فتضعضعت احوال الشركة وعاد الامتياز الى حوزة صاحبه الاول وكانت قد وقعت الحرب العمومية واضطربت الاحوال في كندا

يسبب التجنيد وحصر المجهودات في المهمات الحربية فاضطر ان يعود الى نيويورك في سنة ١٩١٥ لمباشرة اشغال جديدة. وقد يكون عانى في تاسيس هذه الاشغال من المشقات النفسية فوق ما قاسى من المشقات الجسدية في تنقيبه عن المعادن في مجاهل كندا. ولكن من مجموع هذه الامور ندرك طبيعة النفس الابية التي تستحث المرء على طلب المعالي وتصلب ارادته على احتمال المشقات والمكاره في وقت واحد

فقد كان يوسف نعمان المعلوف عند وصوله الى نيويورك لا يملك من راس المال غير خمسة وثمانين دولارا انما لم يكن يعرف ذلك احدا سواه بل كان الجميع يحسبونه على سعة وثروة . اما هو فابت عليه نفسه طلب المساعدة. بل اعتقد ان الاتكال على الغير في طلب النجاح من غير الصفات المستحبة . لذلك اخذ يستفرغ ما بقي له من راس مال النشاط والاجتهاد فاشترى قليلا من القماش فصله بيده وصنع منه مساطر وخرج يعرض هذه المساطر على السوق وساعده على مصادفة اذن صاغية واستقبال حسن من شراة المخازن الكبرى حسن منطقه ورواء مظهره وامارات الذكاء والتصميم البادية في ملامحه . وكان كلما استحصل طلبا من احد هذه المخازن يعرضه على بعض تجار الجملة فيستلم منهم القماش والمواد اللازمة لصنع البضائع ويجد في صنعها وقد استمر على ذلك اكثر من سنة وهو يزداد اجتهادا بما يرى من تقدم اشغاله المحسوس . حتى اصبح اخيرا وبعض المخازن الكبرى تقاوله على كل حاصلات معمله من اصناف خصوصية تختارها وهو بالكد يقدر على التلبية على الرغم من التوسع الكبير الذي احدثه

والان نجدان الحبة التي غرستها يد يوسف نعمان المعلوف في حقل الاشغال وتعهدتها بالسقي من ماء الحياة اصبحت من اكبر الاغراس التي من نوعها في حي التجارة السورية

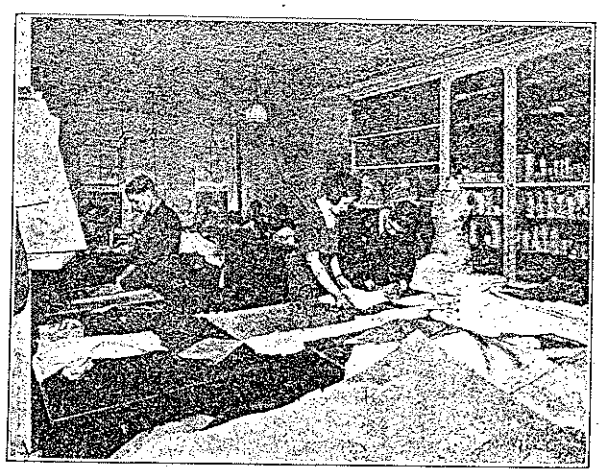

منظر جانب من ادارة التفصيل في معمل يوسف نعمان المعلوف

في نيويورك . فالمعمل الان يشغل طبقا فسيحا فيه العشرات من الماكنات والعاملات ولا يزال صاحب المعمل قائما على ادارته بنفس الهمة التي رافقت التاسيس فهو عند الساعة الثامنة صباحا يدخل المكتب ولا ينصرف الا عند الساعة السادسة مساء ولا يزال يهتم باستنباط الاصناف الجديدة ويبذل من حسن الذوق في صنع الملبوسات النسائية التي تجرد لها الان ما كان يعهد فيه في الماضي سواء في الصحافة ام التجارة

فهذا احد تجارنا في المهاجر الذي اجتمعت فيه صفات نادرة يجب ان يسجل ذكرها كمائرة له وكقدوة لسواه . ولا سيما اذ نعتبر فرط الاباء الذي دفعه الى الاجتهاد وعظم الصبر الذي ابداه في الجهاد وبالاخص تلك الفضيلة النادرة في ابناء البيوتات وابناء المدارس السوريين وهي عدم التكبر عن كثير من الاعمال التي يحسبونها دون قدرهم فيضيعون الاعمار في انتظار «الاشغال الشريفة» ويسخون في بذل ماء الوجه مع ان حفظ كرامة النفس هو في الاستقلال في اي الاعمال التي يشرف طبيعتها المرء باجتهاده

Arab American National Museum

محل بدران اخوان

موءسس هذا المحل شاب بعيد التصور شديد الحماسة وقد انتفع من هاتين الصفتين في ادارة اشغاله فارتقت من بداية حقيرة الى حالتها الحاضرة الكبيرة وهي تتناول اصنافا من الملبوسات النسائية اليدوية النفيسة يقبل على مشتراها اشهر مبتدعي الازياء

في سنة ١٩٠٤ جاء هذه البلاد من وطنه بيروت الشاب المواطن اغناتيف بدران وليس له من عدة الاختبار في الاشغال غير المام باصول التجارة ولم يكن شان سواد المهاجرين يعرف لغة البلاد · حتى اذا اقام في بلدة نروش من ولاية كنكتيكت لم يكن له مفر من دخول احد المعامل فاخذ يشتغل فيه كما يشتغل المهاجرون الجدد في الاشغال التي لا تقتضي خبرة · انما عمله هذا الاول في معمل حياكة الاقمشة نفعه كثيرا في الاشغال التي انصرف اليها اخيرا

وكل من يعرف هذا الشاب يلحظ فيه تصورا حادا وحماسة غير محدودة · لذلك كان دائما قلقا يطلب تحسين حالته ويجد من اكبر العوائق في سبيله جهل اللغة · فاخذ ينكب على الدرس بينما هو يشتغل لتحصيل معاشه · وبعد مرور نحو السنة عليه في نروش انتقل الى نيويرك ودخل احد معامل النجارة وابدى في هذا العمل الذي يالفه من المهارة والاجتهاد ما حمل صاحب المعمل على ترقيته وجعله مناظرا للعمال · ولما اصبحت الاشغال تحت ادارته اخذ يوءثر ابناء وطنه في الاستخدام على الاجانب وينفخ فيهم روح الحماسة في العمل فازدادت حاصلات المعمل اضعافا

وبعد ان اقام في هذه الحرفة زهاء سنتين رغب في الاستقلال على الرغم من ادراكه مصاعب الابتداء · فاخذ يقاول على صنع المطرزات ويوزع الاشغال على النساء والبنات في البيوت ويجني من ذلك بعض الفائدة · واخيرا ابتدا بعمل خاص في غرفة صغيرة في شارع وشنطون وكان يجد صعوبة كلية في تصريف بضائعه · ولكنه لثقته بنفسه ولاقتناعه بجودة بضائعه كان يذلل هذه الصعوبات تدريجا بنقله عدوى حماسته الى الشاري · وكانت بداية اشغاله على طبقة باعة الجزدان السوريين الذين يرجع اليهم الفضل الاول في قيام اشغال هذا الشاب المواطن في بدايتها مثلما يصح الوصف على سائر الاشغال السورية بوجه التعميم

اغناتيف بدران

واخيرا اخذ هذا الشاب يفرع اشغاله ويتفنن بمصنوعاته وتدفعه حدة التصور وشدة الحماسة الى الاقدام على صنع كثير من الاصناف الغريبة الجديدة · ومع ان كثيرا من هذه الاصناف لم تصادف اقبالا فان غيرها صادف مزيد الاقبال وهكذا كانت تتقدم اشغال هذا المواطن على التوالي واليه يعزى الفضل في الابتداء بصنع الملبوسات البيضاء بين السوريين

واخيرا خطرت له خاطرة كانت السبب في تحول اشغاله الى صورتها الحاضرة الممتازة · وهي ان بين الامريكيين طبقة تقدر قيمة الملبوسات النفيسة ولا ترضى عنها بديلا · فضلا عن ان هناك عددا كبيرا من المخازن الاختصاصية بهذه الاصناف · فلماذا لا يحصر عنايته بهذه الاشغال وبين هذه الطبقة من الناس ومن المخازن · وعملا بهذه الفكرة نقل اشغاله الى قرب ناحية بيع المفرق من الافنيو الخامس

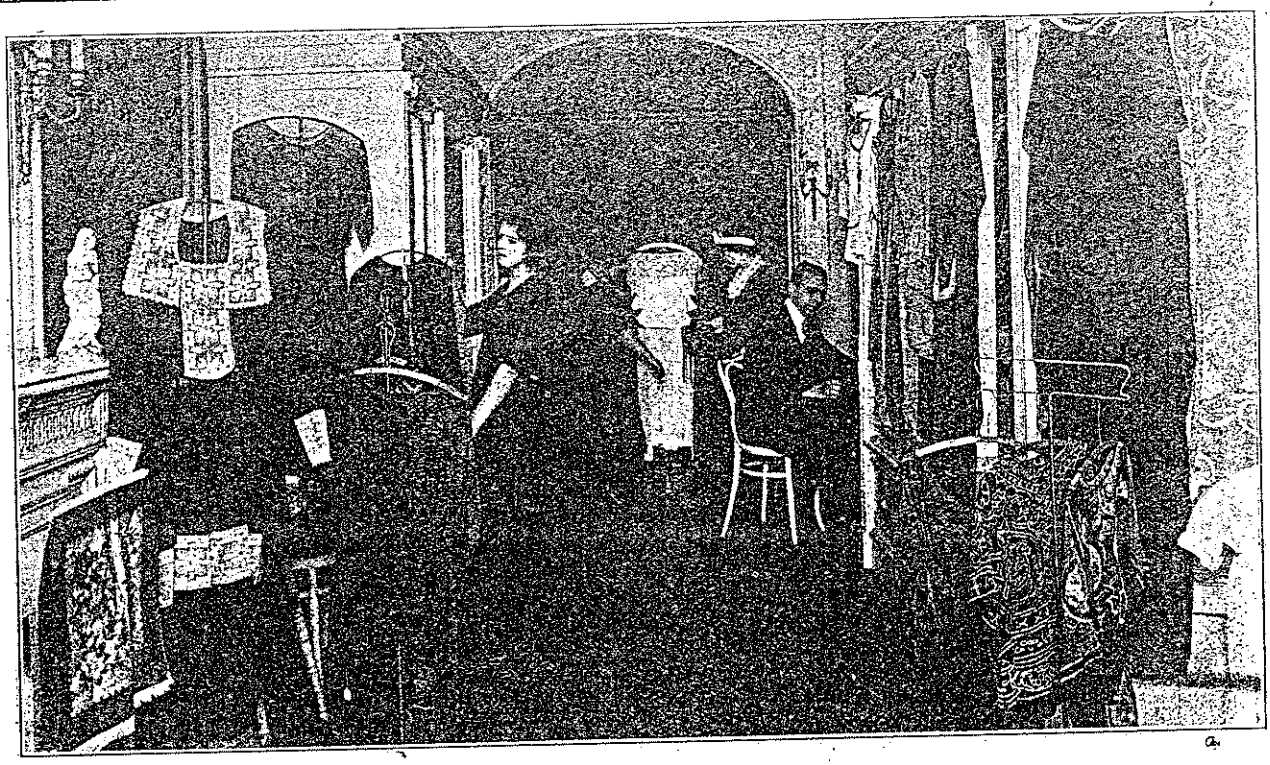

منظر عام لقاعة المعروضات في محل بدران اخوان المختص بالبضائع اليدوية النفيسة

وتجرد لصنع الملبوسات والمطرزات شغل اليد دون سواها فاخذت حلقة عملائه تتسع وتجارته تتقدم حتى كان من اهميتها اخيرا انه اشترى البناية الواقعة تحت رقم ٤٤ غربي الشارع الـ٥٥ واستخدم طبقا منها للتصليح ولقاعة المعروضات وافتتح في طبق اخر مدرسة لتعليم تطريز اليد والرسم والخياطة وخصص قسما لصنع البضاعة المعروفة «بالباتك» وهي رسم على القماش بمادة الشمع وصبغها الوانا بعد ذلك فتخرج على رسوم والوان غريبة في جمالها. وهذه البضاعة هي من الاختراعات الحديثة الشرقية الاصل وانصراف هذا المواطن الى صنعها دليل على حذقه وسهره على ترقية اشغاله

ولمحل بدران اخوان الذي موءسسه ورئيسه اغناتيف بدران عدا محل نيويرك معمل في نيوهافن كنكتيكت فيه زهاء خمس وعشرين عاملة متجردات لصنع الاشغال اليدوية علاوة على نحو ٥٠ عاملة تشتغلن في بيوتهن. وهذه البضائع تنفق بالجملة على المخازن وبالمفرق في محل نيويرك وفي محال مختلفة في المصايف والمشاتي لحساب صاحب المحل

فريق من العاملات في معمل محل بدران اخوان في نيوهافن كنكتيكت

ومما يذكر بالاعجاب عن حذق وهمة التاجر السوري المهاجر سرعة اقتباسه الاساليب الجديدة وبراعته في اعمال قل من يتصور ملائمتها لتنشئته واختباره. فمحل بدران اخوان مثلا يبيع كثيرا من بضائعه من المحل المعدود في مقدمة المحال المعتنية بوضع الازياء في امريكا وهو المعروف باسم مدام لوسيل او اللادي دوف غوردون. مع ان هناك كثيرين ممن ينفقون الاعمار في درس اصول الرسم والتفصيل والتطريز ولا يتوصلون الى مثل هذا

* * *

Arab American National Museum

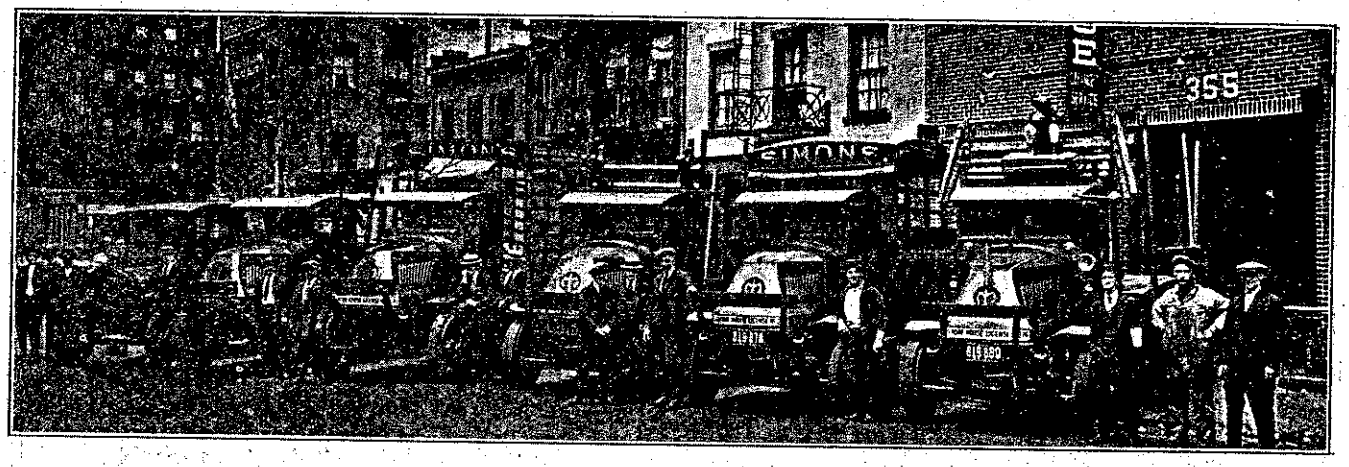

عدد من سيارات الشحن الضخمة خاصة شركة سمعان السورية للنقل والشحن

شركة سمعان للنقل والشحن

شركة نقل سورية كبرى اوجدها شاب سوري ارتقى الى مركزه الحاضر من الاهمية لمجرد فطنته واقدامه وذكائه
وقد كان يبدي مثل هذه الصفات عندما كان مستخدما عند الناس ولما استقل باشغاله انتفع من اختباره
السابق وبنى لنفسه مصلحة من ذوات الاهمية من نوعها

يتسنى المجال لتقدم الاشغال على قدر ما يكون الوسط الذي تنشأ فيه هذه الاشغال قابلا للنمو والتقدم. ومعلوم كم هي عليه البلاد الامريكية من عظم الاهمية وبالتالي كم هو مجال ارتقاء الاشغال فيها واسعا حتى ولو كانت من النوع الذي لا يدركه الكثيرون فيه هذه الخاصة بداهة

وبقطع النظر عن الاشغال التجارية والصناعية ففي الولايات المتحدة مصالح متناهية في الاهمية هي من لواحق ونتائج اهمية الاشغال الاخرى . ونذكر من ذلك مصالح النقل والشحن ومنها شركات الاكسبرس التي ليس من يجهل اهميتها

انما هناك نوع اخر من هذه المصالح تعنى بالاهتمام بحركة التجارة المحلية وتقوم اشغالها على نقل مشحونات التجار وحفظها في مستودعات والعناية بايصالها الى مراسي البواخر او في محطات الخطوط الحديدية عندما يحين وقت الشحن . وهي من هذا الوجه تختلف عن شركات الاكسبرس فلا تضارب الواحدة الاخرى. ومن شركات النقل المشار اليها شركات رصدت عليها رؤوس الاموال البالغة الملايين . ويكفينا شاهدا على اهمية هذا النوع من الاشغال ان المستر الفرد سمث حاكم ولاية نيويورك السابق قبل وظيفة رئيس لشركة من هذا النوع في مدينة نيويورك تفضيلا لها على كثير من الوظائف الادارية في مشاريع اخرى عرضت عليه

والذي يسرنا ذكره في هذا المقام ان السوريين في نيويورك لم يحرموا نصيبهم من هذا النوع من الاشغال فان بينهم كثيرين اصحاب بضع سيارات او عربات تجرها الخيل يتعاطون اشغال النقل. ولكن لهم ايضا شركة كبرى تزاحم الشركات الامريكية التي من نوعها ولا تقل عنها انتظاما في الادارة واتساعا في الحركة. والشركة المشار اليها هي المعروفة باسم «شركة سمعان للنقل والشحن» ولها تسع سيارات شحن كبيرة منها سبع يبلغ محمول الواحدة منها عشرين طنا اي اربعين الف بوند . علاوة على اربع عشرة عربة يجر الواحدة منها زوج من الخيل. ولها خمسة مستودعات وكل مستودع كناية عن بناية مؤلفة من خمسة او ستة اطباق. فضلا عن الاسطبلات للخيل والكاراج للسيارات

وصاحب هذه المصلحة الكبيرة في نيويرك — في المدينة التي يشتد فيها الزحام الى درجة انه ليس يقوى على الثبات فيها غير القوي — هو شاب سوري لا يتجاوز الثلاثين من العمر اسمه ميخائيل يوسف سمعان ومسقط راسه عيتنيت البقاع. ومع ان والديه جاءا به الى هذه البلاد وهو يدرج

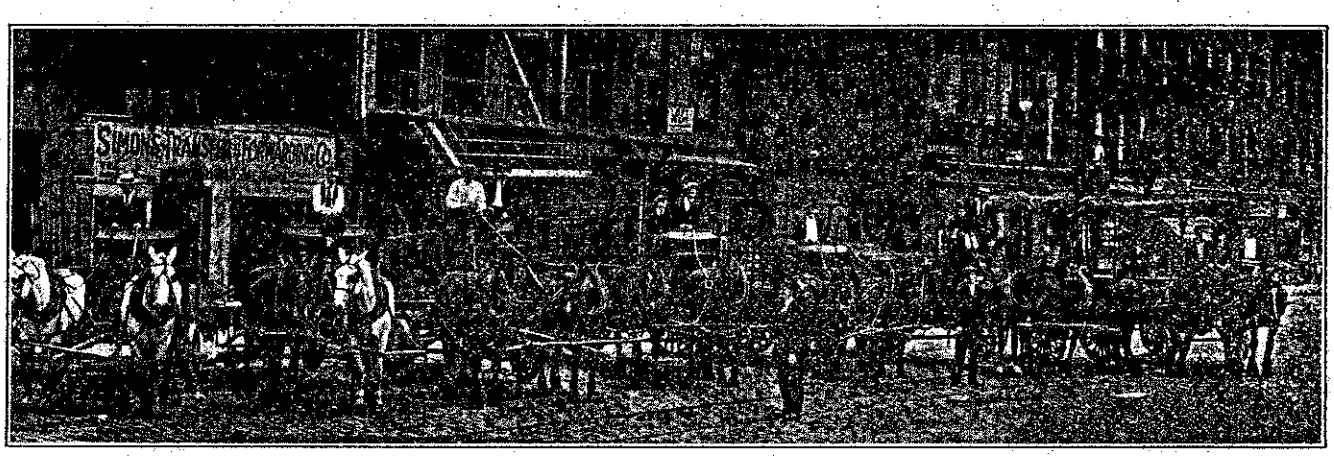

عدد من عربات الشحن التي تجرها الخيل خاصة شركة سمعان السورية للنقل والشحن

في الاقمطة لا يتجاوز الثالثة فهو يباهي بسوريته ويدافع عنها مع انه نشأ في وسط امريكي فلا يكاد يفرق عن الامريكيين. وقد بدأ حياته العملية كسائق عربة في مصلحة امريكية كبرى ولم تمض عليه بضع سنين حتى رأى فيه مستخدموه من الاجتهاد والمقدرة ما حملهم على ترقيته الى وظيفة مناظر او مدير على ستين رجلا ولكن نفسه كانت ابدا تطمعه بالاستقلال فترك وظيفته واشترى لنفسه عربة وزوجا من الخيل وبدأ يجاهد فعانى في البداية اشد الصعاب ولكنه كان يضايق على نفسه ليفرج مصلحته وعندما وسع اشغاله كثيرا ما كان في اخر الاسبوع يضطر الى استدانة بعض المال لدفع اجور الحوذية الذين في خدمته. حتى جاءت سنو الحرب وعقد اتفاقا مع الحكومة الانكليزية على تولي قسم من مشحوناتها واذ ذاك ما اقتنى العربات والسيارات العديدة واستاجر او اشترى المستودعات حتى ان احدى هذه البنايات الواقعة تحت رقم ١٤١ شارع سيدر اشتراها منه منذ بضعة شهور مصرف كارنتي تروست لتوسيع احدى بناياته الملاصقة لها. وقد كانت قيمة المشحونات التي تتداولها شركته في سنة ١٩١٧ لا تقل عن مليون دولار كل شهر

مكتب شركة سمعان

ولما اخذت تفيض ارباحه من هذا المورد اخذ يستثمرها في مشاريع اخرى اهمها مشترى الاراضي وبناء البيوت في الجزيرة المعروفة بستاتن ايلند وهي قسم من مدينة نيويرك العظمى وقد رأى حسن المستقبل المامول لهذه الجزيرة بالفطنة المعهودة في السوري النبيه ولهذا المواطن مداخلات سياسية قوية في الدوائر السياسية المحلية حتى انه انتخب عضو المجلس ادارة الحزب الديموقراطي في المقاطعة التي يقطنها وله منزلة معتبرة بين معارفه وجيرانه الذين انتخبوه رئيسا لجمعية اصحاب الاملاك في بلدة كرانت ستي التي هي الثانية بالكبر في كل الجزيرة

ومع ان اشغال هذا المواطن مقتصرة الان على الامريكيين فهو مكين التمسك بسوريته شديد المدافعة عنها على ما قدمناه وهذا مع ما اوصله اليه اجتهاده من النجاح يذكر له بمزيد الثناء والاستحسان

* * *

Arab American National Museum

اشغال يوسف منضور

متمول سوري خاض عباب الاشغال في امريكا على الطريقة الامريكية فتوقع له من النجاح ما ينتظر مثله لكل مستقيم نشيط فصار رئيس مصارف وموءلف شركات مساهمة ومدير خزينة مدينة كبرى عدا عن ادراكه مركز نفوذ وزعامة في السياسة المحلية وذلك على الرغم من مهاجرته الى هذه البلاد فتى فقيرا وكون اول اختباره في الاشغال التجول للبيع

بين التجول لبيع السلع وبين رئاسة مصرف وتاليف الشركات الصناعية والتجارية الكبيرة فرق شاسع ومجال بعيد يصعب تصور وجود صلة بينهما غير ان الارتقاء من احدى هذه الحالات الى الاخرى يبرهن عن مقدار الفرص الموفورة في هذه البلاد والسانحة لكل مستقيم نشيط مجتهد يعرف كيف يقبض على الفرصة عندما تعرض له او يكون ذا حذق كاف ليوجد الفرصة وينتفع منها

وقد كانت هذه حال احد ابناء الوطن في الولايات المتحدة الذي دخل البلاد فتى مهاجرا فقيرا لا يتجاوز الخامسة عشرة من العمر وليس له من راس المال او الاختبار في الاشغال ما يستحق ان يشرف بالذكر ولكن تعاقب الايام بما رافقها من الحوادث الغريبة لهذا الفتى المهاجر توءلف رواية من اغرب الروايات التي يمكن الاستشهاد بها على التطور الغريب والارتقاء العجيب في حياة المهاجر السوري في الولايات المتحدة عموما

والفتى المهاجر الذي نشير اليه هو الرجل المثري الذي نعرفه اليوم بيوسف منضور والذي نحن ذاكرون هنا ما اتصل بنا من تاريخ جهاده ونجاحه في هذه البلاد حتى يكون مثله عبرى وقدوة لطالبي النجاح وناشدي الثروة والمنزلة

يوسف منضور

بلغ يوسف منضور نيويرك قادما من مسقط راسه بسكنتا لبنان وهو بعد فتى لا يتجاوز الخامسة عشرة ولا يملك من المال غير ما يوصله الى حيث بعض انسبائه في مدينة شنندواه بنسلفانيا وحال وصوله الى هناك عمل ما كان يعمله معظم المهاجرين الجدد في ذلك العهد اي التجول للبيع غير انه بتقدمه في معرفة اللغة وفهم احوال البلاد صارت تنفتح عيناه على الفرص ويرى اتساع المجال المنبسط امامه ففتح اولا مكانا لبيع التبغ ثم توسع ففتح محلا لبيع الاقمشة والخرداوات بالجملة ولكنه كان لا يزال في طور الدرس والامتحان حتى اذا كانت سنة ١٨٩٣ حول كل اهتمامه الى تجارة التبغ بالجملة ففتح معملا لصنع السيكار كان منذ البداية يستخدم فيه زهاء خمسين عاملا وكان خلال هذه المدة يتعرف الى الناس ويكتسب بينهم منزلة ونفوذا بفضل علو همته وحسن محضره فساعده ذلك على النجاح في سائر الاشغال الكبيرة التي باشرها فيما بعد

ولو جئنا نورد بالتفصيل جميع التدابير التي رافقت كل مشروع من المشاريع التي انشاها هذا المواطن والعنا الذي لقيه في اختطاط هذه الطريق الجديدة لنفسه وهو

غريب لاستغرق ذلك فسحة كبيرة . لذلك نكتفي بذكر اهم هذه المشاريع التي يمكن الاستدلال من نجاحها على عظم مقدرة هذا المواطن ووفرة ثقته بنفسه وثقة الناس به .

فقد كان اول مشاريعه الكبيرة انشاؤه المصرف الوطني المعروف باسم «ستزن ناشيونال بنك» في شنندواه براس مال اولي قدره ١٢٥،٠٠٠ دولار وذلك في سنة ١٩٠٧ وقد انتخب رئيس مجلس المدراء لهذا المصرف وكان ولا يزال اكبر المساهمين فيه . وانك تجد اليوم اوراقا مالية كثيرة متداولة بين الايدي مما اصدرها ذلك المصرف ممضاة باسمه منها اوراق بخمسة وعشرة دولارات وبعشرين دولارا ثم انه انشا شركة لصنع الحمة (البيرا) براس مال مائة الف دولار انتخب رئيسا عاما لها . والف شركة في هازلتون بنسلفانيا لصنع الجلد براس مال ٤٠٠٠٠ دولار انتخب لها رئيسا ومديرا عاما ايضا . ومن اهم وانفع مشاريعه ذاك الذي يرسم خططه ويعد له التدابير اللازمة في هذا الوقت وهو انشاء مصرف وطني (ناشيونال بنك) سوري براس مال قد يبلغ النصف مليون دولار في مدينة نيويرك تكون غالبية الاسهم فيه للسوريين وبالتالي اكثرية الاعضاء في مجلس المدراء منهم . وهو قد اشترى لهذا الغرض بناية في شارع وشنطون هي الان تحت التصليح وينتظر ان تجيء عند اتمامها من اجمل ابنية الناحية وقاعة الصرافة فيها من اتمها جمالا واتقانا

* * *

ومما يذكر بالثناء عن هذا المواطن اعتباره نفسه جزءا من المحيط الذي وجد فيه وتدخله بالسياسة المحلية بصورة نافعة لنفسه ولابناء وطنه وقد انتخب رئيسا لفرع الحزب الناهض في مدينة شنندواه بنسلفانيا الذي اسسه روزفلت وكان في وقت اخر وكيل الخزينة وامين المال في حكومة مدينة شنندواه لمدة ست سنين ويفضل توليه هذه الوظيفة كان عليه ان يمضي السندات والتعهدات التي تصدرها الحكومة لعقد القروض البلدية لذلك تجد اسمه على سندات المدينة الصادرة في عهده والتي منها ما لا يستهلك قبل خمسين سنة

وعلى الجملة فقد كانت حياة هذا المواطن في المهجر سلسلة جهاد مشكور جرى فيه على الطرائق المنظمة الحديثة فجنى اشهى ثمار النجاح بل هو حتى الان لم يستفرغ جهده وقد تكون المشاريع الجديدة الكبيرة التي باشرها مما يزيد في رفع شانه وتخليد ذكره لنفع نفسه وفخر ابناء وطنه

* * *

محل يعقوب اوساني وشركاه

اول واكبر محل سوري اشتغل بصنع السكاير التركية في الولايات المتحدة فرافق هذه الصناعة في تطورها وتقدمها العجيب منذ البداية وله تاريخ تجاري يحتوي على كثير من الغرابة المرافقة لنشاة ونمو المؤسسات التجارية في المهاجر الامريكية

مع كون سواد المهاجرين الى امريكا من متكلمي اللغة العربية هم من السوريين فان بينهم افرادا من ابناء هذه اللغة اختلطوا بهم واصبحوا منهم وكان منهم عدد ادركوا نجاحا وافرا في عالم الاشغال فساعدوا بذلك على رفع شان الاسم السوري وزادوا في بيان اهمية المرافق التجارية والصناعية السورية في امريكا كمجموع فوجب ان يذكر لهم فضلهم ويولوا حقهم في البيان التاريخي الذي نذكر فيه المنشات التجارية والصناعية التي ضيرت المرافق السورية في المهاجر الامريكية على ما هي عليه من الاهمية

ومن هولاء الاخوان الذين اصبحوا اعضاء عاملين جوهريين في جسم الجالية السورية في نيويرك ابناء اسرة اوساني البغدادية الاصل الذين ادركوا شهرة في مرافق كثيرة من الاعمال كتجارة المصنوعات الشرقية وتجارة العقار ولكن اخص ما اشتهروا به صنع السكاير التركية التي كانوا من اول من صنعها في هذه البلاد وكانت لهم اليد الطولى في اتقانها وترويجها حتى تنبه كبار المتمولين الامريكيين لعظم الارباح الحاصلة منها ولسعة مجال قابليتها للترقية فتناولوها بايد قوية وصيروها على حالتها الحاضرة من الخطورة

وقد كان اول المهاجرين من عائلة اوساني الى هذه البلاد

Arab American National Museum

رسم معمل سكاير اوساني وفي الصدر الى يسار الرسم تظهر آلة فرم التبغ في حين ان الة اللف ظاهرة في المؤخرة

يوسف ويعقوب اوساني موءسسا معمل السكاير التركية الذي لا يزال معروفا باسم الاخير والذي هو اول واكبر معمل من نوعه انشاه ابناء اللغة العربية في هذه البلاد

وقد كانت مهاجرتهما الى هذه البلاد موافقة لافتتاح معرض شيكاغو سنة ١٨٩٣ فكان يوسف مديرا لنباية القسم العجمي والمرحوم يعقوب متوليا ادارة القسم الشرقي وجلبا كثيرا من المصنوعات الشرقية النفيسة التي صارت فيما بعد اساسا لفرع كبير من الاشغال السورية

وفي ختام المعرض قدم الشقيقان الى نيويورك حيث انشاا محلا تجاريا لاستجلاب البضائع الشرقية وخصوصا في الوقت نفسه بعض عنايتهما بصنع السكاير التركية. ولما كانت هذه الصناعة في بدايتها اذ ذاك فقد لاقيا صعوبات كثيرة في ترويجها وكان من طرائق اعلانها جعل طاولة لف السكاير وعليها رجل بالثياب الشرقية في مكان يطل على الشارع لاستلفات انظار المارة. اذ لم يكن للامريكيين حتى ذلك الوقت علم بطريقة صنع السكاير التركية او بينهم اقبال عليها . ولكنهم عندما كانوا يجربونها مدفوعين برغبة الاكتشاف وعامل الاستغراب كانوا يختبرون فيها افضلية كبرى على السكاير الوطنية المحشوة بمواد تحترق كاللفائف التركية ولكنها خالية من النكهة الغريبة الموصوفة بها هذه

وعلى هذا النحو كان يتولد الاقبال المستمر على هذه اللفائف اللذيذة الوارد تبغها من بلاد الشرق والمحتوية على شيء كثير من وسائل الكيف التي يتصور الغربيون وجودها في الاشيا الشرقية ولا يعرفون حقيقتها

ثم انصرف يوسف الى تجارة الاملاك فكان نجاحه فيها مشهودا وشاد بنايتين للسكن تسعان ٦٠ عائلة مقابل حديقة سنترال بارك من الطراز الاخير وعلى اتم المعدات. اما يعقوب فانقطع الى صنع اللفائف فصنع منها اصنافا اطلق عليها اسماء شرقية مختلفة كالملوكي والزهرة وغير ذلك وصنع لها علبا متقنة من الكرتون غشاها باوراق مطبوعة باسمه وماركته مع بعض رسوم ورموز شرقية جاءت غاية في الذوق . غير ان جل الاعتناء كان باتقان خلط وتطبيق التبغ لانه ياتي على انواع متعددة ولكل نوع طعم ونكهة مختلفة وما البراعة الا بحسن تطبيق هذه الانواع المختلفة واستعمال الكمية الموافقة من كل نوع . وقد برع اوساني بهذه الصناعة فصادفت سكايره رواجا وافرا بين السوريين والامريكيين معا حتى جاءت اوقات تعذر عليه فيها الحصول على العدد الكافي من لفافي السكاير وكانت قد اخترعت الة للف فاقتنى واحدة منها وصارت حاصلات معمله تعد بعشرات الوف السكاير كل يوم

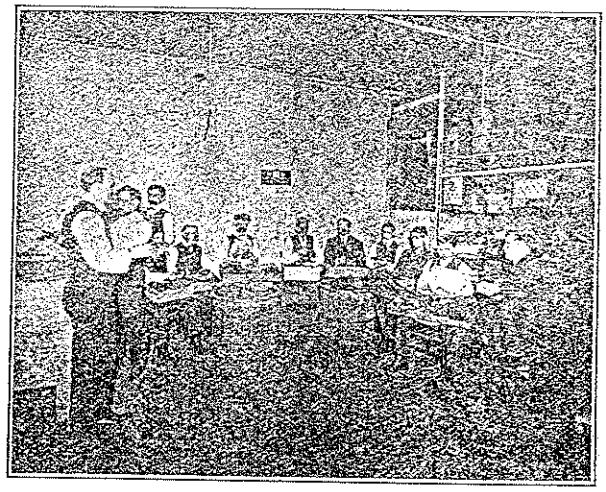

العمال يوضبون التبغ في معمل السكاير الاوسانية

وفي تلك الاثناء اقبل من الوطن اخوه الاصغر جان وهو فتى لا يتجاوز اذ ذاك السادسة عشرة فدخل المدرسة حيث بقي ثلاث سنين اتم فيها دروسه بالانكليزية وعند انتهائه دخل في شركة اخيه في سنة ١٩٠٠ وابدى من الحذق والاجتهاد ما جعل اخاه يامل له مستقبلا بادرا ويأتمنه على كثير من المهمات الصعبة . حتى انه بعد ذلك بسنة شهد معرض بفلو حيث تولى ادارة معروضات المعمل فابدى من حسن الذوق في الترتيب والمهارة في الادارة والمقدرة على بيان افضلية السكاير الاوسانية ما حمل المحكمين على انالتها المداليا الذهبية والجائزة الاولى . وانك ترى على صناديق سكاير اوساني منذ ذلك الوقت رسم المداليات كشهادة ناطقة مؤيدة على ذكاء ونشاط المهاجرين السوريين ومن امتزج بهم من اخوانهم ابناء اللغة العربية

وقد انتقل بعقوب اوساني مؤسس هذا المحل الفريد بين السوريين في نيويرك الى رحمة ربه في سنة ١٩٠٣ فوقعت اعباء الادارة كلها عندئذ على كتفي اخيه جان وهو لا يزال في طور الشباب غير انه برهن عن كفاءته لتولي هذه المسؤولية الخطيرة ليس فقط بمحافظته على سلامة المشروع كما ورثه من اخيه بل باحداث تحسينات وزيادات كثيرة جعلت تقدم المعمل مطردا حتى انه على الرغم من توالي السنين عليه وقيام وسقوط معامل كثيرة على جوانبه لا يزال هو ثابتا قويا بل على نشاط متجدد مع مرور الايام حتى اننا نحده على الرغم من شدة المزاحمات وتاليف الشركات الامريكية القوية البالغة رؤوس اموالها مئات الملايين لم تتزعزع اسسه او تهن عزيمة صاحبه مع ان معامل اخرى كثيرة سوريةوامريكية جرفها التيار ودخلت في حكم الماضي

وبالنظر الى كون هذا المعمل هو الاول من نوعه بين السوريين في نيويرك والى انه لا يزال الوحيد الثابت في هذا الفرع من الاشغال فقد اصبح من الاثار الفريدة التي يوليها تقادم العهد شيئا من الميزة في مجموعنا التجاري ويدل في الوقت نفسه على عظم تنوع الاشغال التي اقدم عليها السوريون في المهاجر وادركوا فيها نجاحا وامتيازا

تعبئة السكاير في الصناديق في معمل اوساني

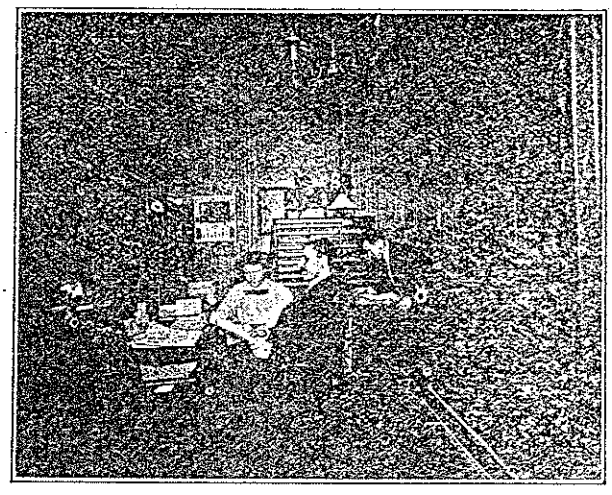

جان اوساني في مكتبه .

Arab American National Museum

شركة معلوف الفونغرافية

شاب سوري مهاجر نبغ بفن الموسيقي حتى اصبحت لـه موءلفات فيه بينها نشيد وطني امريكي استحسنه واجاز تعليمه في المدارس العمومية مجلس المعارف في ولايـة نيويرك وسواها ـ وهو الان رئيس شركة فونغرافية تصنع صواني الاغاني العربية طبقا لقواعد الفن الحديثة فتصادف اقبالا وافرا عليها من السوريين المهاجرين ومن الوطنيين معا

يمكن ان يقال عن الاستاذ الموسيقي اسكندر معلوف انه «نبي نال اكراما بين امته» فانه اذا ذكرت الموسيقي لا يشار اليه الا بالاعجاب وترى الناشئة السورية في نيويورك تفتخر به وتذكر له جميل تعليمها فن الموسيقي بل انك لا تكاد تدخل بيتا سوريا فيه بيانو الا وتجد قطعا موسيقية للاستاذ معلوف او ان الاستاذ هو معلم ابناء وبنات ذلك البيت الفن الموسيقي

بل نحن قد وقفنا على عدد من مجلة اختصاصية بفـن الموسيقى تصدر في نيويرك وتدعى «ميوزك فيلد» مصدرة برسم هذا المواطن البارع الذي دعته المجلة ترجمان الموسيقي الشرقية لاهل الغرب واشارت في مقالتها الافتتاحية عنه الى براعته في هذا الفن وتاليفة العديدة فيه وكون اشهر رجال الفن في هذه البلاد شهدوا له فيه ببراعة نادرة لا يمكن ان تتوفر الا في من كان مثله ابن الفطرة الشرقية والتنشئة الغربية

بل ان ما يستحق الذكر فوق كل ما تقدم من اثار هذا المواطن النفيسة في فن الموسيقي تاليفه لحنا وطنيا امريكيا دعاه «من اجلك يا امريكا» عرضه على المراكز الايجابية فلقي منها خير استحسان وارتياح لانه جامع بين جمـال التوقيع وسهولة الغناء وليس كالنشيد المعروف اصطلاحا بالنشيد الوطني يقتضي عناء وافرا في توقيعه حتى لقد مضت كل هذه السنين الطوال على نظمه دون ان يقبل رسميا من الحكومة ويولى صفة الامتياز والتفرد. وانك اذا تناولت اليوم كتب تعليم الموسيقي في اي المـدارس الابتدائيـة العمومية في ولاية نيويرك اونيو جرزي او سواهما وجدت فيها في مركز وجيه نشيد الاستاذ معلوف بين اشهر الاناشيد الوطنية وقل من يعرف اصل موءلف النشيد وانه سوري حتى من اولاد السوريين الا اذا اخبرهم والدوهم بذلك

وبالنظر الى تفرده في الفن الخاص الذي جمع فيه بين حلاوة وعذوبة الموسيقي الشرقية وبين الاصول والقواعد الموسيقية الغربية سالته شركة فكتور الفونغرافية المشهورة ان يصنع لها بعض الصواني ولو ان الشركة غير متاكدة سو فن هذا الموسيقي السوري لما جعلته من عداد المنشدين والموسيقيين المشهورين الذين تسعى لسحب اصواتهم والحانهم

فكيف توصل هذا المواطن السوري الى احراز هذه المنزلة الرفيعة في مثل هذا المحيط الراقي الذي لا يتسنى فيه الظهور الا لكل صاحب موهبة ومقدرة حقيقيتين؟ انه توصل الى ذلك لاجتماع صفتين فيه اولاهما توفر الموهبة الحقيقية وثانيتهما وجود الاجتهاد الصحيح. ولا بد من ان ترافق احدى هاتين الصفتين الاخرى لتحقيق النجاح لان المرء قد يكون ذا موهبة فيضيعها بكسله واهماله ثم هو قد يكون مجتهدا انما ينقصه الاستعداد الطبيعي الذي يوءهله لادراك النجاح التام

فاسكندر معلوف هو سليل الاسرة المعلوفية الكبرى في زحلة وتروى عن تعلقه بفن الموسيقي وعلى الاخص قرع البيانو منه حادثة غريبة هي انه كانت لوالده علاقة مالية باحد التجار الفرنسويين في سوريا فاشترى منه بيانو جعلها في البيت وكان اسكندر وهو اذ ذاك طفل بالكد درج من الاقمطة يلذ له اللعب على البيانو فيضرب مفاتيحها الواحد بعد الاخر وتطربه الانغام الصادرة منها فربيت فيه بهذه الواسطة العاطفة الموسيقية وقيل انه وقع لحنا منظوما وهو بعد ابن ثلاث سنين

ولما هاجر ابواه الى الولايات المتحدة كان اسكندر ابن نحو خمس عشرة سنة الا ان ولعه بالبيانو حمله على التردد على بعض الاساتذة المشهورين بهذا الفن في مدينة نيويرك فبرع فيه اي براعة وكان من امره فيه بعض ما ذكرنا في صدر هذا الكلام

ولكن الداعي الى ذكره بين ارباب المتاجر والاشغال في تاريخ التجارة السورية هو تاليفه في هذه الاونة شركة لصنع صواني الفونغراف تعرف باسمه وينتظر ان يكون لها شان خطير وذكر بعيد في عالم الموسيقى العربي ولا سيما

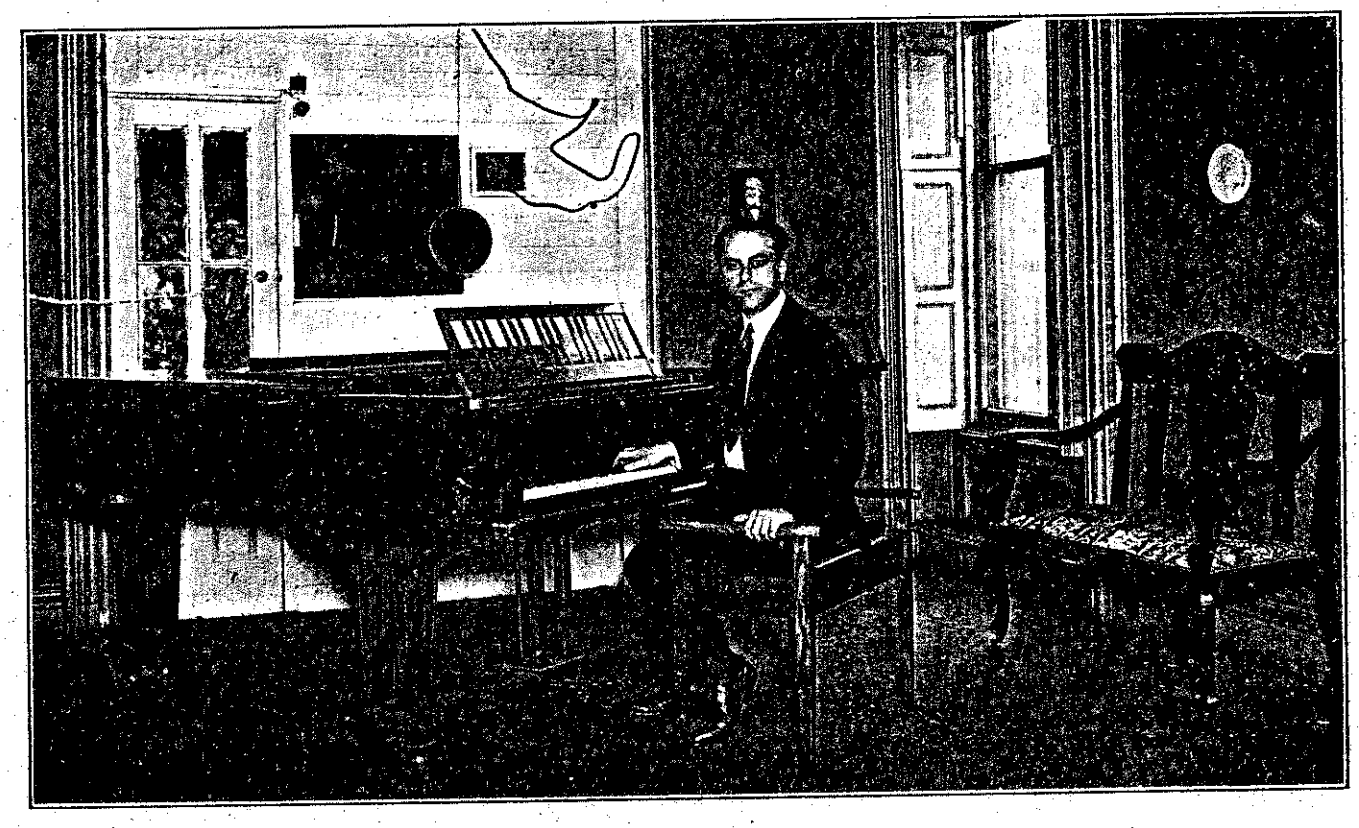

الاستاذ الموسيقي اسكندر المعلوف جالس الى البيانو امام البوق الخاص المتصل بسلك كهربائي بالالة التي تسجل الصوت

بعد ان عرفنا ما لهذا المواطن من البراعة في هذا الفن و كونه يطبق الان معرفته على حاجات العصر وعلى اذواق ابناء الوطن المهاجرين الذين اكتسبوا من المحيط الامريكي شعورا بجمال الاصول الموسيقية الغربية فهو يرضي هذا الشعور بمراعاة الاصول مع المحافظة على الرقة الطبيعية في الانغام الشرقية

واذا كانت لهذا المواطن مقدرة في الادارة توازي ما له من البراعة في الفن فبشر الشركة بنجاح خطير من الوجهتين الادبية والمادية . ولا سبيل الى الشك في مقدرته الادارية لان النجاح المطرد الذي رافق اشغال الشركة منذ تاسيسها يبرهن عن توفر هذه الصفة فيه

و قد كان تاليف المواطن لهذه الشركة مبنيا على نظريتين — اولاهما تمسك السوريين بتذكارات وطنهم القديم وبكل ما يولد في نفوسهم حنينا اليه . وثانيتهما افضلية استقدام مشاهير المغنين الى هذه البلاد بدلا من الاعتماد على ما يرد من الخارج ثم توفر الوسائل في هذه البلاد لصنع الصواني بالدقة والجودة المشهورتين عن صناعة هذه البلاد . وقد انشا المواطن المشار اليه معملا خاصا لصنع الصواني جهزه باحدث الالات سواء لاخذ الصوت او لسكب القوالب عن القالب الاصلي بنوع ان كل نبرة او همسة في الصوت تصدر من المغني يمكن ترددها بمنتهى الدقة

وقد عانى الاستاذ معلوف كثيرا من الصعوبة في التوصل الى هذا الاتقان ولكنه شان العارف بالاصول العامل بالتدقيق تغلب على الصعوبات فصارت الصواني التي يصنعها سالمة من كل شائبة وتفضل بكثير تلك التي صنعها في الاول

وهكذا ترى ان السوريين في المهاجر لم يدعوا بابا من ابواب التجارة والاشغال الا طرقوه حتى هذا الباب الذي لم يكن ليخطر لاحد في بال انهم يعالجونه وهي شهادة بهمة السوري واقدامه لا تخفى اهميتها ولا بد ان الاستاذ معلوف سيدرك في هذا السبيل الذي تفرد بطرقه مثل النجاح الذي ادركه مواطنوه في سائر سبل الكسب المالوفة التي طرقوها فيضيف بذلك فصلا جديدا الى الاشغال العجيبة بتنوعها التي يتكون من مجموعها تاريخ التجارة السورية المجيد في المهاجر

* * *

Arab American National Museum

محل ابرهيم حتي وشركاه

شاب مكنه تهذيبه وحسن تعليله للامور من الانصراف الى نوع من الاشغال هو في غاية الاهمية والضرورة لابناء وطنه المسافرين فخدمهم بذلك خدمة جلى عادت عليه بالمنافع الشخصية الجزيلة ايضا لانه صدقهم في المعاملة وبنى اشغاله على قواعد نظامية مدروسة لا بد لمن يتبعها من ادراك النجاح

على الرغم من شدة الحاجة التي يشعر بها المهاجرون السوريون الى السماسرة سواء في ذهابهم ام في ايابهم الى ومن البلاد الامريكية فان لفظة سمسار اصبحت ممقوتة منهم الى حد انهم حال استماعها يخافون ويتحذرون ويحسبون كل كلمة تقال لهم عن سمسار مناقضة للحقيقة على خط مستقيم وقد تولدت هذه الحالة الفكرية بينهم من كونهم وهم مهاجرون سذج لا يعرفون شيئا عن احوال العالم ومعاملات السفر يقعون في ايدي سماسرة في مرسيليا لا شك في ان بعضهم من طبيعة الذئاب ولكن الابرياء في مثل هذه الاحوال يؤخذون بجريرة المذنبين فبدلا من ان تذكر لافرادمنهم بعض الحسنات يوصمون جميعا بالسيئات ومن ذلك منشا السمعة الرديئة المالئة فضاء الاوطان بشان السماسرة

ابرهيم حتي

اما السماسرة فهم وكلاء التسفير او الوسطاء في اجراء المعاملات المعقدة المصاحبة الاسفار في هذه الايام . فهم في وظيفتهم مثل سماسرة البورصة في مشترى الاسهم المالية والسماسرة التجاريين في مشترى البضاعة . ولكن بما ان المشتغلين بالبورصة والتجار الذين يطلبون مشترى البضائع طبقة واحدة والمهاجرين البسطاء المسافرين الى ارض جديدة مجهولة طبقة اخرى فقد علقت بسماسرة السفر سمعة رديئة من مجرد طبيعة الظروف الخاصة التي وجدوا فيها

ولمجرد وجود هذه الحالة كان كل منصرف الى هذه الاشغال مهما يكن مبلغ معاملاته من الدقة وادارته من الترتيب وسلوكه من الاستقامة يجد منتهى الصعوبة في مقاومة تيار الفكر العام واكتساب سمعة حسنة لنفسه ولاشغاله . الافي هذه السنين المتاخرة وفي احوال خوصية تميز المسافرين السوريين عن طبقة المهاجرين على ما الفنا ان نعرفهم

اما الحالة الخصوصية التي تشفع بالسماسرة وبالاخص الموجودين منهم في نيويرك فهي ان معاملاتهم واقعة مع اناس تغربوا وتهذبوا في المهجر فاصبحوا يرون الامور على نور الحقيقة والفهم فلا ينكرون على العميل حقه ولا يجهلون في الوقت نفسه ماهية حقهم . وقد كثر هولاء المسافرون العائدون الى الوطن وبالاخص بعد الهدنة ونشات عن ذلك حاجة واسعة الى ايجاد وكالات تسفير تعتني بهم وكان المنصرفون الى انشاء هذه الوكالات على الغالب من طبقة من يقدر الاستقامة قدرها في ادارة الاشغال فلا يضحي سلامة المستقبل طمعا بمنفعة وقتية فافتدى بذلك الشيء الكثير من حسن سمعة السماسرة

وقد اصبحت هذه الاشغال بين الجالية السورية في نيويرك وعلى الاخص في البضع سنين المتاخرة ذات اهمية لا تنكر حتى لا يجوز الاغفال عن ذكرها في تصوير حالة تطور وارتقاء المهاجرين في ميادين الاعمال للفائدة التاريخية بل ان ادارة هذه الاشغال اصبحت متمشية على قاعدة نظامية تميزها وترفعها عن طبقة مكاتب السمسرة على ما كانت معروفة في الزمان القديم

ومن خير الامثلة التي يمكن الاستشهاد بها عن هذا الفرع من الاشغال السورية في حالتها الحاضرة المكتب الذي اسسه ابرهيم حتي والمعروف باسم «ابرهيم حتي وشركاه»

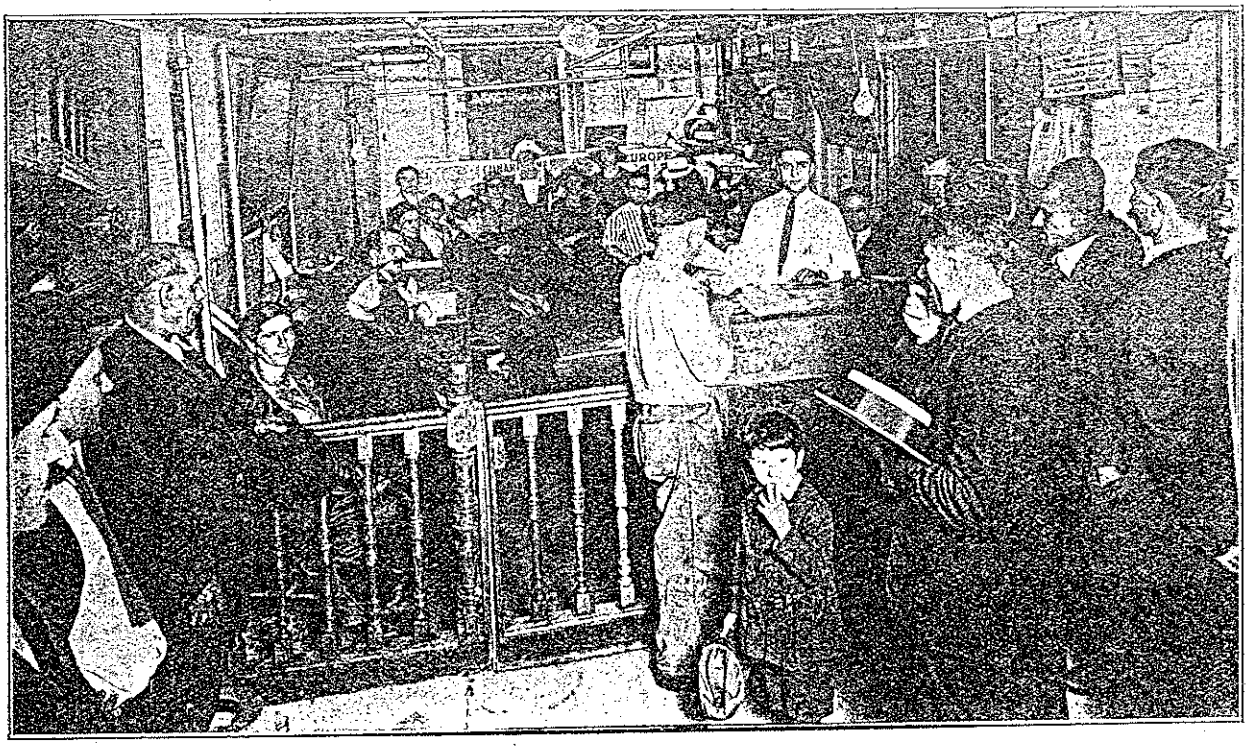

منظر مكتب ادارة التسفير المعروفة باسم ابرهيم حتي وشركائه وقد اجتمع فيه المسافرون لقطع اجوزة السفر

كان هذا الشاب المواطن في سنة ١٩١٨ منصرفا الى اشغال تجارية تجعله كثير التداخل مع ابناء وطنه وكانوا بالنظر الى غيرته الوطنية وحسن استعداده يكلفونه بقضاء معاملات السفر التي تلزمهم فيقضيها مجانا . حتى اذا راى ان قضاء هذه الاغراض يستغرق الكثير من وقته وان سيل المسافرين مطرد التدفق قرر ان يفتح مكتبا رسميا لوكالات البواخر والتسفير ورصد عليه كل وقته دون ان ينقطع عن القيام بكثير من الخدم للمسافرين عن يده مجانا مثل البحث عن الشرائع المتعلقة بالمهاجرة والتخليص على تذاكر السفر وغير ذلك . بل هو قد جعل مهنته الجديدة درسا واجبا اتقانه فكان ولا يزال يجتهد في تفهم اصول وطرائق جميع المعاملات والشرائع المتعلقة بالسفر حتى انه يعد من افراد السوريين المعدودين الذين يفهمون حق الفهم شريعة المهاجرة الجديدة المتعلقة بدخول ٣ بالمائة فقط من مجموع عدد كل عنصر على ما كان في سنة ١٩١٠

ومن ادلة انتباه هذا الشاب وسهره على اشغاله ورغبته في خدمة ابناء وطنه وتسهيل الامور عليهم انه كان اول من سعى ونجح في تسيير بواخر الركاب راسا بين نيويورك وبيروت ومع انه تعب كثيرا في البداية باقناع شركة البواخر باتخاذ هذه الخطوة فقد رات الشركة بعد ذلك من فائدتها وادميتها ما حملها على شكره على هذه الفكرة الحسنة . وليس من ينكر ما في تحقيق هذه الفكرة من النفع العميم للسوريين الراجعين الى الاوطان اذ تغنيهم عن التغيير والتنقل على الطريق والتعرض للاخطار والمزعجات فضلا عن انها تقصر عليهم مدة السفر وبالتالي تعجل عليهم الوصول الى الوطن

ومن الطرائق التي اتبعها هذا المواطن في اشغاله انه يعنى باستقبال الركاب وتسفيرهم على صورة تخفف عنهم كل عناء حتى بما يتعلق بنقل حوائجهم من محطات السكك الحديدية الى محطات البواخر بل هو يهتم بنقلهم جميعا تحت عناية مستخدمين امناء على سياراته الخصوصية الى محطة البواخر ولا يحملهم من النفقات الا كل ما يجوز شرعا واصطلاحا في هذه الظروف

وبفضل حسن نظر هذا الشاب المواطن الى المستقبل واجتهاده في اكتساب سمعة طيبة يوطد بواسطتها دعائم اشغاله اصبح الاقبال عليه يزداد يوما عن يوم وهو بدلا من ان يهمل او يسترخي يزداد نشاطا في العمل واندفاعا في الخطة المستقيمة التي بدا بها

Arab American National Museum

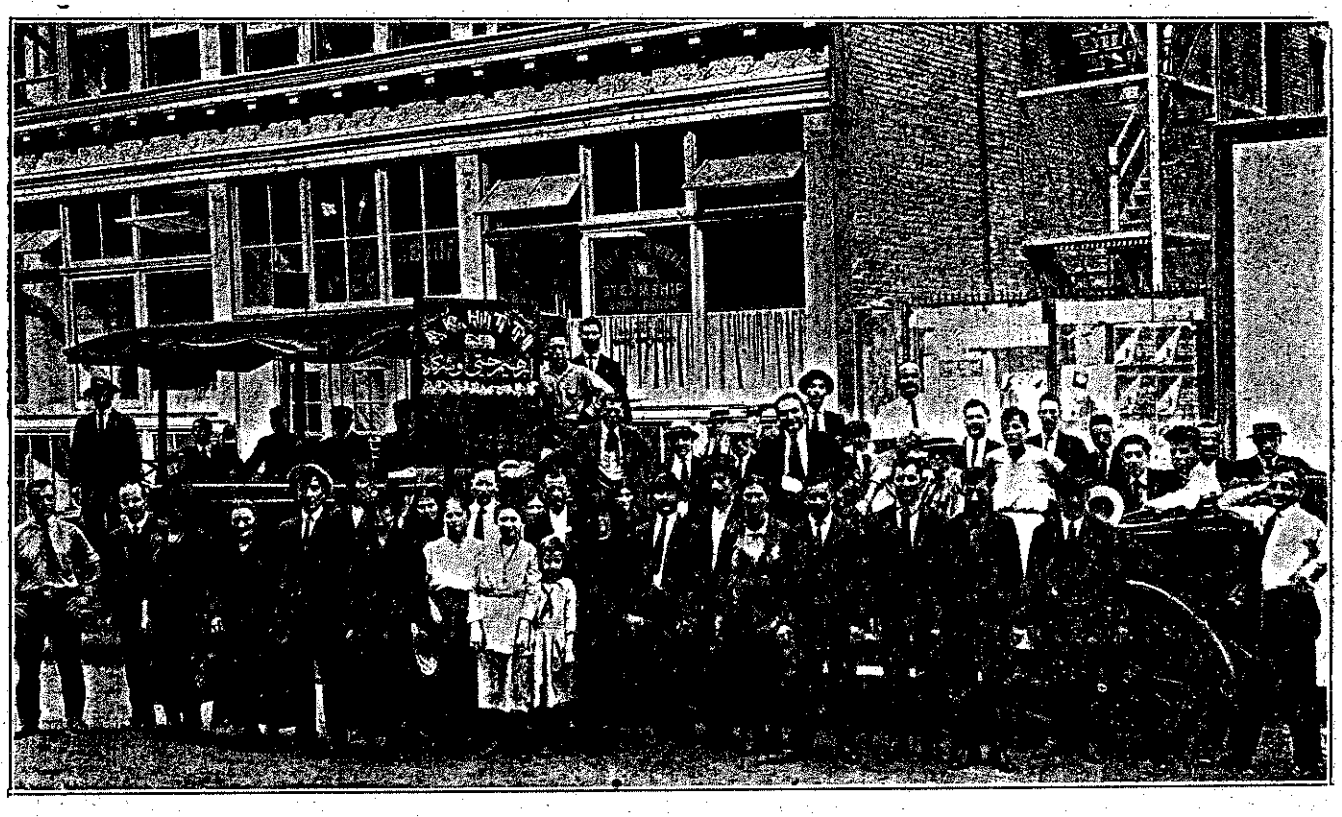

فريق من المسافرين عن يد ابرهيم حتي اخذ رسمهم امام المكتب وهم على اهبة ركوب السيارات الخاصة الى محطات البواخر

وليس هذا فقط بل ان هذا الشاب المواطن ينظر في القيام باشغاله الى اكثر من الربح المادي لان له من التهذيب المدرسي والارتقاء الادبي ما يرفع نظره الى ما وراء وما فوق الماديات فهو خريج المدرسة الانكليزية في سوق الغرب بلبنان وعندما جاء الولايات المتحدة من وطنه شملان سنة ١٩١٢ اخذ يدرس الهندسة ليلا في ادارة جمعية الشبان المسيحيين بكل اجتهاد ومواظبة حتى نال الشهادة وكان في هذه الاثناء يشتغل نهارا كماسك دفاتر في بعض المحال التجارية السورية . حتى اذا لاحت له الفرصة الموافقة اغتنمها بما عنده من علم واختبار وافرغ في ادارة اشغاله الجديدة ما لديه من اجتهاد ومقدرة حتى اوصلها الى الدرجة التي هي عليها من النجاح وحسن السمعة

فريد بستاني احد اعضاء شركة التسفير المعروفة باسم ابرهيم حتي وشركاه

محل منصور واسعد عبود

بدون راس مال غير الحذق والاجتهاد اسس اخوان سوريان معملا اصبح يعد في المصاف الاول من نوعه في الولايات المتحدة المشهورة باهمية مشاريعها الصناعية . وفي تاريخ اشغال هذين الاخوين بيان كثير من الصفات المشكورة التي صيرت السوريين على ما هم عليه من النجاح والتقدم .

في سنة ١٩٠٠ بلغ منصور اكبر ابناء عبود من عيشيت البقاع سن السادسة عشرة واخذ يدرك مسؤوليات الحياة فاصيب بالحمى التي كانت كثيرة التفشي في البلاد السورية في ذلك الوقت وهي حمى المهاجرة. فجمع ثيابه واعد زاده ونزل الى بيروت التي كانت اول مراحل اغترابه ولم يحط عصا الترحال الا في لوزيانا احدى الولايات المتحدة الجنوبية.

اقام منصور في هذه البلاد اذ ذاك نحو اربع سنين جمع في خلالها ثروة معتدلة رجع بها الى الوطن. وكما هو شان معظم المهاجرين بنى دارا واقتنى عقارا وتزوج واقام. ولكن الاسباب عينها التي اوجبت مهاجرته اولا دفعته الى المهاجرة مرة ثانية فجاء البلاد التي اصبح يحسن التكلم بلغة اهلها وفي هذه المرة اقام في الولايات الشرقية وانصرف الى المهنة التي كان يتعاطاها معظم المهاجرين السوريين اذ ذاك وهي التجول لبيع السلع لانهم وجدوها قريبة منال الكسب وغير داعية الى التقيد مع ما هو معلوم من ان السوريين لم يهاجروا للاقامة بل كان الفكر الغالب عليهم البقاء بضع سنين لجمع اكبر قدر ممكن من المال باقرب الطرق والرجوع الى الوطن .

وكان قد سبقه الى المهاجرة هذه المرة بنحو سنتين وذلك سنة ١٩٠٩ اخوه الاصغر اسعد وهو اذ ذاك يكاد لا يبلغ السادسة عشرة . وتعاون الاخوان على العمل فكان الاكبر مقيما في نيويرك يورد البضاعة للاصغر الذي يتجول في الداخلية لتصريفها. وكأن الاقدار كتبت لهما منذ ذلك الوقت ان يكون مستقبلهما مرتبطا بنوع الاشغال التي اصابا نجاحهما الكبير فيها الان. فقد توقع لاسعد نوع من عقد الرقبة المحوكة التي راها شائعة حيث كان في شيكاغو وتحقق له رواجها فبعث الى اخيه يساله البحث عن مصدرها وامداده بما يقدر عليه منها. وفي مثل هذه الظروف ما يظهر الدليل على حذق السوري ومقدرته التجارية. فان منصورا وجد البضاعة ولكن عند احد تجار اليهود في الناحية الشرقية من المدينة ناخذ بمشتراها منه لينتفع بها وقتيا. انما ما فتىء يبحث عن المصدر الاول وشد ما تعب في التنقيب حتى وصل اليه . ولكن صاحب المعمل في فيلادلفيا ابى ان يبيعه من فوق راس عميله في نيويرك الا انه لاحقه وغره بالدفع النقدي وكبر المقطوعية حتى اقنعه. وظل محلة المصدر الوحيد لهذا الصنف بين السوريين الى مدة طويلة.

وفي هذا الوقت اتسعت دائرة الاشغال فاستلزمت وجود الاخوين معا للاهتمام بها فجاء اسعد الى نيويرك وهو بعد في غلوان الرغبة وعنفوان الهمة فكان في العمل كالحركة الدائمة. واذ ذاك اخذت تتمدد اشغال المحل وتنمو بسرعة مدهشة. الا ان المعجب ان الاخوين لم يكتفيا بمشترى البضاعة فعمدا الى صنعها. هذا هو تعليل التاجر السوري المهاجر في الاشغال. فيقول في نفسه اذا كان لصانع البضاعة ربح وللمتاجر بها ربح فلماذا لا احتكر الاثنين. وعلى هذا العزم ابتدا الاخوان يصنعان البضاعة بثلاث ما كنات اقاماها في محل صغير في شارع واشنطون واستاجرا عاملة للكي والطي والتعبئة. وما الذ العمل الذي يكون فيه ربح واغراه بالاجتهاد. فانه بينما كان منصور يهتم بالتصريف كان اسعد العامل الماهر المجتهد الذي ينهض مع بزوغ الفجر ويحيي معظم الليل عملا . وقد استمرت الحالة هكذا مدة غير طويلة فشاع بين السوريين استعمال هذه الماكنات لحياكة عقد الرقبة فقويت المزاحمة وقلت الارباح . وهنا في مثل هذه الاوقات الحرجة ما تبلى مقدرة التاجر . فهل يقنط الاخوان ويضربان على

Arab American National Museum

منظر جانب من مكتب ادارة معمل منصور واسعد عبود والظاهر في هذا الرسم هو كبير الاخوين منصور

هذا النوع من العمل كما فعل البعض اما اضطرارا لوياسا ام يحاولان وجود منافذ جديدة للتصريف. فالسوق الامريكية واسعة تكاد تكون غير محدودة بينما سوق التصريف السورية ضيقة وقابلة لاشد المزاحمة. وازاء هذه الحالة لا يحتار التاجر العالي الهمة في ماذا يعمل.

اذ ذاك خرج اسعد الى السوق. خرج ليس للبيع بل للبحث. وقد بحث فوجد معتمدا تجاريا كثير المهارة في بيع هذا النوع من البضاعة نوكل اليه المساطر وزوده التعليمات وكانت تلك بداية توسع اشغال المحل بما انفتح في وجهه من منافذ التصريف في السوق الامريكية الكبرى. ونشا عن هذه الخطوة تفنن في صنع الابضعة المختلفة فزيدت الماكنات والمعدات واصبحت تصنع في المعمل ليس فقط عقد الرقبة بل لثمات الرجال الحريرية وما اشبها من المستحدثات ذات الاشكال والرسمات المختلفة. وبعد ان كان اتساع الاشغال اقتضى نقل المعمل الى بناية حديثة في شارع كرينوتش حيث شغل في البداية جانبا ثم الجانبين من الطبقة الرحبة استلزم اخيرا الانتقال الى طبقة في احدى البنايات الحديثة الكبرى تحت رقم ٥٨٠ برودواي في قلب الحي الصناعي تبلغ مساحتها عشرة الاف قدم مربعة. غير ان كل قدم مشغولة بما يوءدي الى معظم الانتاج تلبية للطلب المتعاظم. ولم تمض على هذا اكثر من ستة اشهر حتى اقتضى توسع الاشغال استئجار طبقة اخرى بنفس المساحة فاصبح المعمل يشغل عشرين الف قدم مربعة

تدخل معمل منصور واسعد عبود الان فتجد ان كل ما فيه من معدات وطرائق ادارية وصناعية حديث. واول ما يلفت نظرك الساعة التي الى جانبها البطاقات لتسجيل وقت دخول وانصراف العمال. فان الدقائق اذا ضاعت بين ستين عاملا واكثر تجمع ساعات وضياع الساعة يوءدي الى نقص في الانتاج وليس الطلب المتعاظم ليسمح بالنقص بل يستوجب الزيادة.

واذا ملت الى احد الجانبين عند المدخل وجدت المكاتب المرتبة وغرفة عرض المساطر والى جانبها مستودع البضاعة وادارة الشحن. ولا يسع الداخل الى

منظر جانب اخر من مكتب ادارة معمل منصور واسعد عبود والظاهر في هذا الرسم هو اصغر الاخوين اسعد

المكتب الرئيسي الا ان تلفت نظره كاس فضية جميلة الصنع بديعة الشكل تقرأ على احد جانبيها انها هدية من العمال في راس سنة ١٩٢٢ الى صاحبي المحل اعترافا بحسن معاملتهما. وانك لتدرك ان قلب العامل يكون حقيقة في عمله فيبذل فيه جهده اذا كانت على مثل هذه المحبة وهذا الاعتبار علاقته مع اصحاب المعمل. ولا غرو ففي معمل عبود وقت العمل عمل ووقت الراحة راحة. وكلما قدر صاحبا المعمل على توفير اسباب الراحة في اوقاتها للعمال لم يتاخرا. حتى انهما اهديا الى العمال فونوغرافا وصواني غناء وموسيقى للرقص فيروحون النفوس على احسن ما يكون من الانبساط في عطلة الظهر.

ثم اذا دخلت المعمل وجدته اقساما منظمة يعج بالحركة المرتبة. فهنا ما كانت للف الخيوط على البكر وهناك ما كانت لصنع المدات ومن بعدها ما كانت من كل نوع وشكل تدخل في هذه الصناعة فبعضها يحوك حياكة مستديرة وبعضها يحوك قماشا منبسطا يفصل ويخاط فيما بعد وغيرها ايضا يشتغل على الابر عن رسمات متنوعة وهي آية في الدقة وحسن الصناعة.

ولكن المعجب انك في هذا الوقت وفي مثل هذه البلاد تجد في هذا المعمل السوري اربع ما كانت هي الوحيدة من نوعها في البلاد. فما الذي جعل لهذا المعمل السوري هذا الامتياز. امن الممكن ان يكون صاحباه برعا في الصناعة الى درجة توصلا معها الى الاختراع والابتداع حتى ينفردا بالحصول على ما لا يوجد من نوعه في البلاد في غير معملهما.؟

اننا بقوة الاستنتاج مسوقون الى هذه الحقيقة. فان هذه الصناعة تستدعي الابتداع لان قيامها انما هو على المستحدثات او تلك الانواع من البضائع الجديدة التي تحقق المثل القائل ان لكل جديد طلاوة ورهجة. فالفائز هو الذي يبتدع الشيء الذي يصادف استحسان واقبال العموم. ولا يخفى كم يستلزم ذلك من صدق النظر وطول الاختبار وصحة العزيمة لان ارتكاب الخطا قد يسبب خسائر فادحة وعلى الاخص في مثل هذه الاشغال التي ليس لبضائعها سوق مستمرة ثابتة. ومن حسن حظ الاخوين عبود ان اصغرهما اسعد تمرس على الرسم وبرع في الابتداع. وقد فتق له ان يوصي على نوع من الماكنات

Arab American National Museum

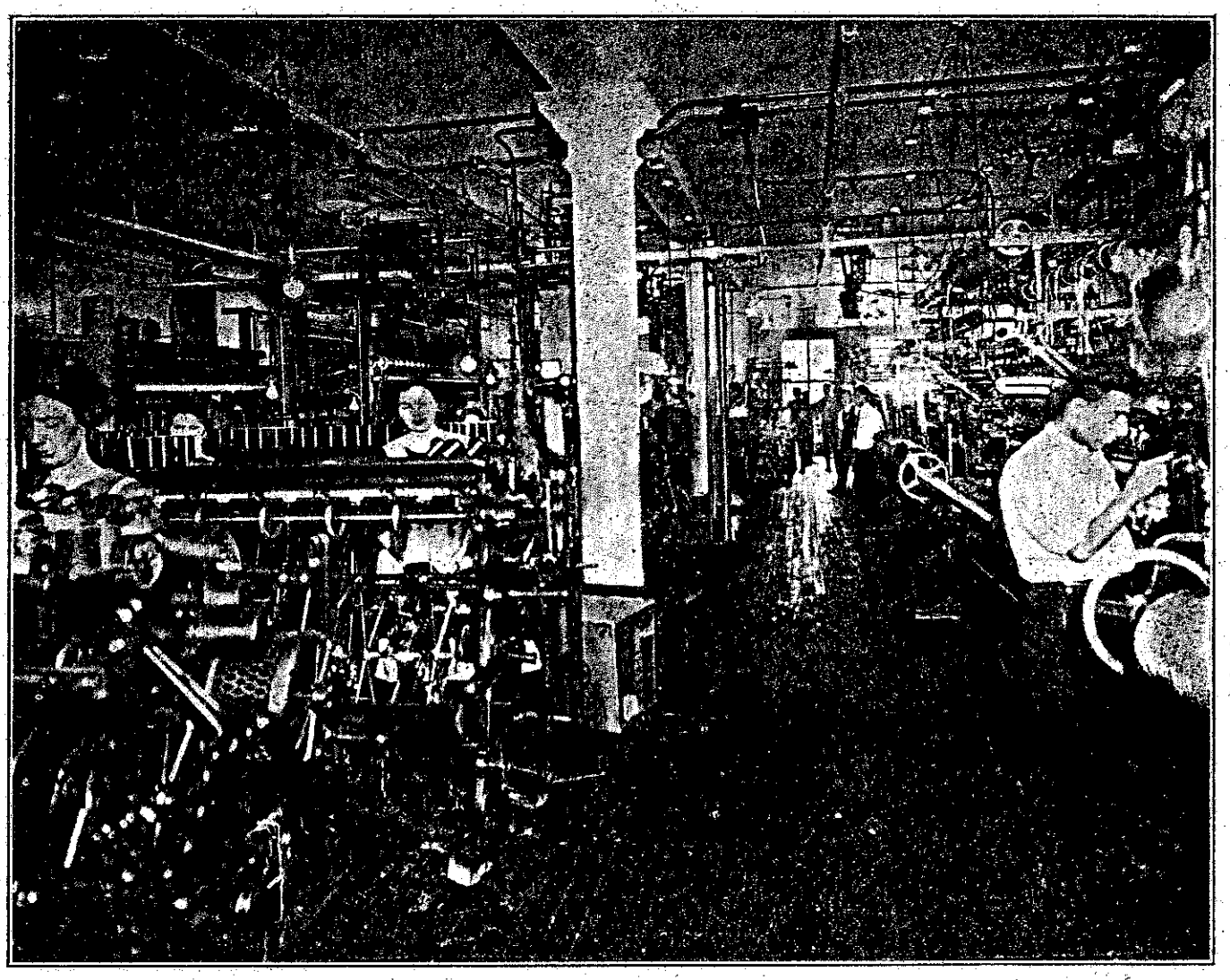

منظر عام لمعمل منصور واسعد عبود وفي هذا الرسم يظهر بعض الماكنات المتنوعة والكثيرة المجهز بها المحل

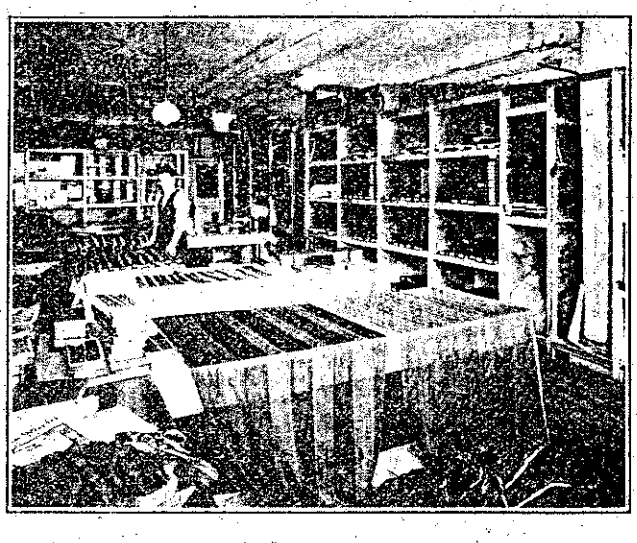

رسم جانب من غرفة التفصيل

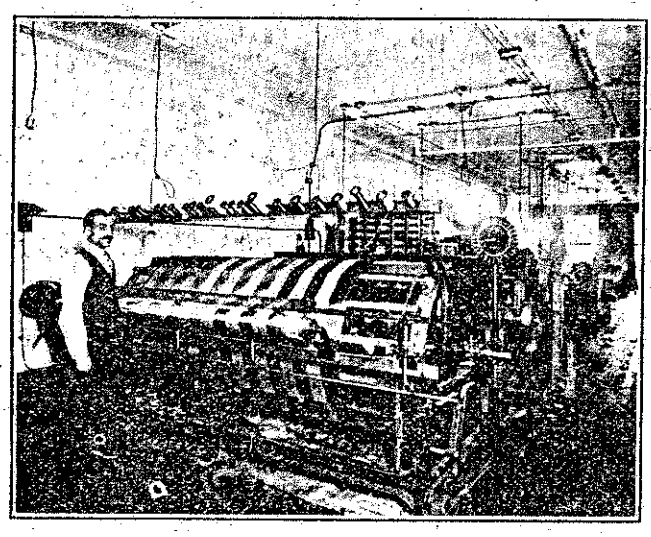

رسم احدى الماكنات التي تجهز عليها بدات الحرير بالوانها المختلفة

تكون قطبته ادق من اي انواع الما كنات الشائعةالاستعمال ولم يهله ان النفقة لا تقل عن العشرين الف دولار فتم صنع الما كنات واصبحت دائرة في معمله قبل ان يدري بها المزاحمون وقد كوفىء عن جراته باقبال وافر علاوة على امتياز كونه المصدر الوحيد لهذا النوع من البضاعة في هذه البلاد .

لا بد ان يوصي المزاحمون على هذا النوع من الما كنات بعد ما ثبت من وجود الطلب على مصنوعا تها . ولكن ذلك لا ينفي ان فكرة السوري الثاقبة هي التي اوجدت هذا التحسن في هذه الصناعة وارشدت الغير اليه.

وعلى ذكر الاقدام على امتحان الجديد لا بد ان مراقب تطور التجارةالسوريةفي المهاجر يهمه ان يعرف انمخاطرة منصور واسعد عبود لم تقتصر على بذلهما عشرين الف دولار ثمن ما كنات جديدة غير مجربة من نوع واحد بل ان قيمة تجديداتهما في معدات معملهما خلال سنة ١٩٢٢ وحدها لم تنقص عن ٦٥ الف دولار. حتى انهما اوصيا على اثنتي عشرة ما كنة من الطراز الجديد الذي سبقنا وقلنا ان معملهما كان الاول في الحصول عليه. وهذا مما اوجب زيادة التوسع في ادارة المعمل.

وكل ذلك جرى في اشغال لم يمض على تاسيسها غير عشر سنين وبادارة شابين سوريين لم يكن لهما من الصفات التي توهلهما لهذا المشروع غير حذق فطري واجتهاد صادق وعين صحيحة المراقبة.

* *

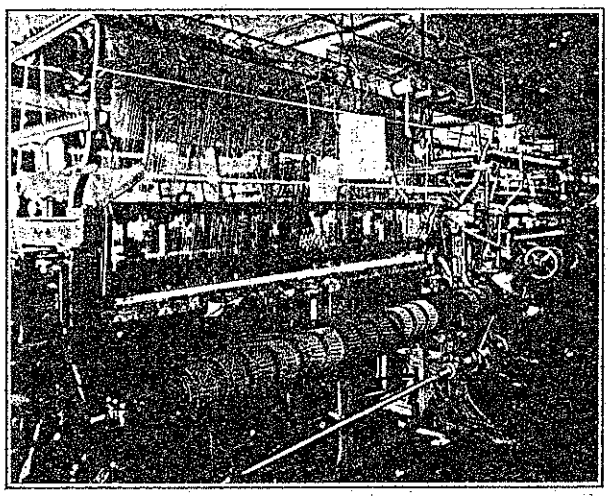

احدى الما كنات الجديدة المتفرد بها معمل عبود

Arab American National Museum

محل خليل وهبه سيده واخوانه

هو محل يشار بالبنان الى دقة النظام المتبع في ادارة اشغاله والى استقامة اصحابه وانكبابهم على العمل فضلا عن انه برهان اخر على فائدة التعاون بين الاخوة لتحقيق النجاح

لا يسع الباحث في نشأة المباني التجارية السورية في المهاجر الامريكية الا الاعتراف بهذه الحقيقة وهي أن هذه الموءسسات جميعها قامت على شخصيات اصحابها ونجحت باجتهادهم الخاص فلا يمكن والحالة هذه النظر الى متاجرنا مستقلة ومجردة عن شخصية موءسسيها واصحابها لانها بفضلهم وجدت وباجتهادهم نمت وتعززت وحتى في الدرجة الحاضرة من التقدم التي بلغتها متاجرنا في المهاجر لا تزال شخصيات الموءسسين اقوى العوامل في ضمان الثبات وتحقيق الارتقاء والنجاح

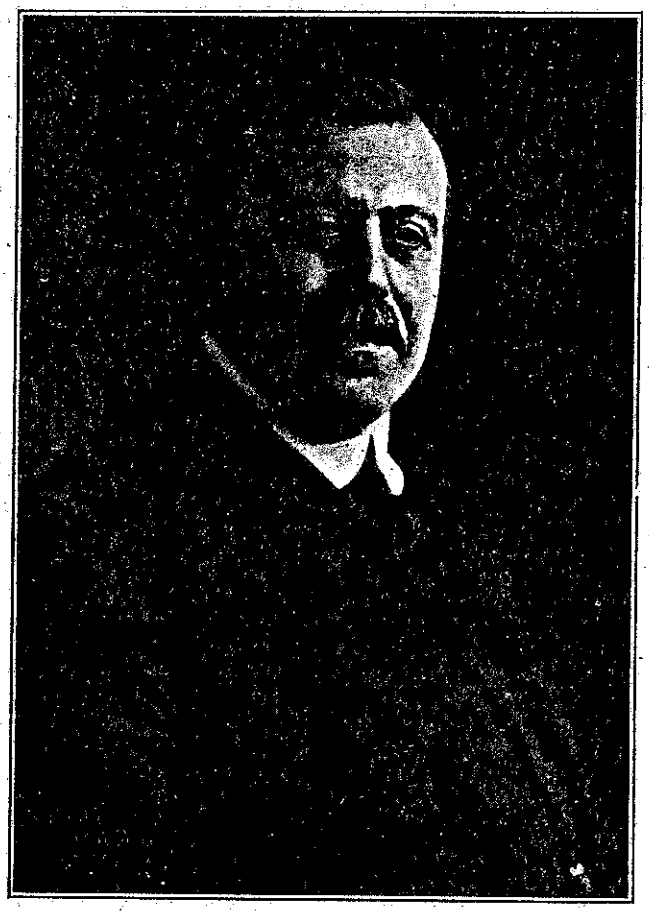

خليل وهبه سيده

في البلدان الغربية وبالاخص في الولايات المتحدة نشاهد كثيرا من المشاريع الصناعية والتجارية الكبيرة الموزعة فيها المسوءولية والجاري فيها العمل على نظام ثابت كالآلة المحكمة الصنع والتركيب التي تدور من نفسها ولا يلزمها غير المراقبة.

ففي مثل هذه المشاريع الكبيرة تكاد تضيع شخصيات الافراد اذ لا يكون المجال منفرجا لحرية العمل والاستقلال بالراي. وفيها ايضا تدراء عواقب الخطا الذي قد يرتكبه الافراد. لان الاندفاع الذاتي الذي تسير به الة منظمة الحركة ضخمة التركيب مترابطة الاجزاء كما هي تلك المشاريع الكبرى يصلح من نفسه الخلل الذي يقع في بعض الاجزاء.

اما مشاريعنا التجارية والصناعية السورية فعلى غير هذه الصفة لانها مشاريع فردية تكاد لا تزال جميعها بادارة الموءسسين نفوسهم بالنظر الى **حداثة عهد نشاتها وهي من** جراء ذلك شديدة القابلية للتاثر بشخصيات اصحابها فتنشط بنشاطهم ويستقيم مجراها بحسن ادارتهم او انها تسقط وتضمحل اذا لم يكن هناك من قوة شخصيات اصحابها ما يوءيدها في الازمات والشدائد

فكأن روح تجارتنا والحالة هذه ليست الا مجموع شخصيات الافراد القائمين بها والذين لا تزال جهودهم الذاتية هي كل القوة المحركة التي توجد في جسمنا التجاري روح الحياة النشيطة الدافعة لها بسرعة الى الامام

فاذا كان الكلام عن نشوء وتقدم متاجرنا السورية في المهاجر يتناول وصف شخصيات الموءسسين فما ذلك الا للسبب المتقدم من كون هذه الشخصيات هي العامل الاقوى في قيام بنائنا التجاري واذا اغفلت الاشارة اليها

منظر جانب من مكتب ادارة محل خليل سيده واخوته والجالس الى المكتب من جهة اليسار هو كبير المحل خليل والواقف الى جانبه هو ثالث الاخوة مخايل والجالس الى المكتب من جهة اليمين هو ثاني الاخوة انطون

كان ذلك بمثابة اهمال الجوهر والذهاب من الموضوع الهندام بجيد الانكليزية كعلماء ابناء هذه اللغة فطار الترجمان به سرورا واستدعى رفاقه الفحاص ومن كان هنالك من موظفي ادارة الهجرة واشار الى الشاب السوري المهاجر قائلا: «خذوا لكم هذا مثالا من طبقة شعبنا الراقية»

وان ما قيل عن خليل سيده اذ ذاك لا يزال ينطبق عليه الان فيصح ان يشار اليه كمثال من طبقة تجارنا السوريين المهاجرين الراقية .

فقد ولد هذا المواطن في الفرزل وتخرج من الجامعة الامريكية في بيروت وحاز لقب بكلوريوس علوم وزاول التعليم بضع سنين بعد ذلك في المدرسة الامريكية في صيدا ولكنه لما تشربته نفسه من الاداب الامريكية ولما وقف عليه من تاريخ الولايات المتحدة المجيد رغب في الهجرة اليها الا انه لم يزاول التجارة بل انصرف الى الدرس وفاز بلقب بكلوريوس لاهوت من احد المعاهد العلمية الكبرى في شيكاغو وكان اثناء اشتغاله بالدرس يهتم بالقاء محاضرات ادبية تهذيبية عن الشرق وادابه واحواله فضمن له ذلك استقلاله المادي بل جمع راس مال معتدلا.

وحين تذكر الشخصيات في الكيان التجاري السوري في نيويرك لا يكون مندوحة عن ذكر شخصية ممتازة يزيدها ظهورا رغبة صاحبها في عدم الظهور وهي رغبة مشتقة من التواضع والدعة شان جميع الفضائل الراسخة. وصاحب هذه الشخصية هو خليل وهبه سيده كبير اصحاب محل خليل سيده واخوته التجار الكبار بالبضائع البيضاء في نيويرك واصحاب المعامل الخاصة لاصطناع هذه البضائع في مادیرا وايطاليا .

لم يكن هذا المهاجر السوري تاجرا منذ بدء مهاجرته بل كان رجل ادب وعلم غير انه بقوة شخصيته كان من اصحاب النفوذ الادبي الشديد على حياة المجموع السوري في جميع الحالات التي تقلب فيها وساعد بمثله وعمله مساعدة كبرى على تعزيز منزلة بني قومه حيثما كان.

يخبر بعض قدماء المهاجرين السوريين في نيويرك انه لما وصل خليل سيده الى «الجزيرة» مهاجرا وذلك في سنة ١٨٩٦ بلغ المرحوم نجيب عربيلي استنطاقه على نحو ما كان يفعل بجميع المهاجرين فوجده فضلا عن حسن

Arab American National Museum

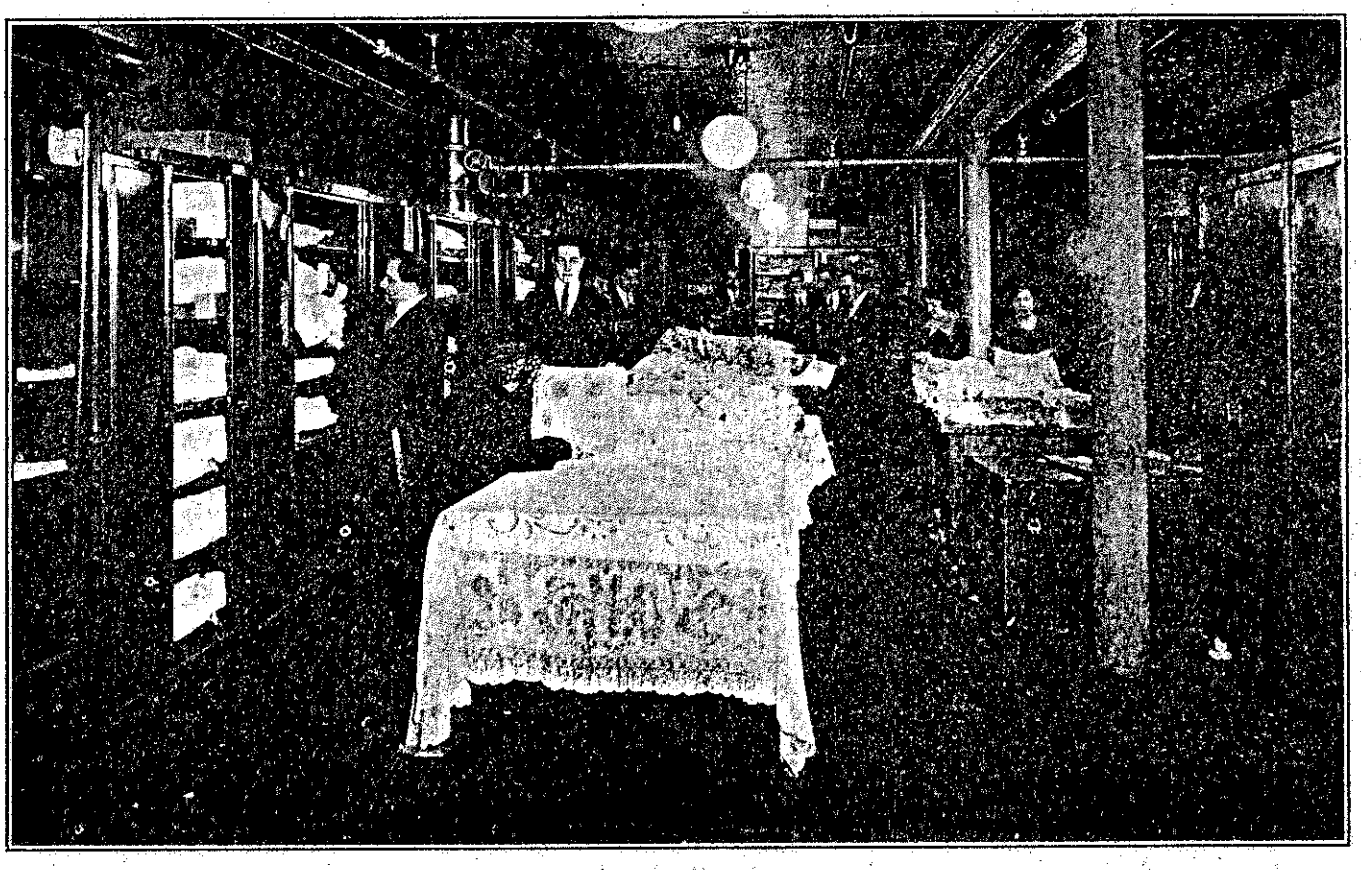

منظر عام لمحل خليل سيده واخوته في نيويرك وعلى الجانبين تظهر الخزائن الحديدية التي تحفظ فيها بضائعهم النفيسة

وبلغ من ولعه بالعلم ان نفسه حدثته بالانصراف الى التعليم وبالاختصاص من ذلك بتدريس اللغات الشرقية فقضى وقتا في درس اللغة اليونانية واللغة العبرانية القديمة. الا ان احتكاكه بعالم الأشغال حوله عن عزمه فهبط الى نيويرك من شيكاغو وباشر التجارة براس المال الذي جمعه من القاء المحاضرات ولم يكن يربو على ثلاثة الاف دولار غير انه احسن التصرف بها وساعده على عقد العلائق التجارية الرابحة ادبه وعلمه واتقانه اللغة ودرسه احوال البلاد . فكانت بداية اشغاله بالبضائع الشرقية ثم تحول عنها الى صنع صدور الشرت وست التي شاعت فيما بعد شيوعا عظيما انما كان هو من اكبر المنتفعين منها لانه كان اول من روّج تجارتها في هذه البلاد بعد اخذ الفكرة من باريس. وقد كتب لهذا الصنف الاندثار بعد ان ازدهرت تجارته نحو عشر سنين وكانت معظمها في ايدي التجار السوريين وجنوا منها ارباحا حسنة قبل ان ضحوها على مذبح المضاربة

وفي سنة ١٩١٠ انضم الى خليل في التجارة اخوه انطون وهو من ادباء ومجتهدي الشبان فتضاعفت بذلك القوة المستمدة من التعاون فتحولت اشغال المحل الى استجلاب الخرج وكان النوع الايرلندي منه كثير الرواج نحو سنة ١٩١٠ فذهب كبير المحل الى سوريا على امل ترويج صنع هذا الصنف هناك وقد توصل في بعض الاوقات الى تشغيل الوف العاملات يقدم لهن الخيوط وينقدهن اجرة العمل وهو مثل غيره من تجار المهجر الذين سعوا لنفع وطنهم القديم بمثل هذه الاعمال ياسفون لعدم ظهور روح تعاون من جانب اخوانهم المتخلفين تضمن استمرار هذا المورد للربح المشترك

وفي سنة ١٩١٦ انضمت الى المحل قوة اخرى بشخص الاخ الثالث مخائيل الذي كان قد تمرس على التجارة في بعض مدن الداخلية فتالف من ذلك ثالوث من الاخوة وكلهم كالشخص الواحد بالاجتهاد والنشاط ذلك فضلا عما اشتهروا به من الخبرة في انواع البضائع والاستقامة في المعاملة . واذ ذاك اصبح من الممكن التوسع في اشغال المحل فتوجه مخائيل الى جزيرة مادير حيث تصنع المطرزات اليدوية النفيسة المشهورة باسمها وهناك انشا معملا تام المعدات الفنية الكافلة اتقان العمل. وعلى الرغم من الاستزادة المتواصلة في استعدادات العمل لم تكن المصنوعات تفي بالطلب وبفضل ذلك اصبح معمل

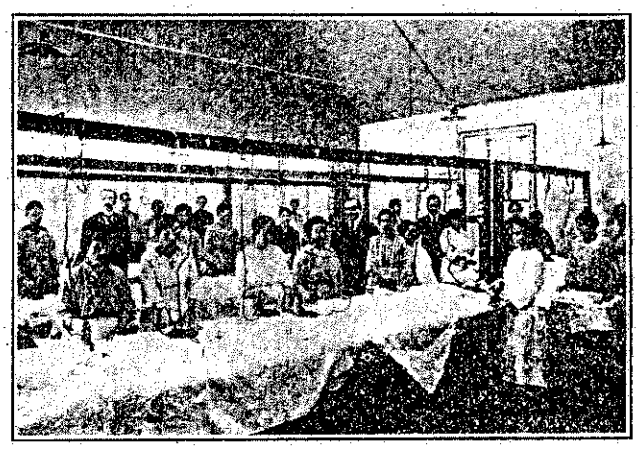

غرفة كي البضاعة في معمل محل سيده في ماديرا .

سيده في ماديرا على الرغم من حداثة نشاته بالنسبة الى سواه يحوي ١٥٠ عاملا ضمن المعمل علاوة على لا اقل من خمسة الاف عاملة تشتغل بالتطريز في بيوتهن خصيصا له وصار يعد في المركز الثاني بالاهمية بين جميع معامل الجزيرة.

واقتضت حاجة السوق واهمية الاشغال زيادة التوسع فانشا محل سيده معملا اخر في البندقية (فنيس) لصنع الخرج والمطرزات الايطالية التي يتقنها اهل تلك المدينة وضواحيها. والذين يشتغلون لهذا المعمل لا يقل عددهم عن الخمسة الاف وهم على زيادة مطردة بالنظر الى ازدياد الطلب. اما عدد العمال داخل المحل فلا يقل عن ١٣٥ ويدلنا على دقة التنظيم في اشغال هذا المحل انه في السنة والعشرين سنة التي انقضت على تاسيسه لم يتاخر مرة عن دفع الاستحقاقات التي عليه بالوقت ولا سحب عليه بروتستو. بل ان في هذا دليلا ليس فقط على الدقة بل على الضمير في التجارة والاستقامة في المعاملات.

غرفة الرسم في معمل خليل سيده في ماديرا

مكتب معمل خليل سيده واخوته في ماديرا

فالعلائق التي لمثل هذا المحل الكبير تتناول جميع الطبقات فلا بد لنا والحالة هذه من التسليم بان المحل الذي كان على مثل هذه النزاهة تاريخه لا بد ان تكون في طبيعة معاملاته صفة خاصة من سلامة الجوهر. ولكننا اذ نعرف ما هو عليه موءسسه واخوته من التهذيب واستقامة المبادىء وطيب الاخلاق لا نستغرب مثل هذا عنهم. ولا سيما ان موءسس المحل جرى في ادارته ليس على ما يوصف بالدهاء بل على ما يصح ان يقال انه شعور وضمير لانه يعتبر المال واسطة وليس غاية ويقدر قيمة الصيت الحسن فوق الثروة المادية وما ذلك الا لان تربيته الاولى لا تزال العامل الاقوى في تكييف مجرى حياته.

فهذا معهد تجاري سوري يشهد تاريخه بمقدرة واجتهاد واستقامة اصحابه ويمكن عده من خير الامثلة على الصفات الممتازة التي اوصلت تجارتنا في المهاجر الى منزلتها الحاضرة من الاهمية والارتقاء.

عمال في معمل سيده في البندقية (فنيس) بايطاليا

American National Museum

نعوم مكرزل
منشيء وصاحب جريدة الهدى اليومية في نيويورك

جريدة الهدى اليومية ومطبعتها

الهدى اقدم جريدة عربية حية في المهاجر تصدر يومية بثماني صفحات كبيرة وهي اقرب مثال بين الجرائد العربية في العالم لما بلغه التفنن الصحافي في امريكا — جهاد منشئها المستمر في سبيل تعزيزها وترقيتها — وصف المطبعة الكبرى وما فيها من آلات ومعدات حديثة مما لا يوجد في مطبعة جريدة عربية اخرى في العالم

ما زلنا في هذا التاريخ متحرين وصف المرافق والمنشآت السورية في المهاجر سوآء كانت تجارية ام صناعية ام زراعية اتماما للغرض الذي نقصده من بيان مقدار ما توصل اليه المهاجرون من التقدم المادي في المدة القصيرة التي انقضت عليهم في المهاجر، كان لا بد لنا تتميما للفائدة من وصف صناعة الصحافة والطباعة التي لا نشك في كونها بين السوريين المهاجرين ارقى منها بين اي قوم من الناطقين بالضاد في اي مكان من العالم ونستشهد على ذلك بجريدة الهدى ومطبعتها في نيويرك.

ولا نرى لنا غنى عن ايراد كلمة ايضاح عن كيف ان الصحافة والطباعة صناعة مثل سائر الصنائع وعن السبب الذي يدفعنا الى الاشارة اليها في هذا التاريخ مع كونه تاريخا تجاريا.

فالصناعة هي علم صنع الاشياء واعدادها في الشكل التي تصلح معه للاستعمال وكل ما تستعمل الايدي في صنعه على قاعدة مرعية يدعى صناعة. فاستخراج المعادن والفحم من الارض صناعة لانه يتم باستعمال الايدي واتباعا لقواعد علمية مثلما ان حرث الارض واعدادها للزرع واستغلال المواسم صناعة ايضا جريا على نفس المبدا ويخطىء من يعتقد ان الصناعة مقتصرة على المعنى الذي تفهم به المعامل المشتغلة في صنع حاجات القوت والكساء ومتطلبات الناس المادية. فان من الصنائع التي تعنى بخدمة الناس الادبية ما يضارع بالاهمية ما نعرف عن الصناعة بمعناها الآخر ولنا على ذلك شاهد التلفون والتلغراف من سلكي ولاسلكي والصور المتحركة وجمع ونشر الاخبار مما نجد له وعلى الاخص في هذه البلاد شركات ذات رؤوس اموال لا تقل عن مئات الملايين ويعتبر وجودها لا غنى عنه بالضرورة والفائدة.

قال احد كبار الصحافيين الامريكيين انه لا يعتبر نفسه غاية ما يمكن من صحة الرواية ودقة التفصيل لانه اذا الا تاجر اخبار فيهتم بالسبق اليها وبنشرها للقرآء على صدق قرآءه الخدمة على هذه الصورة ضمن مواظبتهم على مطالعة جريدته لتحققهم جودة بضاعته.

فتكون الصحافة من هذا الوجه مرفقا مثل سائر مرافق الكسب الا انها تمتاز عنها بكونها ذات صفة ادبية. وهي حتى بالمعنى الوضعي من الكلمة صناعة ايضا لان مظهر الجريدة الحسي وما يدخل فيها من تفنن في ترتيب وتقسيم المواد وتناسب العناوين واعداد الاعلانات واظهارها بالشكل الجميل كل ذلك يقتضي معرفة صناعية لا تحصل الا بالعلم وطول الاختبار

اما الطباعة فلا خلاف في كونها في مصاف ارقى الصنائع هذا اذا لم نقل انها الصناعة الاساسية التي تقوم عليها سائر الصنائع والحافظة لكنوز العلم والدعامة المكينة المرتكز عليها بناء المدنية.

فاذا نحن بناء على ما تقدم تحرينا وصف احدى الجرائد والمطابع العربية بين المهاجرين لم نكن الا متممين الخدمة التي عاهدنا ابناء اللغة العربية على القيام بها من حيث بيان الاهمية التي بلغها اخوانهم المهاجرون الى العالم الجديد في مرافقهم التجارية والصناعية على انواعها المختلفة. وكيف انهم على غير سابق معرفة واختبار بما زاولوه ادركوا في هذا المحيط الغريب شأوا من الاهمية يشهد لهم بالتفوق في الذكاء والمقدرة

جريدة الهدى

انشا جريدة الهدى رجل ترعرع وشب بين المحابر والدفاتر وظهر فيما بعد من مقدرته اللغوية ما جعله معدودا بين ايمة علماء العربية دون منازع. الا ان ما حقق له نجاحه الباهر بجعل جريدته اكبر جريدة عربية في المهاجر وربما في سائر العالم ليس مقدرته اللغوية مثلما هو شغفه بعمله وانكبابه عليه وقابليته لاقتباس الطرائق الصناعية الناهضة الحافل بها المحيط الذي انشا جريدته فيه مع علم بطرائق نشر جريدته صيرها تقرا بشوق ليس فقط بين المهاجرين

Arab American National Museum

صاحب الهدى على مكتبه

معما هو معروف من ضيق مجال الانتشار بينهم بالنظر الى قلة عددهم بل بين ابناء اللغة العربية في كل مكان وجدوا فيه. والذي يعرف كيف يشتغل ويجاهد ويجد صاحب الهدى لا يستغرب ان يكون رجل بمثل اجتهاده اصاب مثل نجاحه. ولا سيما اذا قرنت الى الاجتهاد المقدرة الادبية الضرورية في المشاريع الصحافية اكثر منها في اي المشاريع الصناعية الاخرى.

وقد يكون جهاد صاحب الهدى المفرط ناشئا عن ملاءمة عمله الحاضر لذوقه وميله واستعداده. فهو يكون في عنصره الطبيعي عندما يكون بين المحابر والاوراق . اذا عد الكتابة عملا ونقصته الراحة طلبها في المطالعة . ويوم العمل عنده لا يقتصر على ساعات النهار . بل هو لا يجد لذته وراحته في ما يعرف معظم الناس من وسائل ذلك. وكثيرا عندما كانت تثقل عليه وطاة المرض ما كان يعصي اوامر الاطباء فيزداد اندفاعا في العمل بدلا من الاستسلام الى القعود والاسترخاء. ولم يجد الاطباء تعليلا لحالته وكيف انه يتغلب على ضعفه الجسدي ويتعافى بالرغم من عمله بعكس ارشاداتهم الا بنسبة ذلك الى ارادته الحديدية.

تلك هي بعض اوصاف المنشىء البليغ والصحافي القدير نعوم مكرزل موسس وصاحب جريدة الهدى. ونحن غير محاولين وصف اعماله ومشاريعه في الربع قرن التي انقضت على جريدته في خدمة الوطن والمواطنين لان ذلك يحملنا على الدخول في شعاب من احوال المهاجرين الادبية والاجتماعية والسياسية ليست من غرضنا في هذا التاريخ الذي نريد ان نجعله معرضا فقط لمبلغ تقدم المهاجرين في مرافقهم الصناعية والتجارية . ويكفي ان نشير عرضا الى كون صاحب الهدى بلغ مبلغا من ثقة المهاجرين به لم يبلغه رجل عمومي سواه. لم يستصرخهم مرة الا لبوه ولا دعاهم الا اجابوه. انشا جمعية النهضة اللبنانية وعمل باسمها اعمالها المعروفة في سبيل خدمة الوطن. ومثل المهاجرين في الموءتمر العربي في باريس ومن ثم في موءتمر الصلح . ودعا الى التطوع في الفرقة الشرقية ابان الحرب. وجاهر بوجوب تهذيب المراة وايد من قبل مشروع انشاء كلية سورية في امريكا وهو الان يهتم بانشاء كلية في الوطن وكان له الفضل في طبع الكثير من كتب الادباء على نفقته . الى غير ذلك من المشاريع التي

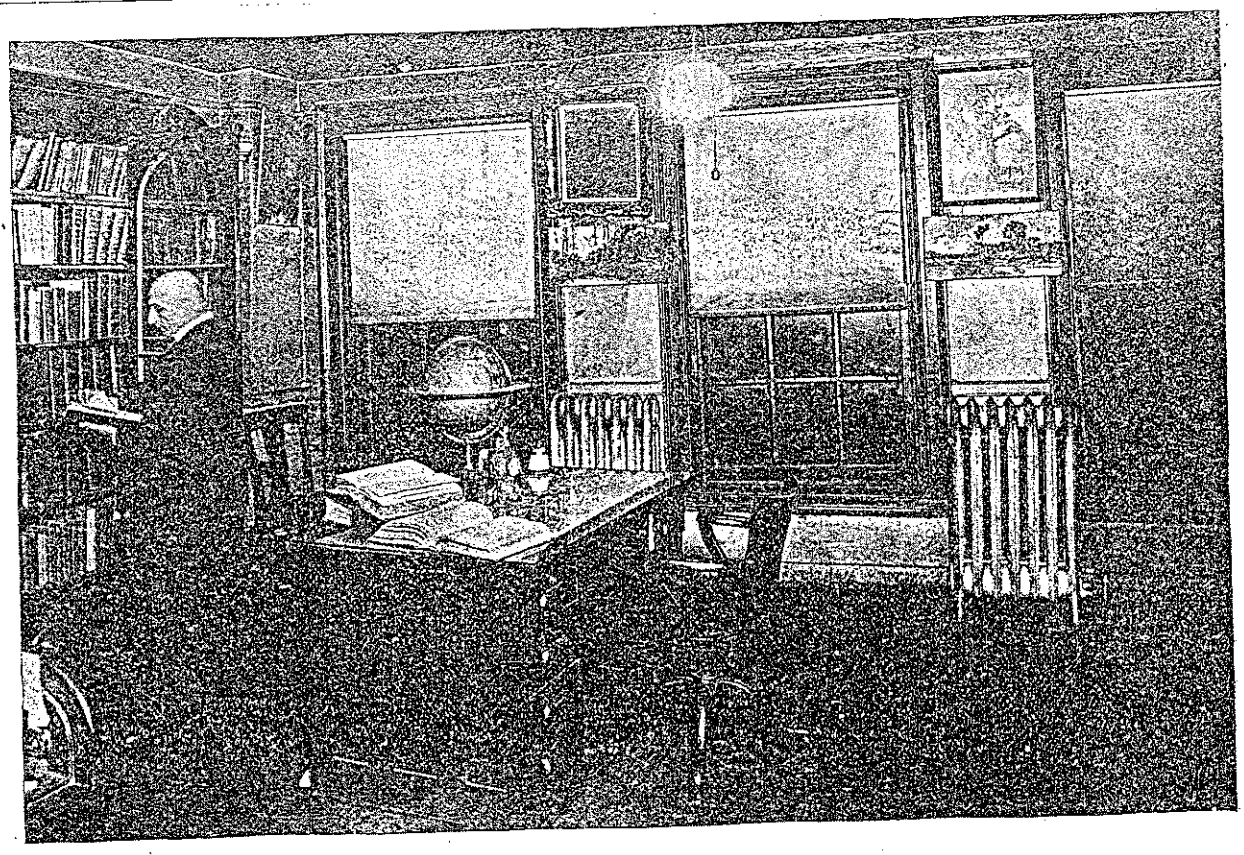

رسم جانب من مكتب صاحب الهدى الخاص

هي في علم جميع المهاجرين

الا اننا اذا لم نسترسل في وصف جريدة الهدى من الوجهة الادبية فالواجب يقضي بوصفها كمشروع صحافي صناعي صار بهمة ومقدرة مواطن مهاجر من اهم المشاريع التي من نوعه في العالم العربي. لان في ذلك شهادة باجتهاد واقدام ومقدرة المهاجرين هي من اغراض هذا التاريخ. ويتجلى لنا عظم هذه المقدرة بالاخص عندما نتامل في الظروف المعاكسة التي احاطت بالمشروع وما استلزم من صبر وعزيمة حتى ثبت وتعزز واصبح على ما هو عليه من الاهمية. وقد يكون في وصف نشاة المشاريع الصحافية برهان اثبت على همة المهاجرين من حيث انها تستلزم للنجاح جهدا اعظم من المشاريع الصناعية والتجارية المنفسح امامها مجال واسع للتقدم على خلاف الصحافة العربية ذات المجال المحدود.

فمنشيء الهدى لم يزاول الصحافة قبل ان هاجر وربما انه لم يحلم قط في صباه بانه سيكون صحافيا. ولكنه كان منذ حداثته مولعا بالعلم مشتغلا بالادب. درس العربية والافرنسية في مدرسة الحكمة في بيروت على الاستاذ عبدالله البستاني وكان من رفاقه المرحوم داود عمون والامير شكيب ارسلان. وانهى دروسه العالية في كلية الاباء اليسوعيين في بيروت ايضا وعند فوزه بالشهادة سئل ان يكون استاذ البيان في مدرسة الاباء اليسوعيين في القاهرة وبعد ان تولى هذا المنصب سنة اصيب بحمى اكرهته على العود الى لبنان فانشا مدرسة داخلية في مسقط راسه الفريكه من اعمال القاطع الا انه بعد سنتين عزم على المهاجرة بتشويق احد انسبائه الذي عقد واياه شركة تجارية فمرا على باريس واشتريا براس المال الذي كان بين ايديهما من البضائع المطلوبة واقبلا ففتحا محلا في نيويرك وكان ذلك سنة ١٨٩٠ اي في مطلع عهد المهاجرة السورية الى هذه البلاد

انما لم يكن مكتوبا لصاحب الهدى ان يصيب حظا من التجارة فخسر راس ماله وانصرف الى تدريس الافرنسية في مدرسة للاباء اليسوعيين في نيويرك. ومن ثم تولى مسك دفاتر بعض البيوت التجارية السورية واذ هو يشتغل في ذلك انشا جريدته الاولى فدعاها «العصر» وكانت تطبع على الجيلاتين وهي الجريدة الاولى العربية التي ظهرت

Arab American National Museum

صف منضدات الحروف في مطبعة الهدى والذي في مقدمة الرسم هو يوسف شربل اقدم وامهر عامل على المنضدة العربية في الوقت الحاضر وقد مضى عليه في خدمة الهدى زهاء ١٤ سنة ويليه اخوه طانيوس شربل

في الولايات المتحدة بعد جريدة «كوكب امريكا» ومع ان «العصر» لم تعمر طويلا لانه انصرف عنها الى درس الطب ولبث على ذلك سنتين حتى كان على وشك نيل الشهادة بعد سنة واحدة فان اتخاذه هذه الخطوة الصحافية الاولى اغراه بـاتخـاذ الثانية الثابتة فاستجلب حروفا عربية من مصر واصدر جريدته الهدى في فيلادلفيا سنة ١٨٩٨ وهي نفس الجريدة التي احتفلت الجالية السورية النيويوركية بيوبيلها الفضي في ربيع سنة ١٩٢٣.

كانت مطبعة الهدى اذ ذاك مطبعة صغيرة قوامها بضعة صناديق من الحروف ومطبعة صغيرة للجريدة من طراز قديم ومطبعة صغيرة للمطبوعات التجارية وقليل مما يلزم لاعداد الجرائد من اطواق واخشاب وما اشبه وكانت الهـدى تصدر اسبوعية بشكل مجلة بحجم صغير ذات غلاف ملون وقد استمرت تصدر على هذه الصورة سنة ثم تحولت الى شكل الجرائد وصدرت بثماني صفحات صغيرة بحقلين اولا ثم بثلاثة حقول في الصفحة . وكان صاحب الهدى يحررها باجمعها ويمسك حساباتها وكل ما يعوزه من المساعدة من يكتب له عناوين المشتركين . واستمرت الهدى على ما يقارب هذه الحالة زهاء اربع سنين.

ولكن صاحب الهدى وجد ان مجال التقدم محدود في فيلادلفيا وان المركز الطبيعي لجريدة عربية هو في مدينة نيويورك التي كانت ولا تزال ذات الجالية السورية الاهم في المهاجر فنقل مطبعته وجريدته اليها في سنة ١٩٠٣ وباشر في الحال اصدار الهدى يوميا باربع صفحات متوسطة الحجم ولم تنقطع الهدى عن الصدور يومية منذ ذلك الوقت فتكون خلا دونها اقدم جريدة حية في المهاجر اول واقدم جريدة عربية يومية ايضا.

وكانت بين الحين والآخر تظهر آثار جـديدة على عناية واجتهاد صاحب الهدى في اتقان جريدته. فمن الاربع صفحات متوسطة جعلها اربع صفحات كبيرة. وكان تنضيد الحروف يتم اذ ذاك كله باليد فاقتضى ان يشتغل عاملان او ثلاثة في تنضيد مواد العدد وصاحب الهدى لا يحجم امام نفقة جاعلا شعاره عكس ما تذهب اليـه كثير من الجرائد فيقول للناس «نزيدكم تحسينا فزيدونا اقبالا»

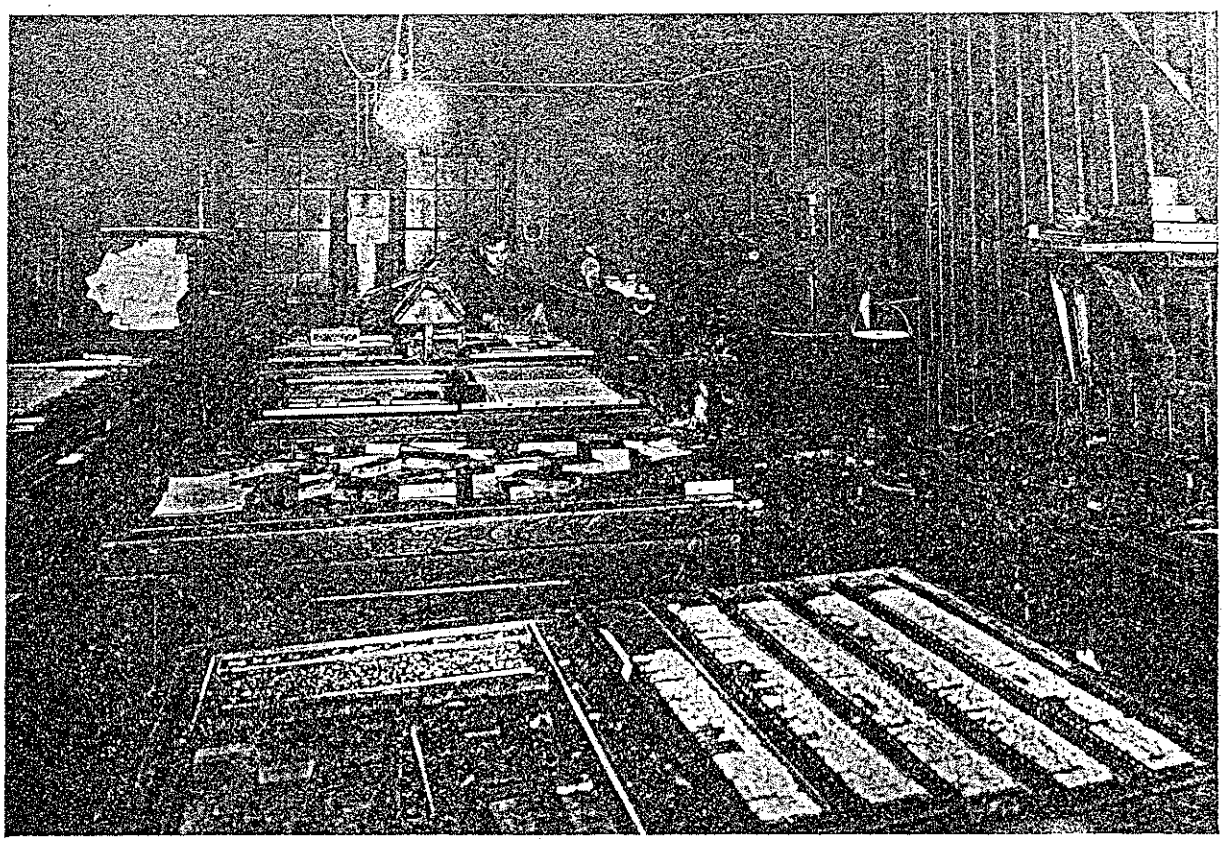

ادارة التركيب او تهيئة المواد للطبع في ادارة جريدة الهدى وتظهر في الرسم الحنول المعدة للتركيب والصور المسكوبة ضمن الادارة. والى اليمين من جهة الورآء يظهر مصهر الرصاص والآلة التي تسكب عليها الصور والمنشار الكهربائي

بدلا من «زيدونا اقبالا فنزيدكم تحسينا» . حتى اذا ظهرت المنضدة العربية في سنة ١٩١٠ كان صاحب الهدى اول من اشترى آلة منها مبرهنا بذلك عن نهضته واقدامه واخذ منذ ذلك الوقت يصدر جريدته بثماني صفحات كبيرة ولم يتحول.

وبعد ان كان صاحب الهدى يتولى كل اعمال جريدته اضطره التوسع وعمله بمبدا «زيادة الناس تحسينا ليزيدوه اقبالا» الى الاستعانة بالمساعدين و كانوا جميعا من مقتدري الكتاب بينهم فرنسيس الشمالي واسعد ملحم وحافظ عبد المالك والمرحوم سليم عازار وفريد غصن والشيخ عباس ابو شقرا المساعد الحالي.

امامن حيث الصناعة في اعداد الجريدة فقد لا تكون جريدة عربية اخرى يومية في العالم ذات مواد توازي ما في الهدى. ومن المحقق انه لا توجد جريدة اخرى على مثل ما فيها من الصناعة في ترتيب المواد. فقد كانت الهدى اول الجرائد العربية في العالم التي عمدت الى طريقة الجرائد الامريكية في اعداد العناوين المتدرجة للاخبار والمقالات وهو تفنن يذكر ويشكر لها. وليست جريدة عربية تشبهها بنشر الصور . وهي على الجملة من سائر وجوهها الطباعية ارقى مثال لما وصل اليه التفنن الصحافي في العالم العربي.

مطبعة الهدى

اشرنا في عرض كلامنا الآنف الى ما كانت عليه حالة مطبعة جريدة الهدى عند انشائها و كيف ان معداتها لم تتعد بضعة صناديق من الحروف وآلة طابعة من طراز قديم وآلة طابعة للاشغال التجارية وما اشبه مما لو عرض للبيع في هذه الايام لما اشتراه احد الا لما فيه من قيمة الحديد . اما اليوم فعلى غير ذلك معدات مطبعة الهدى التي لو عرضت للبيع على حالتها المستعملة لما نقصت قيمتها عن ستين الف دولار . وقد لا تكون مطبعة الهدى اثمن مطبعة عربية في العالم ولو قلنا ذلك لكنا نرمي الكلام على عواهنه دون تحقق ولكننا نقول قولا لا نخشى معه نقضا ولا سبيل الى الارتياب في صحته وهو ان لمطبعة الهدى امتيازا على كل مطبعة عربية في العالم من حيث انها جامعة

Arab American National Museum

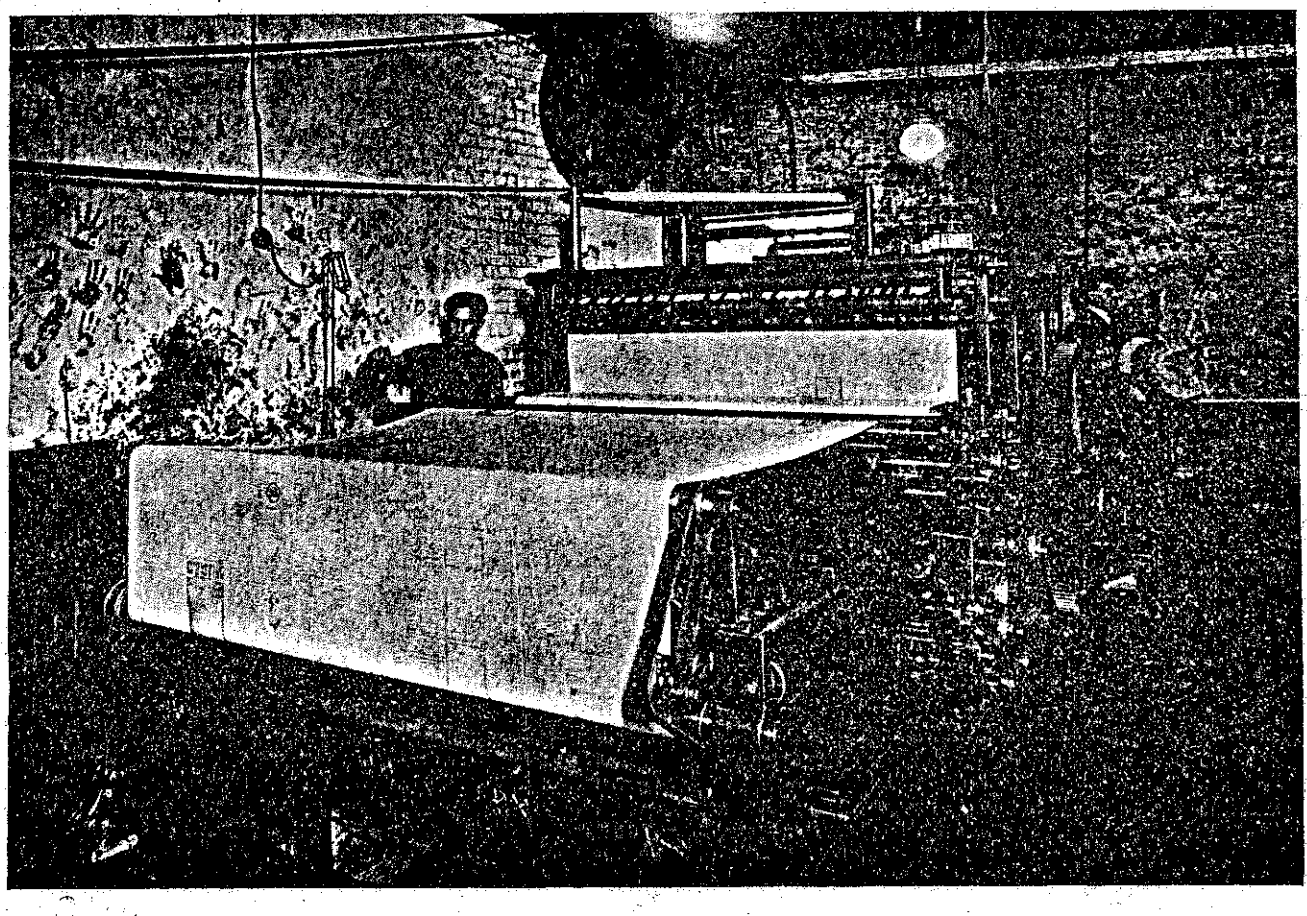

المطبعة الكبرى في ادارة الهدى التي تخرج عنها الجرائد مطبوعة بكاملها مطواة بسرعة ٤ الى ٦ آلاف في الساعة

لمعدات مطبعية حديثة قد يكون بعض منهـا في بعض المطابع ولكن ليس لمطبعة اخرى ان تفاخر بان لها من هذه المعدات مثل كل ما لمطبعة الهدى. وكون هذه المطبعة العربية في امريكا ــ البلاد المسلم بكون المجال فيها للمطابع العربية محدودا الى الغاية ــ على مثل هذا الامتياز والاهمية بمعداتها الحديثة نعده برهانا ناصعا على اقدام السوري المهاجر وكونه من حيث النهضة الصناعية يخط الطريق التي لا بد ان يتبعه فيها السوى ويعترفوا له فيها بالفضـل ان لم يكن عاجلا فآجلا.

فصاحب الهدى اكرم اصحاب الجرائد العربية على مطبعته. قد يكون ذلك من البراهين على المقدرة المادية الا انه في الوقت نفسه وبدون شك برهان ايضا على النهضة الفكرية وصدق النظر في الطرائق الحديثة المفيدة وسرعة الاقتباس لها. لا نقول ان صاحب الهدى اقدر زملائه معرفة بالطباعة من حيث اصول ودقة الصناعة. ولكنه مثال للصفة الخلقية في المهاجرين السوريين من حيث شجاعتهم على امتحان الجديد المجهول وتحينهم الفرص. وكأن صاحب الهدى من هذا الوجه طبق المبدا الذي وضعه للجريدة على المطبعة ايضا فزاد المطبعة تحسينا لذلك زادته نتائج بما وفرت له من التسهيلات والتوفيرات العظيمة في اصدار جريدتـه والقيام باشغاله الاخرى.

ففي مطبعة الهدى الان خمس منضدات عربية من صنع شركة مرغنتالر اثنتان منها من احدث طراز وهو المعروف بطراز ١٤. وقد كانت مطبعة الهدى اولى من استعملت هذه المنضدة في العالم ولم يهل صاحب الهدى كون هـذه المنضدة لم تمتحن بصورة تجارية في اللغة العربية من قبل بل اقتنع بما عرف من كونها مستعملة في اللغات الاخرى. او انه افتكر في كونها عدة لازمة في المطابع الامريكية حتى ان في بعض المطابع الكبرى منها عشرات ومئات فلم يتردد في مشترى اول منضدة وجدت لصف الحروف العربية. وترى ماذا كانت نتيجة اقدامه هذا؟ كانت انه تمكن من اصدار جريدته بضعف حجمها السابق وبحروف جميلة وبنفقة اقل مما كان يتكلف سابقا من اجور عمال عديدين اغنت عنهم المنضدة وهكذا امكنه ان يعمل بمبداه

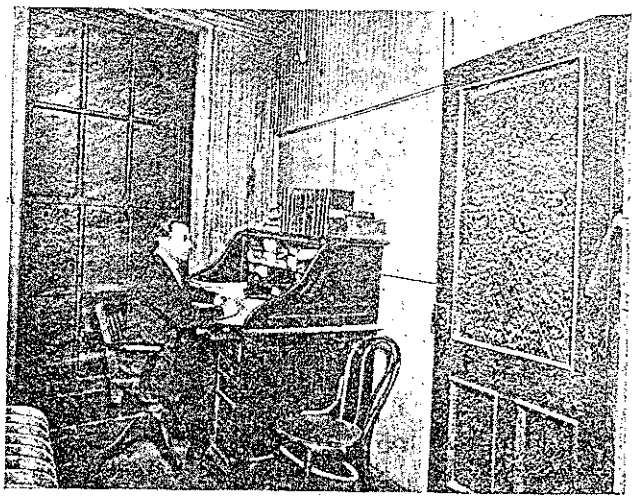

الشيخ عباس ابو شقرا المساعد في تحرير الهدى على مكتبه

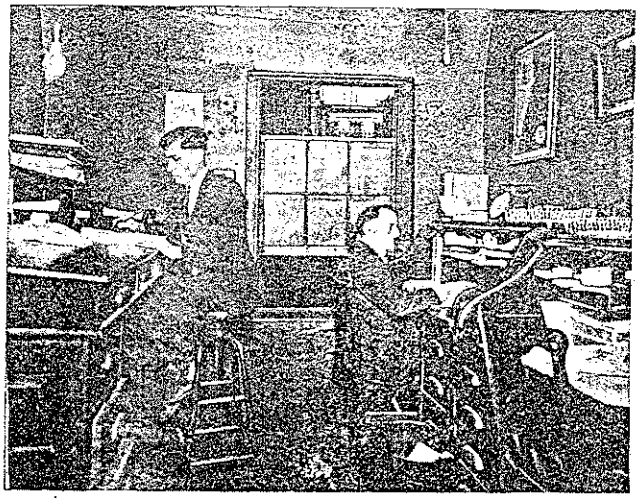

جانب من ادارة المحاسبة والذي الى اليمين هو الامير ماجد ابي اللمع متولي هذه الادارة والى اليسار معاونه جورج ميلان

من حيث انه زاد الناس تحسينا فكافاوه مكافاة من يقدر الخدمة الحسنة قدرها وزادوه اقبالا.

كان صاحب الهدى يشتري المنضدة تلو الاخرى من الطراز الاول للمنضدة حتى اجتمع لديه ثلاث منضدات. وقد كان على اثر ما ظهر من فوائد المنضدة في مطبعته ما اندفع اصحاب الجرائد الاخرى الى مشترى مثلها حتى ليست الان تخلو مطبعة عربية في نيويرك من واحدة ام اكثر منها بل اصبح كل الاعتماد عليها في صف الحروف واهمل صف الحروف باليد تماما. ولما ظهر الطراز الجديد المعروف بطراز ١٤ لم يتردد صاحب الهدى عن مشترى اثنين منه حالا. وهو الطراز الذي يمكّن من الصف على ثلاثة اشكال مختلفة من الحروف على المنضدة الواحدة في وقت واحد. وهذا ما يجعل لمطبعة الهدى الصفة الخاصة من الامتياز بكونها حاوية هذا العدد الكبير من هذه الآلة الحديثة العجيبة ويبرهن على امتياز السوري المهاجر بالاقدام

وفي مطبعة الهدى معدات اخرى حديثة حرية بالاعتبار ودالة على مقدار ما استفاد السوريون المهاجرون من التسهيلات الموفورة في محيطهم. فالالة الطابعة الكبرى في مطبعة الهدى تطبع على ورق متصل يجيء لفات وليس قطعا وهي تطبع الجريدة بصفحاتها الثماني وتطويها وتعدها وكل ذلك عن الحروف راسا وليس عن صفائح وتخرج الجرائد تامة بسرعة ٤٠٠٠ الى ٦٠٠٠ في الساعة. وهذه المطبعة تدار بمحرك كهربائي قوته عشرة احصنة وقد بني لها اساس خاص من الحجر. ولمطبعة الهدى الامتياز ايضا بانها اولى الجرائد العربية التي استعملت هذه الآلة الطابعة. وكانت طريقة الطبع من قبل ان تطبع الصفحات الاربع الاولى من الجريدة ثم الصفحات الاربع الاخرى ومن ثم تطوى اما باليد او على آلة للطي وهذه اول استعمالها في المطابع العربية كان في مطبعة الهدى ايضا.

ومن معدات مطبعة الهدى المتممة لعمل اصدار الجريدة بحالتها الحاضرة من الاتقان والتفنن آلة لسكب الصور وهذه قد لا يكون مثلها في مطبعة جريدة عربية خلا مطبعة الهدى ايضا وساعدها على ذلك وجودها في هذه البلاد. فالصور التي تظهر في الجريدة تجيء محفورة على كرتون خاص قابل لاحتمال الحرارة فتوضع قطع الكرتون في الآلة التي هي ذات طبقتين ويصب فيها الرصاص المصهور — وفي مطبعة الهدى قدر لصهر الرصاص تسع خمسمائة بوند — وما هي الا دقائق حتى يجمد الرصاص وتنطبع عليه الصور كما تكون محفورة على قطع الكرتون فتوخذ الصفيحة وتقطع الصور بمنشار يدور بقوة الكهرباء وتكون بعلو الحروف جاهزة للطبع بنوع ان كل هذه العمليات المتنوعة تتم داخل مطبعة الهدى فلا تضطر الى الاعتماد على مصادر خارجية مع ما في ذلك من خطر التاجيل وزيادة النفقة.

وفي مطبعة الهدى خلا ما تقدم آلة طابعة للكتب ومقاطع للورق تدار بالكهرباء ومطابع للاشغال التجارية منها ما

Arab American National Museum

تلقم الورق بنفسها بعملية مدهشة عدا الشيء الكثير من الحروف الانكليزية المتنوعة والمعدات واللوازم التي يطول تعدادها .

ذلك هو بعض وليس كل او جل ما يقال في وصف جريدة الهدى ومطبعتها ولكن القليل الذي ذكرناه يكفي للدلالة على ارتقاء هذا الفرع من مرافقنا السورية في المهاجر الامريكية ولبيان وجه من وجوه النهضة المتصف بها السوريون المهاجرون حتى توفقوا الى بلوغ المنزلة العالية التي ادركوها في مثل المدة القصيرة التي انقضت على مهاجرتهم .

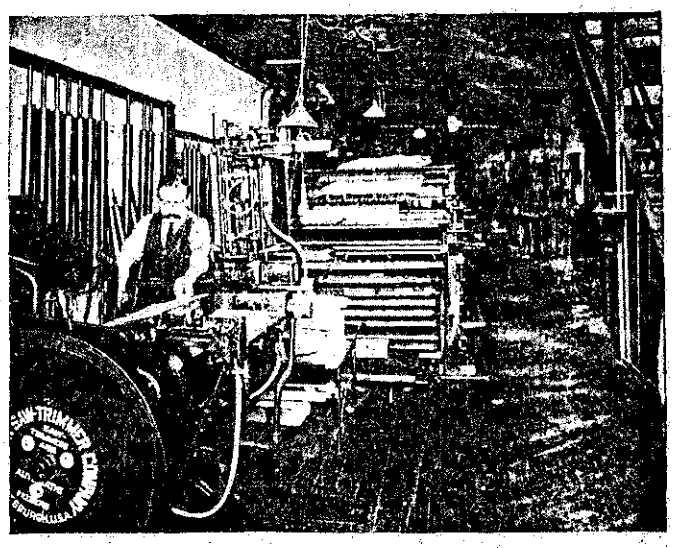

الآلة الخاصة بطبع الكتب في مطبعة الهدى مع مطبعة الاشغال التجارية التي تلقم نفسها والواقف عليها في صدر الرسم هو طوبيا نجا طوبيا من قدماء عمال الهدى الماهرين

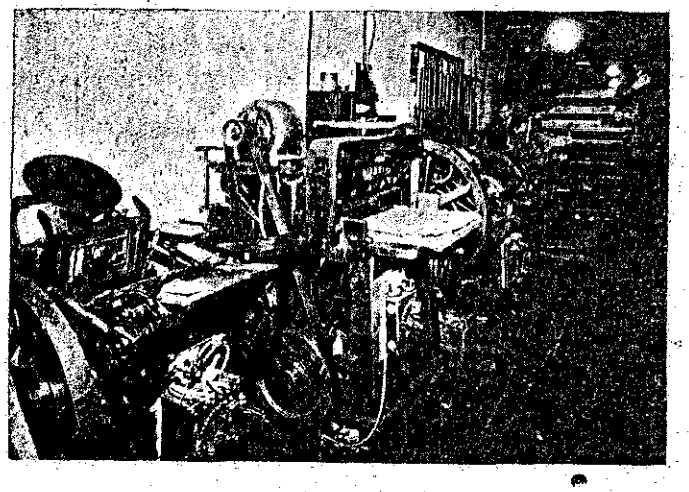

صف من المطابع الصغرى والمعدات الطباعية الحديثة في مطبعة الهدى ولكل آلة محركها الكهربائي الخاص

التجارة السورية

في

داخلية الولايات المتحدة

Arab American
National Museum

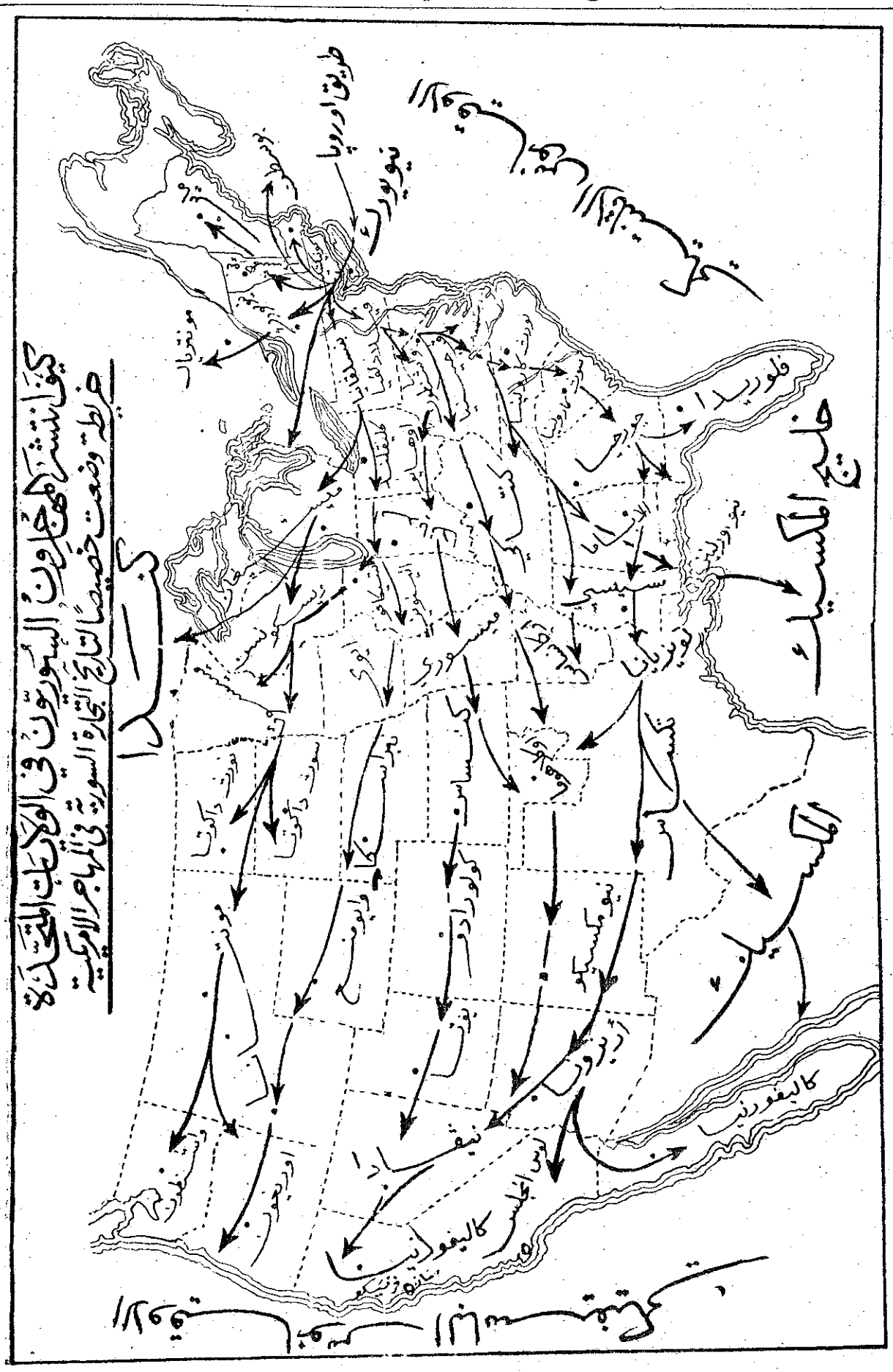
كيف انتشر المهاجرون السوريون في الولايات المتحدة
خريطة وضعت خصيصاً لتاريخ التجارة السورية في المهاجر الامريكية
فلوريدا
خليج المكسيك
كاليفورنيا

التجارة السورية في داخلية الولايات المتحدة

كيف نشات والادوار التي مرت عليها في تطورها ـ كانت من طبيعة تجارة نيويورك في بداءتها ولكنها فاقتها جدا بالتنوع والاتساع حتى اصبحت تتناول جميع مرافق الكسب فجاءت دليلا على مضاء همة السوري المهاجر الذي تمكن من بلوغ هذه المنزلة التجارية الخطيرة في مثل هذه المدة القصيرة

ان ما يقال عن التجارة السورية في نيويورك من حيث سرعة النمو واتساع الاهمية وعظم التنوع يصح ايضا على التجارة السورية في داخلية الولايات المتحدة التي لو اخذت بمجموعها لزادت في الاهمية اضعافا على تجارة نيويورك . غير ان طبيعة الظروف الخصوصية الواقعة في الداخلية تميز تجارة السوريين فيها من وجوه كثيرة جوهرية عن تجارتهم في نيويورك. ولذلك نجد انه وان يكن المنشا واحدا فقد طرات على تجارة السوريين في داخلية الولايات المتحدة صفات خاصة لم يكن في امكان تجارة نيويورك ان تتخذها. وهذا ما يجعل هذه النظرة في منشا وتطور تجارتنا السورية في الداخلية على نفس الاهمية التي وجدناها في البحث عن تجارتنا في نيويورك ان لم تزد عليها.

ففي المقام الاول لا بد لنا ان نراعي كون السوريين في الداخلية هم بمجموعهم اوفر عددا من اخوانهم في نيويورك على نسبة خمسة عشر الى واحد على الاقل. ولما كانوا جميعا من نفس الطبيعة والاستعداد ومتصفين بنفس الهمة والاجتهاد كان لا بد ان يكون نجاح السوريين في الداخلية كبيرا ايضا لا يحول دون بلوغه الى درجة نجاح السوريين في نيويورك الا اختلاف الظروف والعوامل المتفاوتة بين المدينة الكبرى والمدن الصغرى. فنيويورك بملايينها العديدة وعلائقها المتشعبة وصنائعها الوافرة وتسهيلاتها المالية والنقلية النادرة ينتظر ان يكون النجاح فيها على نسبة توفر استعداداتها. اما في الداخلية فالنمو بطبيعة الظروف لا بد ان يكون محدودا على نسبة عدد السكان في المدن وتوفر تسهيلاتها. غير ان ما يشفع بالداخلية انها اوفر نصيبا من موارد الغنى الطبيعية التي يسرنا ان نرى كثيرين من تجارنا السوريين قد انصرفوا الى الانتفاع بها فتاجروا بالغلال والزيت والقطن والمواشي والمعادن وغير ذلك من الاصناف التي لم يساعد السوريين في نيويورك محيطهم على معالجة التجارة بها.

بدء نزوح السوريين الى الداخلية

الممنا في النبذة العمومية السابقة باسباب وطرائق مهاجرة السوريين الى الولايات المتحدة وبمنشا وتطور التجارة السورية في نيويورك. ويكفينا الان في هذا المقام ان نراجع من ذلك الاشارة الى كون بوابة امريكا الكبرى كانت في بدء عهد المهاجرة كما لا تزال حتى اليوم مدينة نيويورك. وان يكن بعضهم في العهد الاول كان ياتي عن طريق فيلادلفيا وبوسطن وغيرهما من الثغور. وفي

Arab American National Museum

نيويورك نشأت المحال التجارية السورية الاولى التي كانت تبيع المتجولين سلعهم التي يحملونها. وقد كان تجول الباعة في البداية محصورا ضمن دائرة محدودة على ما قدمنا غير ان همة السوري الطبيعية واقدامه العجيب في المسالك التجارية دفعاه الى التوغل في الداخلية قصد الاستكشاف فكان المتجول السوري الخارج من نيويورك يزداد توغلا مرة عن اخرى وتطول غيبته في الاول اياما واسابيع ثم شهورا حتى ياتي على مكان تلوح له فيه بشائر التوفيق فيقرر الاقامة اما للتجول في الناحية او لفتح محل صغير في البلد وعلى هذه الصورة وضع اساس التجارة الناجحة التي اصبحنا نراها الان للسوريين في داخلية هذه البلاد.

ولا باس لاجل الفائدة التاريخية من التوسع في وصف طريقة هذا الفتح التجاري او الاحتلال السلمي الذي رافق نزوح السوريين الى الداخلية. فقد رافقت هذا الطور من حياة السوري المهاجر في هذه البلاد مشقات واخطار وتضحيات تجعله من الغرابة على اعظم جانب. مثلما ان نتائج النجاح الباهرة التي اسفر عنها تجعل وصف هذا الدور حقيقا بالتدوين تخليدا لذكر الهمة التي اوصلت المهاجر السوري الى درجته الحاضرة من الاهمية التجارية وبيانا للمقدمات التي سبقت تحقيق هذه النتائج افادة للاجيال المقبلة.

فمن المعلوم ان المهاجرة السورية الاولى انحصرت في الافراد دون العيال. فكان الرجل ياتي الى هذه البلاد مخلفا في الوطن امراة واولادا يعلل النفس بالرجوع اليهم في اقرب الفرص. وكان من المهاجرين الاولين نساء ايضا بنفس الظروف يتقن الى الرجوع الى من خلفن في الوطن من بعول واولاد. ولم يكن للفتاة السورية العازبة نصيب من المهاجرة الاولى بالنظر الى ما كان راسخا في اذهان ابناء الوطن من ضرورة المحافظة على سلامة العيال والسهر عليهم. فعندما كانت تدب حمى المهاجرة في افراد العائلة كان الرجل والامراة يتداولان في من يجب ان يسافر. ومن كان منهما اشد طموحا واصلب ارادة تغلب على الاخر. لان المهاجرة على رغم ما فيها من الم مفارقة العيال ولوعة الابتعاد عن الاوطان كانت امنية منشودة يتسابق حتى الرجل وامراته الى طلبها. ولكن الامراة في معظم الحوادث ما كانت لتسافر دون الرجل الا اذا كان قد سبقها الى المهاجرة احد انسبائها الاخصاء ورغبت في التغرب طمعا بالمساعدة والارشاد اللذين تحصل عليهما من هذا النسيب الذي تقدمها.

نذكر هذا لبيان بعض الظروف التي كانت على اعظم جانب من التاثير في تكييف حياة السوريين الاولى في المهاجر. فهم بسبب انفرادهم وعدم تقيدهم بعيال وشدة اشتياقهم الى العود الى تلك العيال وعظم رغبتهم في تحصيل المال باوفر قدر في اقصر وقت ممكن كانوا لا يبالون بالمشقات والاخطار يتجشمونها حتى الى درجة التهور في سبيل تحقيق هذه الغاية. لذلك بعد توغلهم في الداخلية وكثر تنقلهم في الانحاء وكانوا يقصدون حتى البيوت المنفردة في السهول او الجبال ويلحقون بالمنقبين والباحثين عن المعادن فيقيمون معهم في المضارب

قبل قيام العمران ويتعرضون لكثير من مساوىء الحياة واخطارها في مثل هذه الظروف وقبل انشاء هياة حكومة مدنية. واختلطوا ايضا بابناء العناصر الاخرى المهاجرة في نزالاتهم حتى انهم كانوا يتعلمون لغة هوءلاء الاجانب مثلهم على قدر ما يفي بحاجتهم لبيع السلع والمساومة. وكانوا يتجولون او يقيمون بين الزنوج والهنود او حيثما لاحت فرصة للكسب. كل ذلك وهم يحملون احمالا ثقيلة تهدُّ القوى ولا ينقطعون للنوم او الاستراحة الا عندما يضطرهم العجز.

فمثل هذا الاجتهاد المتناهي قلما سُمع بشبيه له في التاريخ. ومع اننا لا نزال حتى اليوم نشاهد له بعض الاثار بين حديثي الهجرة فحياة السوريين الاجتماعية والتجارية في الولايات المتحدة قد اختلفت الان عما كانت عليه في العهد الاول حتى تكاد لا تعرف. وذلك من جراء التطور الطبيعي الذي يطرا على كل مهاجر بعد اقامته مدة معتدلة في محيط ارقى من محيطه الاول وبلاد تكون موارد الكسب فيها اقرب منالا مما هي في وطنه الاصلي.

ندرك اذاً مما تقدم سبب الباعث الاهم من بواعث ذلك الاجتهاد الغريب بين المهاجرين السوريين الاولين والذي تجلى باشد مظاهره بين الفئة الكبرى منهم التي انتشرت في الداخلية. ذلك الباعث هو الرغبة في جمع اكبر قدر ممكن من المال في اقصر مدة ممكنة من الوقت قصد الرجوع العاجل الى الوطن. ولكن لنرَ الى اي قدر امكن تحقيق هذه الرغبة؟ هل توفقوا الى جمع مال وهل بعد ان توفقوا الى ذلك رجعوا الى الوطن؟

ان نظرة الى حالة السوريين الحاضرة في هذه البلاد تعطينا الجواب الصريح عن هذا السوءال. فهم قد توفقوا الى تحقيق واحد فقط من وجهي امنيتهم الاولى. وكان ذلك بحد نفسه داعيا الى عدم امكان تحقيق الوجه الثاني. لانهم كانوا كلما كثر مالهم المجموع كلما قلت رغبتهم في الرجوع. وكلما قويت علائقهم بهذه البلاد كلما ضعفت رابطتهم بالوطن. واسفرت النتيجة في معظم الحوادث عن انه بدلا من ان يعود المهاجر الى عياله وذويه في الوطن بعث يستقدمهم اليه في المهجر. ولولا ذلك لما كنا نرى للسوريين ما نراه لهم الان في الداخلية من المصالح على تنوعها وتقدمها واهميتها.

تطور التجارة السورية في الداخلية

لم يقصد سوري ناحية من انحاء الداخلية لغرض غير ما فيها من فرص الكسب. ولا اختار الاقامة في بلد الا مدفوعا بالعامل نفسه. فالكسب دون سواه كان كل شيء في وجوده. ومن الطبيعي ان لا يلتفت الى غير ذلك بالنظر الى ما كان يعلل به النفس من سرعة الرجوع الى الوطن فيقول في نفسه ان المدة التي عول على بقائها تنقضي كيفما كان ويكفيه جزاء مشقاته واتعابه السلامة والغنيمة.

وقد طرق السوري الداخلية اولا بياعاً متجولا. وكانت للبياعين «طرقات» معلومة يستاثرون بها ويانفون ان يُعتدى عليهم فيها. وربما ترافق بائعان فاستخص احدهما شارعا والاخر غيره. بل قد يتقاسم البائعان الشارع الواحد فيتقيد كل منهما بجانب منه ولا يتعداه. وكان البائع المبتدىء يرافق في الغالب احد انسبائه من ذوي الاختبار السابق فيرسم له هذا

Arab American National Museum

خطة ويحدّد له طريقا يقطعه في النهار على ان يلتقيا في المساء.

وبعد ان كانت تنقضي على البائع مدة وهو يتردد الى ناحية معلومة ويصبح معروفا بين سكانها كان في الغالب يعتمد الاقامة بينهم. فيقيم على الاكثر اولا مع احدى العيال ويبعث في طلب حاجاته من البضاعة حتى يتفرغ بكل وقته للتجول. حتى اذا ربى زبائن وكثر عليه الطلب بعث يستقدم احد انسبائه وفتح محلا صغيرا يبقى فيه احدهما ويخرج الاخر للبيع.

وكان يحدث انه عندما يكثر ازدحام البياعين في ناحية معلومة يهجرها ذوو الاقدام منهم لافتتاح طرق جديدة على مسافة ابعد حتى تكون اقل تعرضا للاكتشاف. انما الاقدام التجاري السوري لم يكن ليتقيد بحدود وما زالت هذه الفتوحات تتوالى والدائرة تتسع حتى شملت اقصى انحاء البلاد.

وكانت التجارة السورية في الداخلية وهي بنت التجارة السورية في نيويورك على نفس طبيعة امها اي قائمة على بيع البضائع القدسية والمستحدثات المستجلبة على الغالب من فرنسا. انما ما لبثت تجارة الداخلية ان تغيرت طبيعة وشكلاً بحكم الظروف وكان اليها عائدا الفضل في تطور تجارة نيويورك ايضا

فقد كان البائع السوري اذ يعرض ما لديه مما يدّعي انه مستجلب من الارض المقدسة يشتري الناس منه من قبيل الاعانة والتبرك. ثم لما يكثر ترداده ولا تكون باقية للناس حاجة في ما لديه انما باقية فيهم الرغبة في اعانته بالمشترى منه يسالونه مجيئهم ببعض ما يحتاجون اليه مما ينتفع به في البيوت. وهكذا من المسابح والصلبان والايقونات والصور اخذت تزداد الاصناف في «كشة» البائع السوري بانضمام الدبابيس والازرار والابر والامشاط والفراشي واقلام الرصاص والمرايا وما اشبه. ثم ازداد تنوع الاصناف باضافة المناديل والمناشف واغطية الكراسي والبيانوات والحمائل وربط الزنود والقمصان والجوارب وعقد الرقبة وما كان من هذا النحو. واستوجب ذلك ان يحمل الرجل «كشته» الاعتيادية على ظهره وعلاوة عنها حقيبة او جزدانا في يده. ونحن الان اذ ننظر الى ما كان يقاسيه من التعب والمشقة اولئك المهاجرون الاولون نتعجب كيف امكنهم احتمال ذلك شهرا بعد شهر وسنة بعد اخرى. ولا بد من الاشارة الى كون المراة كانت تتحمل نفس المتاعب اذ تحمل كشتها التي هي سلة في ذراعها وجزدانها الذي فيه شبه ما في جزدان الرجل في اليد الاخرى.

وعلى ذكر المراة السورية المهاجرة لا بد من القول ان لها فضلا في انشاء وترقية التجارة السورية في الداخلية موازيا لفضل الرجل ان لم يكن يزيد عنه. وقد ذكرنا ان هذا كان شانها في تاسيس وترقية التجارة السورية في نيويورك ايضا. لانها هي التي كانت العلة في ايجاد التنوع في المتاجر الذي طرا على التجارة السورية الاولى. فكما انها في نيويورك صرفت عناية التجار الى صنع او استجلاب او المتاجرة باصناف لم يكونوا يحلمون بها قبل ذلك وثبت بعد حين قصير ان هذه الاصناف كانت من دعائم التجارة السورية ومن اغزر موارد ارباحها هكذا هي في الداخلية كانت اكبر عون للرجل في

ترقية وتنويع تجارتنا فيها ايضا. فالتجارة بالملبوسات النسائية وبالسمانة وبالمفروشات وغير ذلك من انواع المتاجر التي اصبحت ذات شان كبير بين ابناء الوطن كان للمراة جانب وافر من الفضل في ايجادها. لانها عندما كانت اولا تطرق البيوت كان النساء يسالنها اتيانهن ببعض حاجات اللباس والفرش فلما تحولت التجارة من التجول الى فتح المخازن كانت هذه الاصناف قوامها وعمادها . وكل من يرجع بالذاكرة الى تصور حالة التجارة السورية الاولى يجد ان المراة فضلا عن انها كانت تتجول للبيع اصبحت بعد ذلك تقيم في المخازن وتبرهن عن كونها اكبر عون للرجل في قيام المصلحة. فهي كانت تبيع في مخازن الملبوسات والمفروشات والاحذية. وتقف وراء الطاولة في محال المرطبات والحلويات. ويكاد يكون عليها قيام محال السمانة. وعلى الجملة كانت لها يد في تاسيس وتنشئة المتاجر السورية بانواعها. ذلك علاوة على قيامها احسن قيام بواجباتها العائلية والبيتية. حتى اننا الان نجد المراة السورية لا تزال قوة عاملة فعالة في قيام التجارة فبنت البائعة المتجولة اصبحت ماسكة دفاتر ومشتغلة على الالة الكاتبة وبائعة في المخزن المرتب ومشترية بضائع وعلى الجملة معاونة في العمل بكل الفروع التي تشتغل فيها الفتاة الوطنية. ولا شك في ان تهذيب الفتاة السورية وتنشئتها في المحيط الامريكي عوض كثيرا من نقص وقصور والديها من هذا الوجه

ولنعد الان الى سياق الكلام عن تطور التجارة السورية في الداخلية. فانه عندما كان يعتمد بعضهم الاقامة الدائمة كانت هذه المتقدمة الاشارة اليها نفس بضائعهم. ومعظم الذين اقدموا على فتح المحال الاولى كانوا من الذين لهم انسباء يستبضعون منهم للتجول في الناحية. وقد يكون هذا الوجه من حياة المهاجرين السوريين الاولين من اقوى العوامل على ازدياد المهاجرة لان الواحد كان يكتب في استقدام ذويه واصدقائه من الوطن ليصيروا من عملاء محله فيسلمهم بضائع ويرشدهم في طرق البيع وتكون الفائدة متبادلة. ولم يعمد السوريون الى فتح المحال المخصصة ببيع المفرق بصورة اجمالية الا بعد تناقص عدد البياعين او عندما صار المثابرون على البيع مدركين من اسرار التجارة ما يمكنهم من مشترى البضاعة من نفس المصادر التي يرجع اليها التاجر الصغير في الداخلية.

وقد كان لخير التجارة السورية العام ما توقع هذا. لانه بعد ان كانت مساعي السوريين في تجارتهم محدودة وجارية ضمن خطة ضيقة اخذت في التنوع والتوسع. فمن نواة المحل الذي انشىء صغيرا لبيع المفرق نبت المخزن الجامع او «الديپارتمنت ستور» الذي اصبح للسوريين منه كثير في الداخلية. او ان بعضهم عمد الى الاختصاص فعدل عن المتاجرة باصناف لا تحصى بكميات صغيرة وقوة مستضعفة الى حصر مجهوداته في صنف واحد بلغ فيه منزلة عالية . وغيرهم انصرف الى التجارة بالفواكه وبالماكولات لانهم من درسهم حاجات المحيط الذي اقاموا فيه وجدوا هذه التجارة اقرب الى الربح. وسوى هؤلاء افتتح محال الحلويات والمرطبات ومنها للسوريين في الداخلية ما هو على غاية الاتقان. وتوصل بعضهم الى انشاء المعامل الاولية لكثير من الاصناف واشتغل غيرهم في استثمار المعادن والبترول وتعمير الاراضي وبناء البيوت وتربية المواشي وغير

Arab American National Museum

هذا كثير من المرافق الاخرى.

ونحن بالطبع مشيرون في هذه المقدمة الى اهمية التجارة السورية في الداخلية بوجهة اجمالية فقط اذ لو جئنا نسهب في وصفها اصلاً وفروعاً مع ما اتخذته من الاشكال المختلفة بمقتضى المحيط الذي نشات فيه والظروف التي طرات عليها لوضعنا من ذلك وحده مجلدا كبيرا. غير اننا ندرك نفس الغرض بما سننشر من النبذات التاريخيه عن الموءسسات التجارية السورية في الداخلية اذ يتسنى من ذلك فهم طريقة نشوئها والاطوار التي تقلبت فيها والفروع التي تشعبت اليهـا من تواريخ المحال الافراديـة التي نختارها للاستشهاد والتمثل فيكون تاريخ كل محل دليلا على حالة تجارة ابناء الوطن في الناحية التي هو فيها. وبهذه الواسطة ايضا نكون مسجلين لهوءلاء الذين نستشهد بنجاحهم الفضل الذي لهم في تاسيس تجارتنا السورية وايصالها الى درجتها الحاضرة من الاهمية مما يجب ان لا يذهب بدون ذكر تاريخي بالنظر الى ما آل اليه من تعزيز منزلتنا القوميـة. ذلك فضلا عما في نشر مثل هذه التواريخ من الفائدة الجلى في ايقاف جوالينا في سائر المهاجر واخواننا في الاوطان على ما وصلت اليه حالتنا الحاضرة في مرافقنا التجارية. ولا سيما اننا ناشرون مع وصف المتاجر رسومها الفوتوغرافية لتكون شاهدا حسيا على صحة الرواية.

هكذا على ما نعتقد نكون قد وضعنا تاريخ التجارة السورية في المهاجر الامريكيـة في شكل متقطع ومتصل معا. اذ من الوقوف على مجموعة النبذات التاريخية التي ننشرها عن المحال الافرادية يمكن الوقوف على تاريخ تجارتنا مجموعا في جميع اطوارها وحالاتها. فضلا عما في هذه الطريقة من الفائدة الجليلة من حيث تخليد فضل الافراد الذين صيروا باجتهادهم ومقدرتهم متاجرنا في المهاجر على ما هي

ونحن في نشرنا النبذات التالية غير متبعين نظاما او سياقا مخصوصا سواء في اعتبار الجهات او انواع المتاجر. فمنشأ تجارتنا في الداخلية واحد وقـد سبقت الاشارة اليـه. ويصبح المهم ان نقف على الاطوار التي تقلبت فيها والحالة التي وصلت اليها. ولما كانت في تطورها لم تجر على سياق مخصوص مطرد فنحن لا نقدر على ملاحقة مثل ذلك السياق. انما المحال التي ننشر تواريخها تجيء بمثابة وصف للاشكال المختلفة التي اتخذتهـا التجارة في حالة تطورها وفي الجهات التي نبتت ونمت فيها. وكل ما نرجوه ان نكون موفقين الى حسن القيام بهذه الخدمة الجليلة في وجه الامة السورية تخليداً لذكر نجاح الفئة التي هاجرت منها وبرهنت على كونها في هذا العصر المتاخر قد هاجرت وتاجرت وادركت في ذلك من النجاح ما جعل لها دولة تجارية مترامية الاطراف اشبه بما كان لاسلافها الفينيقيين في القديم.

معمل يوسف مارون وشركائه في نوارك نيوجرزي

هذه المصلحة هي من كبرى الاشغال السورية في الولايات المتحدة ويزيدها اهمية انها تقتضي لادارتها معرفة اختصاصية فائقة لانها قائمة على اعداد افرية الارانب لقماش قبعات الرجال ومع ذلك فصاحبها قد بلغ في اتقانها حدا جعله في المصاف الاول من المشتغلين بهذه الصناعة في البلاد

في قلب الحي الصناعي في مدينة نوارك نيوجرزي المشهورة بتعدد واهمية صنائعها معمل كبير حديث المعدات حسن التنظيم لرجل لبناني هو يوسف عبدالله مارون من عمشيت يدور على صناعة قل من يتصور ان ابناء سوريا المهاجرين الى هذه البلاد انصرفوا الى مثلها بالنظر الى عظم ما تقتضيه من الخبرة الفنية في الكيماويات والميكانيكيات وطرائق الاقتصاد في الادارة حتى تجيء محاصيلها عند رضى وقبول من يستعملونها من اصحاب معامل القبعات. لان الصناعة التي نحن مشيرون اليها هي تمهيدية اعدادية بطبيعتها ويستلزم الاشتغال بها صبرا وعناء عظيمين مع ان المعروف عن ابناء وطننا المهاجرين انهم يجتنبون الصعب ويسعون وراء الهين من مرافق الكسب. والحقيقة انهم كانوا كذلك في زمن فات اما اليوم فاننا لا نكاد نجد عملا مهما يكن نوعه او صفته او مهما تكن صعوبته او سهولته واهميته او تفاهته الا ونجد من ابناء الوطن من انصرف اليه ومارسه وعلى الاخص في داخلية الولايات المتحدة حيث المجال على اعظم ما يكون من الاتساع لكل نوع من الاشغال.

والاغرب من هذا اننا نجد مواطنينا المهاجرين المشتغلين في هذه الصنائع مبرزين فيها الى درجة تشهد لهم بمنتهى الحذق والمهارة. ذلك بالرغم مما هو معروف عن سوادهم من عدم الاستعداد الابتدائي لمثل هذه الاشغال

وقبل ان تتطرق الى وصف الاطوار التي تقلب فيها صاحب هذه المصلحة حتى توصل الى درجته الحاضرة من النجاح يجدر بنا وصف معمله لاظهار ما فيه من الاستعدادات الصناعية وما تقتضيه ادارته من المعرفة الفنية لان الوقوف على اهمية النتيجة يدل دلالة واضحة على اهمية المقدمات.

يوسف مارون
صاحب معمل الافرية في نوارك نيوجرزي

فالصناعة القائمة عليها هذه المصلحة هي اعداد الوبر النامي في افرية الارانب للقماش السميك واللبّاد الذي تصنع منه القبعات. وقد يلوح لاول وهلة ان هذه الصناعة سهلة بسيطة اتما لا يلبث هذا الوهم ان يتبدد بعد الوقوف على دقائق العمل وتعدد الاطوار التي لا بد ان يتقلب فيها الجلد قبل ان يصل الى الدرجة الصالحة للاستعمال

فالمادة الاولية الاساسية في هذه الصناعة هي افرية الارانب واكثرها ياتي من اوستراليا مع ان منها ما يرد من نيوزيلند واوروبا. والبواخر الناقلة هذه الجلود ترسو راسا في مرفا نوارك ولا تستلزم زيادة نفقة لاعادة النقل. والجلود تدخل معمل يوسف مارون وشركائه بحالتها الطبيعية كما تصل من الخارج وكل ما تقتضيه من

Arab American National Museum

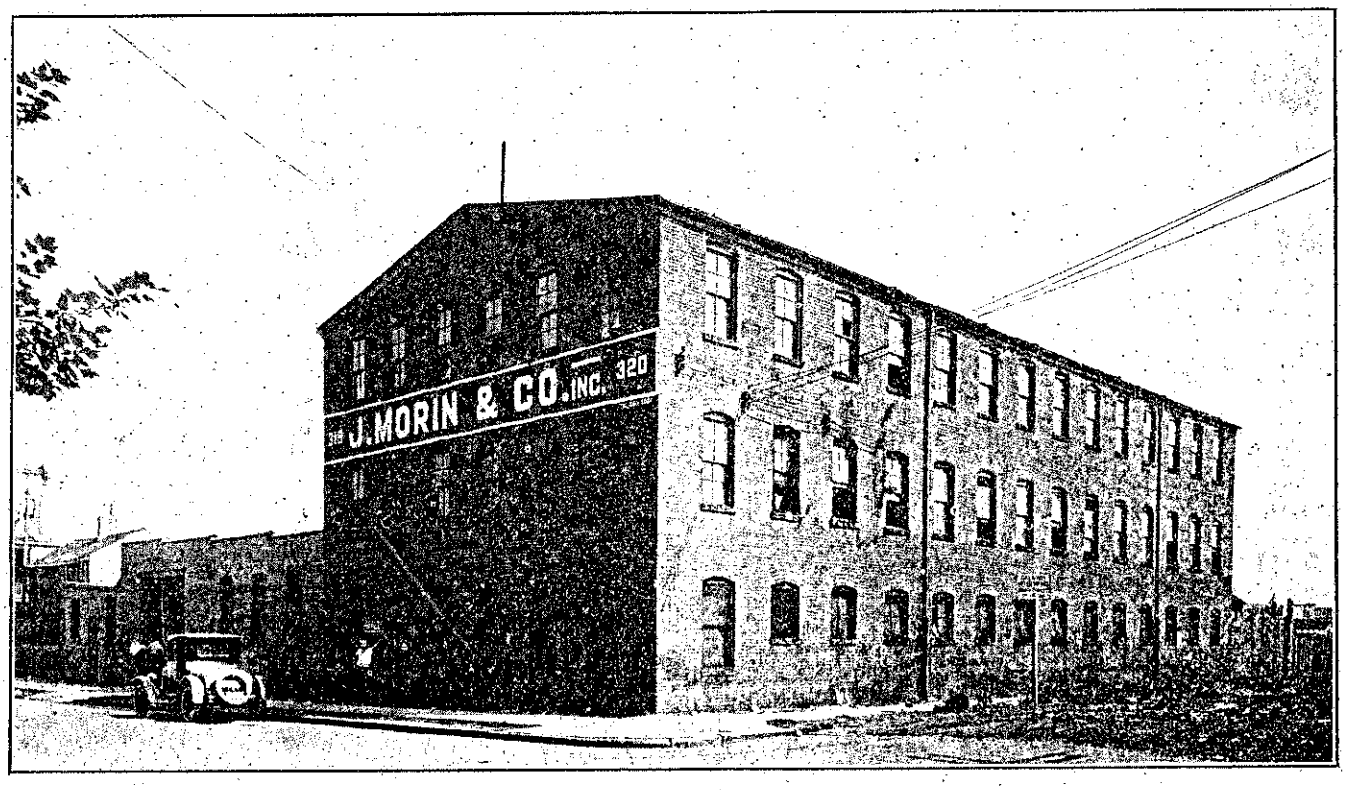

رسم معمل يوسف مارون وشركائه في نوارك نيوجرزي من الخارج والبناية التي الى يسار الرسم ذات البوابة الكبيرة هي قسم الاستلام والشحن الملحقة بالمعمل الكبير

العمليات المختلفة لجعلها في حالة صالحة للاستعمال يجري في داخل المعمل.

توزن الجلود وتعد حال وصولها ثم تنقل الى الطبق الاعلى من المعمل حتى تمر في العمليات المختلفة تدريجا وباكثر ما يكون من الاقتصاد في حركة النقل فلا تعود الى الطبق الارضي الا وقد اصبحت في الدور الاخير مهياة للشحن. واول ما يصنع بها انها توضع في شبه براميل ضخمة من شريط مبطوحة تدور على مصراعين وفي اثناء دورانها ترش الجلود بالماء من انابيب ذات عيار ظاهر في الخارج فلا ترشح الا بالقدر اللازم. وهذه العملية تسمى عملية التطرئة. لان الجلود في حالة وصولها تكون قاسية مقلوبة ظهرا لبطن. فيكون ان الماء الذي يرطب الجانب الاملس من الجلد لا يمس الفرو وهو المادة الثمينة فيه.

وبعد هذه العملية تخرج الجلود وتفتح وتقطع ارجلها واذنابها لعدم صلاحيتها للغرض المقصود. وانما بدلا من ان تتلف وترمى تباع لاغراض اخرى صناعية. حتى العظام الصغيرة التي في الاذناب تستخرج وتسحق لتستعمل سمادا. فلا يذهب والحالة هذه شيء ضياعا.

ثم ان الجلود تفرز وتعرب بحسب الوانها ونعومتها وطول شعرها لان هذه الخاصيات فيها هي التي تقرر درجات ثمنها. وبعد ذلك تدخل في دور المعالجات الكيماوية. وقد كانت الطريقة الشائعة في هذه المعالجة ان ياخذ العامل الجلد ويداه ملبستان بقفازين من المطاط السميك وفاية لهما من الاحتراق فيمسك الجلد باليد الواحدة ويمبضه باليد الاخرى بفرشاة مشبعة بسائل كيماوي مركب من الزئبق وحامض النيترات. اما الان فقد اخترعت آلة تعمل هذا العمل كله وتقوم مقام عشرات العمال ولا يتعرض العامل من استعمالها لاقل خطر لان السائل الكيماوي الذي يمر به الجلد غير ظاهر. ويسرنا ان نذكر ان هذه الآلة العظيمة الفائدة في هذه الصناعة هي من اختراع المواطن صاحب هذا المعمل وقد اخذ بها تسجيلا وسيصنع منها للبيع بعد حين.

ولا بد للجلود بعد النقع بالكيماويات على الطريقة المتقدم وصفها ان تجفف قبل ان يمكن مواصلة العمل عليها. ولكن بدلا من ان تنشر في الشمس والهواء وهي عملية تقتضي فسحة كبيرة وتبقى ابدا معرضة للعوامل الجوية يستعاض عن ذلك بالبخار ولاجل هذا تجد في

جزء من المكتب في معمل يوسف مارون وشركائه وصاحب المعمل جالس الى مكتبه في الصدر

معمل يوسف مارون غرفة طولها ٨٥ قدما تسمى الفرن مدت على طولها الانابيب البخارية تجري فوقها شبكةمن الشريط تبسط عليها الجلود فتسير بحركة متمهلة معرضة للحرارة من جانب واحد فقط بحيث يجف الشعر ويبقى الجلد رطبا طريئا ٠

وبعد هذا تبتدىء العمليات الفنية الرئيسية التي تستلزم خبرة خاصة في ادارة الآلات وتمرنا على سرعة الحركة٠ لان في المعمل صفا طويلا من الآلات الخصوصية تدار كلها بقوة البخار وهي مجهزة بشفرات تعدل حتى تقص الشعر على طول معلوم قصا متساويا تلقم الجلود من جانب فتخرج من الجانب الآخر وقد نزع منها الشعر او ما كان من الفرو قاسي الاطراف ولم يبق عليها غير اصول الشعر الكثيرة النعومة التي هي اشبه بخوافي الطير٠ اما الشعر فان مجاري هوائية في هذه الآلات تطيره من الآلة وتجمعه في اكياس معدة لهذا الغرض في مكان بعيد٠وهذا الشعر غير كبير القيمة ويباع على حدة٠

ثم ان الجلود بعد ان تصبح على هذه الحالة تنقل الى ماكنات اخرى قد تكون اعجب بدقتها من جميع انواع الآلات المتعددة التي في المعمل٠لان وظيفتها قائمة على نزع الوبر من الجلد مع المحافظة على هيأته كانه لا يزال متماسكا في حالته الطبيعية ٠ واذا انت وقفت في مؤخرة هذه الآلة لم تر غير خيطان رفيعة من الجلد تتساقط بسرعة مدفوعة بريح قوية ٠ اما اذا انتقلت الى مقدمة الآلة فانك تجد الوبر بالهيئة التي كان فيها على الجلد محمولا على بساط طويل من المطاط يدور على نفسه وعلى جانبيه بنات يتناوبن كشط الوبر عنه فينزعن ما كان من الاطراف مختلف اللون او غير متساوٍ في النعومة فيضعن هذه الزوائد في مكان مستقل لانها قليلة القيمة اما الباقي فيجمع في اكياس كبيرة وينقل الى مكان آخر في المعمل وهناك يدخل في عمليته الاخيرة فيوضع في ظرف آلة كبيرة للندف مغطاة بالقماش السميك في داخلها دواليب تضرب هذا الوبر الناعم ضربا عنيفا اذ هي تدفعه الى الامام في حين ان مجرى قويا من الهواء يساعد على تنظيفه وتنقيته من كل وسخ او غبار فلا يخرج من الطرف الآخر من الآلة حتى يكون اشبه بالقطن المندوف ولكنه بلون ونعومة الحرير واذ ذاك يوزن وزنا دقيقا ويوضع في اكياس تهيئة له للشحن الى المعامل الاخرى التي تصنع منه القماش٠

وبعد ان يمر صوف الارنب في هذه العمليات ويصبح على الحالة التي تقدم وصفها يمكنك ان تاخذ قليلا منه

Arab American National Museum

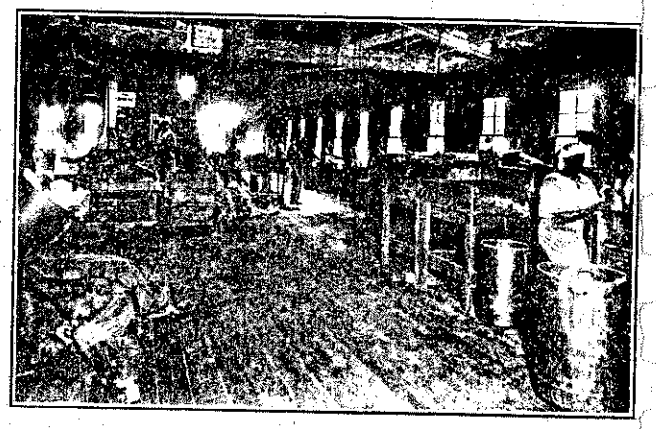

جانب من المعمل مخصص لنقع الجلود بالسوائل الكيماوية

صف من الماكنات تنزع الشعر عن الجلد

ونفركه بين كفيك فلا يلبث ان يصير كالحبل المتين المجدول يستحيل قطعه. وهذه هي المادة التي يصنع منها لبّاد القبعات. اما لو بقيت مختلطة فيها الاطراف القاسية لما امكن ان تصير على هذه الحالة المتماسكة.

فهذا هو المعمل الذي بالرغم مما يتطلب لادارته من الخبرة الفنية يديره رجل سوري مهاجر لم ينشأ في محيط صناعي حتى تناهب نفسه عن صغر لمثل هذه الاعمال بل كل ما ورث من محيطه الاستعداد والذكاء الفطريين وما هو مشهور عن ابناء سوريا ولبنان من القابلية للاقتباس فضارب ارباب هذه الصناعة في اشغالهم الدقيقة واصبح من المبرزين بينهم فيها.

واننا حين نقف على تفاصيل جهاده والمشقات التي عاناها في التوصل الى منزلته الحاضرة من الاهمية نعجب بهذا المثال الآخر من الهمة الشماء التي صيرت المهاجرين على ما هم عليه من النجاح في جميع المرافق التي انصرفوا اليها. فقد هاجر المواطن يوسف مارون مع والدته وهو فتى لا يتجاوز الحادية عشرة للاجتماع بابيه الذي كان قد سبق وجاء هذه البلاد. وكان نزوله في مدينة فولريفر في سنة ١٨٨٢ وهناك اقام وانصرف الى الاشغال الشائعة بين ابناء الوطن اذ ذاك من بيع واشتغال في المعامل. وكانت اجرته الاسبوعية في البداية ثلاثة دولارات ونصف دولار غير انه كان يرقب الفرص للتقدم فعرف الى مدير احد معامل القبعات الذي عرض عليه ١٨ دولار فقيل انما جعل عمله هيّنا لاعتبار انه فتى غير ان الفتى اثبت انه قادر على القيام باشغال الرجال فما جاء الاسبوع الثاني حتى اصبح يحصل ثلاثين دولارا الى ان توقع ان صاحب المعمل الذي كان يشتغل فيه توفق الى اختراع آلة تقص الجلود تقوم مقام قصها باليد وكان

غرفة التجفيف فوق القساطل البخارية في المعمل

صف من الآلات تجز الوبر عن الجلود امامها العاملات المتوليات تنقية الجزة وعرب الوبر بالماكنة واحتنابه

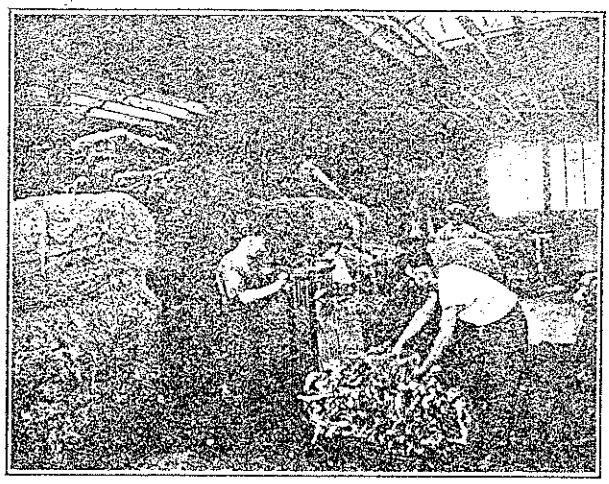

حيث تدخل الجلود الى المعمل وتخرج منه ــ الجلود توزن عند وصولها والبالات المكردسة في المكان هي نسيل الجلود بعد ان ينزع عنها الشعر

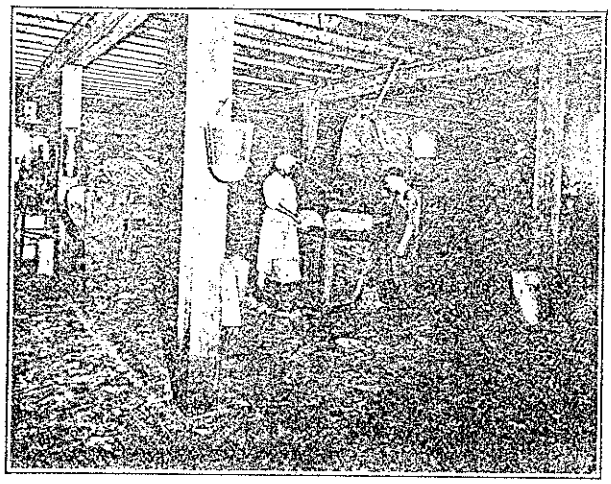

العملية الاخيرة في هذه الصناعة ــ ندف الوبر وتنظيفه قبل ان يوزن ويوضع في اكياس من الورق السميك ليشحن الى الخارج.

حريصا على سرها ان يضيع فلم يأتمن في العمل عليها غير فتانا اللبناني بالنظر الى ما ظهر له من حذقه وصدقه فاخذ عليه عهدا ان لا يبوح بالسر فكان يقفل عليه مع اختراعه في غرفة مستقلة مدة اربعة شهور حتى ثبتت له صلاحية الآلة فاستصنع منها ثمانين دفعة واحدة فتسنى له ان يجمع من وراء ذلك ثروة طائلة لان غاية ما كان في امكان العامل الفرد ان يحضر من الجلود في النهار لا يزيد على ثلثمائة اما بوجود الآلة فكان يحضّر الفا ومائتين وازيد. ولما تم اصطناع هذه الماكنات الجديدة جعل صاحب المعمل مواطنا مناظرا على العمال جميعا يدربهم في طريقة ادارة الماكنة التي كان قد اتقن معرفتها لاستقلاله بالشغل عليها.

وقد بقي المواطن فتى هذا المعمل ست سنين فذاعت شهرته بين المشتغلين بهذه الصناعة فاغراه احدهم بزيادة كبرى في الاجرة للاشتغال عنده في مدينة دنبري من ولاية كنكتكت وهنا ايضا بقي ست سنين. وكان خلا شغله اليومي قد فتح اشغالا اخرى ينصرف الى ادارتها في المساء كمحال للمرطبات وغيرها فجمع مالا حسنا. ثم انه نقل الى مدينة نوارك حيث هو الآن واشترك مع بعض المتمولين الامريكيين لفتح معمله الحالي وقد كانت ارباح المعمل في سني الحرب تبلغ مئات الالوف غير ان ازمة سنة ١٩٢٠ ذهبت بكثير من هذه الارباح لان السعر سقط على حين فجأة من ١٢ دولارا البوند الى ٣ دولارات وكانت موجودات الجلود في المعمل كبيرة لان مقطوعية المعمل حتى في معدلها الحالي لا تقل عن ٣٥ الف جلد في اليوم الواحد. الا ان هذا المواطن لم يكن في اي وقت من الاوقات متهورا في اشغاله فرضه السقوط انما لم يكسره واشغاله الآن سائرة على احسن ما يكون من الانتظام والرواج.

Arab American National Museum

محل جريصاتي اخوان في فرجينيا مينسوتا

جهل اصحاب هذا المحل اصول التجارة عرضهم للخسائر البليغة في البداية ولكنهم اكتشفوا سرا عجيبا للنجاح هو الاعلان بصدفة غريبة فاغتنموا الفرصة السانحة وادركوا بحذقهم نجاحا اصبح يضرب به المثل في جهتهم ٠

(الخواجات جريصاتي اخوان التجار الكبار في فرجينيا من اعمال ولاية منيسوتا من ذوي الاسم الطيب في الاندية التجارية وذوي المقام الرفيع في الدوائر المدنية والاجتماعية ٠ تقول ذلك استنادا الى ما نقراه عنهم كل حين واخر في جرائد مينسوتا والولايات الغربية مما نستدل منه على كونهم ليسوا فقط وجهاء بل زعماء في ناحيتهم ليس في الحركات التجارية وحدها بل في المشاريع المدنية والسياسية ايضا ففي كل موءتمر يعقد لتجار الملبوسات النسائية والاحذية في الناحية الغربية يدعى سليم جريصاتي اما لترءوس الاجتماع او للخطابة فيه ٠ والاخوان غير ضنينين بوقتهما او مالهما في سبيل نصرة المشاريع البلدية او الوطنية وحين يجتمع ذلك الى ما لهما من المنزلة التجارية المعتبرة لا يصعب علينا ادراك سر تقدمها ورفعة منزلتهما ٠

اما تاريخ تاسيس تجارتهما وطريقة نموها المدهشة فقد اغنتنا مجلة «نورتوسترن» التجارية موءونة التنقيب عنه٠ وانه ليسرنا ان ننقل هذه النبذة التاريخية عن محل مواطنينا جريصاتي اخوان ليس لان في ذلك توفيرا لعناء عنا بل لان الشهادة في نظرنا تكون اقوى اذا جاءت من اجنبي٠ ونحن مع تهنئتنا هولاء المواطنين بنجاحهم يسرنا ايضا ان ننشر تاريخهم كمثال لجهاد ونجاح تجارنا في داخلية هذه البلاد ونسال كل من يهمه الوقوف على اسباب واسرار النجاح ان يتامل العبرى الواردة في تاريخ هذين الاخوين ويرى ما اذا كان هو ايضا لا يقدر ان يستفيد بقدر استفادتهما من اتباع خطتهما في التعويل على الاعلانات ـ المحرر

قالت مجلة «نورتوسترن» الامريكية

توجد وراء كل تجارة ناجحة لمحة من التاريخ تتضمن من بعض الوجوه انواعا من اللذة والصفات الجذابة تفوق ما يوجد منها في بعض القصص المبتدعة الوهمية او حكايات الحب الموضوعة باقلام ارباب هذا الفن٠ وهذا ليس بالامر الغريب خصوصا عندما نذكر ان حاصل ما يقوم به الموءلف ليس سوى رسم لمجموع حوادث حقيقية او وهمية يلعب فيها الممثلون ادوارهم الخصوصية المنسقة

ويوجد في مدينة فرجينيا الصغيرة بولاية مينسوتا المعروفة بضوضاء اعمالها محل تجاري بالمفرق هو في نموه ونجاحه والاسباب الباعثة عليهما يحتوي على عناصر تشاكل من كل الوجوه بلذتها الفائقة بنات افكار اي موءلف للروايات الملفقة وتختلف عنها من حيث ان لحكاية هذه التجارة ميزة فائقة وآية ذهبية لكل تاجر يريد ان يشيد عمله للمستقبل على اساس متين راسخ

فجريصاتي اخوان قد انشاوا المحلات التجارية المتقنة والبالغة في التنظيم العصري حدا قل مثيله ليس فقط في الشمال الغربي من البلاد بل في كل ناحية منها ٠ ادرك هولاء الاخوان من نحو عشرين عاما وبعد معاناتهم بيع المفرق زمنا قصيرا ان مسعاهم قد فشل واعمالهم في هذه التجارة قد خابت ومن اجل هذا قر رايهم على العدول عن خطتهم هذه فكان هذا التصميم منهم اصل نجاحهم المدهش الذي تاتى لهم في الاعوام الاخيرة على الاكثر ٠

ولكي تكون قصتنا هذه تامة نبدا من اولها فنقول٠ ترك سليم وبشاره نقولا جريصاتي بلادهما سوريا وعمرهما يومئذ ١٤ و١٩ قاصدين بلاد امريكا العجيبة التي سمعا عنها اخبارا مدهشة٠ مسقط راسيهما زحلة في لبنان وكان لوالدهما مخزن في مزرعة على مقربة من هذه المدينة التي كان عدد سكانها عشرين الف نفس ومعظم تجارته كانت مع المزارعين جرت معه امدا معلوما على صورة رابحة الا انه في احدى السنين لم تعط الارض غلتها فلحق به خسارة فاحشة اضطرت معها الام الى بيع مصاغها لكي تسدد بثمنها ما على المحل من الديون٠ وهكذا اصبح المحل

الشاب الظاهر الى اليمين هو سليم جريصاتي احد اصحاب محل جريصاتي اخوان في فرجينيا مينسوتا الذي اسس مع اخيه تجارة يشار اليها بالبنان من حيث التنظيم والجري على القواعد الحديثة وقد اخذ الرسم سنة ١٩٢٢

والفتى الظاهر رسمه الى اليسار هو سليم جريصاتي نفسه في سن الرابعة عشرة عند اول مهاجرته الى هذه البلاد . والمتامل في الرسمين يدرك بلحظة الادوار التي تقلب فيها هذا الفتى المهاجر ولا يعجب من ادراكه منزلته الحاضرة لما ينبعث من عينيه من نور الذكاء .

التجاري مرهونا وصمم الاخوان على السفر الى امريكا التي قيل لهما عنها يومئذ ان الذهب يلتقط من شوارعها.

وكان قد سبقهما اليها اخ اكبر منهما سنا واقام في بلدة كرافتون من ولاية نورث داكوتا . ولما وصلا نيويرك سافرا الى مدينة سانت بول في ولاية منيسوتا راسا على امل الالتقاء باخيهما . على ان القضاء والقدر قلب تدبيرهما بطنا لظهر اذ كان اخوهما كارل مريضا يومئذ فلم يقو على الذهاب الى سانت بول . وفي ذلك الحين استخدم احدهما بشاره جريصاتي بوظيفة كاتب في محل تجاري سوري في تلك المدينة اشهرا معدودة ولكنه ترك تلك الوظيفة وعول على بيع الابضعة في المزارع المختلفة في ولايةوسكنسن

اما سليم جريصاتي فانه حال وصوله تولاه ابن عم له واخذه الى مخزن احد السوريين الذي كان يبيع البضائع للباعة المتجولين ومنه اشترى بضاعة وتجول للبيع من بيت الى آخر في سانت بول . ولقيا في عملهما الجديد صعوبات جمة بالنظر الى جهلهما اللغة الانكليزية في ذلك الحين. على ان ذلك لم يثبط عزيمتهما بل ثابرا على السعي جادين في بيع الازرار والخيوط والامشاط وما شاكلها .

وكان مما قاله احدهما انه لم يكن يظن ان الارباح تكون عظيمة بهذا المقدار من تجارة تافهة كهذه فانه كان يشتري دزينة البكر بثلاثة عشر سنتا ويبيع منها كل بكرتين بخمس سنتات. وقال انه لدى اول شروعه في هذه التجارة سال السيدة التي في المخزن اذا كانت تبيعه دزينة من بكر الخيوط بالدين فاجابته الى ذلك. فجال ليبيعها وكان عندما يقرع ابواب المنازل وتخرج السيدة يمسك باليد الواحدة بكرتين ويرفع اصابع اليد الاخرى كلها كانه يقول لها ان البكرتين بخمس سنتات

فباع الدزينة الاولى في اقل من نصف ساعة وعاد ليوءدي الثمن وتمشى على هذه الخطة من ذلك اليوم. فكان يبدا بالتجول عند الساعة السابعة صباحا ولا يرجع الا الساعة السادسة مساء . وبقي سليم جريصاتي في سانت بول نحو سنة وكان اخوه الذي ذهب الى ولاية وسكنسن قد انشا محلا تجاريا صغيرا بشركة رجل آخر وكان راس مال ذلك المحل ٩٠٠ دولار. وبعد انقضاء ستة شهور انحلت الشركة وقسمت الموجودات فكان نصيب جريصاتي ٣٢٥ دولارا

Arab American National Museum

محل جريصاتي اخوان من الخارج وتظهر من الرسم العناية المبذولةفي حسن تنسيق البضائع المعروضة في النوافذ.

بضاعة لا نقدا

وكان سليم جريصاتي في الوقت نفسه قد ترك مدينة سانت بول وقصد دليوت في ولاية نورث داكوتا وغادرهذه ايضا ذاهبا الى ايرون رنج حيث تابع التجارة متجولا من بيت الى بيت . وبعد ذلك بوقت قصير قر راي الاخوين على الاجتماع في فرجينيا بولاية منيسوتا وعدد سكانهايومئذ ٣٥٠٠ نفس. وهناك انشأا محلا تولاه احدهما بينماكان الاخ الاخر مثابرا على التجوال للبيع .

وبقيا حسب قول احدهما تسعة اشهر في تلك الناحية ومدخول المحل لا يزيد على الدولار وربع كل يوم. وكان الاخ الثاني يتجول للبيع حاملا جزدانين فيهما بضائع مختلفة. ومر عليهمافي تلك الحال نحو ثلاث سنوات اضطر احدهما في اخرها الى ترك البيع متجولا لاسباب جسدية. وفي غضون هذه المدة بقيت التجارة في المخزن على حالها بلا نمو يذكر. واخيرا قر رايهما على تقويم المحل للاطلاع على حقيقة حالتهما .

فاتضح لهما من التقويم ان موجوداتهما معاثاث المخزن تبلغ ٢٦٠٠ دولار وان الدين الذي عليهما للمخازن التي كانا يبتريان البضائع منها ولبعض الانسباء يبلغ ٣٠٠٠ دولار . وفضلا عن هذا العجز الكبير فهما قد خسرا راس المال الاصلي . ولهذا وجدا من الضروري التصميم على امر فقر الراي على اقفال المخزن. والى ذلك الحين لم يخطر لهما ان للاعلان علاقة بالتجارة على انهما وجدا من الامور التي لا بد منها للتخلص من البضائع الباقية عندهما وتحويلها الى نقود ان يطلعا السكان على مقصدهما

وعند هذه النقطة ابتدا دور الانقلاب معهمافي تجارتهما فطبعا اوراقا اعلنا بها واقعة الحال وعزمهما على التصفية ومنذ ذلك الحين تبدلت احوالهما من رديء الى احسن واقبل الناس عليهما زرافات ووحدانا وتحسن المتجر الذي كانا مصممين على تصفيته الى ان اصبح محلهما في السنوات الاخيرة من اكبر المخازن في المدن المجاورة والتي تزيد في السكان على سكان بلدتهما اضعافا مضاعفة

طبعا الاوراق المشار اليهابالغتين الانكليزيةوالفنلندية ووزعها سليم جريصاتي بذاته على المنازل كلها. واعلنا فيها انهما عازمان على بيع ما عندهما من الابضعة بثمنها الاصلي واستعدادا لذلك المبيع افرغا البضائع كلها من

محل جريصاتي اخوان من الداخل ومجرد النظر الى الرسم يغني عن الاسترسال في وصف الاتقان وجمال الترتيب العصري ·

علبها على طاولات وكتبا على كل قطعة منها ثمنها الاصلي الذي تباع به · فاقبل الناس ملبين الاعلان وغص المخزن بمريدي الشراء· وكان الافتتاح يوم السبت وفي ذلك اليوم بلغ ما باعاه ١٧٥ دولارا · وقال احدهما سليم «اننا لم نتعود قبض مثل ذلك المبلغ في يوم واحد من قبل ولهذا حسبناه موازيا لمائة الف دولار»

يقول الشاعر ان هناك انقلابا في شؤون الناس او هي بالحري اشبه بمد البحر تطمو كالطوفان وتوعدي الى الشهرة او النجاح او ما شاكل ذلك· فطبع اول اعلان من محل جريصاتي اخوان كان بمثابة ذلك المد في تاريخ تجارتهما وادركا ماهية فضل الاعلان وعلما ان فشلهما في الماضي قد تاتى عن اهمال هذه الوسيلة من تدابير تجارتهما وعلى هذا قررا عدم التصفية وصمما على متابعة التجارة والاعتماد على «جن» هذا الزمان ونعني بذلك وسيلة الاعلان الفعالة ·

قال المستر جريصاتي ـ «عندئذ قلت لاخي ان يشتري بضائع جديدة لكي نبيعها في المخزن وان نعدل عن الجولان للبيع · وهكذا كان فتابعنا التجارة نسيرها على طرق الاعلان الذي تتبعه بالامانة والخدمة الصادقة·

«وكان علينا ان نكتب لهم كمبيالات بفائظ ٧ او ٨ في المائة لندفع المطلوب منا على تلك الصورة تقسيطا وكنا فرحين مسرورين من هذا التساهل·

ومع نمو العمل الناجم عن الاعلان المستمر والعمل المضني بلغت التجارة حدا لم يعد معه استلام البضائع على مثل ذلك الميعاد ضروريا الى ان استوصلت طريقة مشترى المهلة بالكلية · ومع النمو هذا بدت لنا ضرورة التوسع في الفسحة لكي تكون الاستزادة من البضائع ممكنة بالنسبة الى زيادة عدد الزبائن المستمرة· ومن اجل هذا انتقل المحل الى ثلاثة اماكن قبل ان استقر في البناية الجميلة التي هو فيها الان والتي هي ملك الشركة

والمتامل في الرسوم المنشورة هنا لداخل المحل وخارجه يدرك جمال مخزن جريصاتي اخوان وما هو عليه

Arab American National Museum

من الاتقان وحسن الترتيب وقد اسقطا من عداد بضائعهما اصنافا كثيرة على مرور الزمن وجريا مع العصر واستبدلاها بغيرها مما هي اكثر رواجا واقرب الى الضروريات منها الى الكماليات . فعندهما اليوم ملابس للسيدات والفتيات والاولاد واحذية لهم جميعا من اجود جنس واتقن صنع.

رسم المحل الحالي بشاره جريصاتي وهو الذي يقوم بشراء البضائع ويتولى الاعلان عنها وتنظيم داخلية المحل وترتيب البضائع في الشبابيك . اما اخوه سليم جريصاتي فيراقب الديون ويشتري الاحذية ويدير دائرتها وينظر في القسم المالي من العمل ويناظر على عشرة موظفين يتولون البيع. وتجارة المحل تتوقف على القرى القريبة من البلدة وعلى بعد اميال معدودة منها فان ٦٢ بالمائةمن بيع المحل يشتريها الناس من خارج فرجينيا التي يبلغ عدد سكانها ١٧،٠٠٠ نفس

فدائرة تجارتهما من حيث المشترين يبلغ محيطها المائة ميل حول المدينة التي فيها محلهما . ويمكن العلم باهمية محلهما من وجود ستمائة معلمة مدرسة في دفاتره كزبائن راهنة وسبعمائة اسم من زبائن «طيارة» كما يسموتها . والمحل يبيع مبالغ كبيرة على وعدة ولكن خسائره من هذا الباب اقل من واحد في المائة وذلك بالنظر الى التدقيق والتثبت قبل الاقراض .

ولا يلجا المحل الى التحصيل مستعينا بالقانون بل آيته الذهبية هي ان لا يجادل الزبائن بل يحسب الزبون رجلا كان او امراة مصيبا سواء كان كذلك او لا. قال احدهما «وقد راينا الجري على سياسة ارضائهم جميعا مفيدة جدا واذا نالتنا من ذلك خسارة حسبناها من نفقات «الاعلان»

وفي كل راس شهر يعقد سليم جريصاتي اجتماعا يحضره كل معاونيه الذين في المحل يدور البحث فيه على مشاكل العمل وسياسته . ويقيم جريصاتي اخوان حفلة في كل عام يتوق الى ميعادها اصحاب المحل ومساعدوهم معا. وفي آخر كل سنة توزع جوائز مختلفة وعددها ثلاث تعطى للذي يبلغ مبيعه السنوي اكثر من سواه

والاجور في المحل تتراوح بين ١٥ دولارا الى ٣٥ دولارا في الاسبوع. وتنال كل فتاة اجرة تبنى على مقدار النفع الذي يحصل منها للمحل وعملها النافع فيه. وللمحل قوانين يطالب الكل بالمحافظة عليها يضيق المقام عن ذكرها.

واثاث المحل من طبقة تناسب جودة البضائع الغالية القيمة. وكل ما فيه من ذلك مصنوع من السنديان الطبيعي الجميل الصقل ولكل واحد من موائده مرايا في جوانبها. وعلى ارضه بساط ثمنه ٢٠٠٠ ريال. وقيمة الاثاث بجملته عشرون الف دولار. وفي سائر جوانب المحل خزائن جميلة تري كل اشكال البضائع معروضة للناس بمنتهى الترتيب .

وعلى مقربة من مدخل المحل ثلاث غرف لتجربة الملابس والى جانبها سلم تنزل الى دائرة الاردية في القبو وهو المكان الذي يضع فيه عمال المحل اردیتهم وقبعاتهم . اما بقية فسحات ذلك القبو فمملوءة باجناس البضائع الاحتياطية وهناك يصير استلام الوارد من الابضعة على المحل وهناك تفتح وتوضع عليها اسعارها .

هذا وعدا عن اشغال جريصاتي اخوان في عملهما التجاري الكبير فقد وجدا وقتا للاشتغال في الشوءون المدنية فان سليم جريصاتي قد كان وكيل المدينة «كوميشنر» مدة الخمس سنوات الماضية وله اياد بيضاء في بيع رهائن الحرية في غضون الحرب وما بعدها وكلا الاخوين يلعب دورامهما في حياة المدنية الاجتماعية والدينية والسياسية .

ومما قاله احدهما في هذا الشان هو. «اي تاجر في اي صنف كان يجب ان ينجح لان الفرص كثيرة وسهلة السنوح في هذه البلاد العظيمة الحرة العجيبة» وقوله هذا يدل على تقديره النعمة التي اصابها بعد جهاد مر وصبر عجيب من يوم وصوله الى سانت بول الى يوم انشا هو واخوه هذا المحل التجاري الذي اصبح موضع فخر لهما وللمدينة التي هما فيها .

والنقطة المهمة التي يجب ان تنغرس في ذهن كل تاجر والتي كانت مفرق الطرق في جهاد هذين الاخوين قد كانت العامل الاكبر على نجاحهما وابلاغهما ما ادركاه هي ـ الاعلان ـ وهي طريقة حاصلة لكل تاجر اذا هو عمل بها واحسن القيام عليها وجرى على مبدا الصدق والاستقامة فانه يبلغ المراد ويعمل على تحقيق ما يحلم به من النجاح وجمع الثروة .

وانه لامر يستحق الذكر ان تكون تلك الورقة التي طبعها جريصاتي اخوان ليعلنا بها فشل تجارتهما وعزمهما على تصفية محلهما هي التي فتحت لهما ابواب النجاح وقلبت حالة تجارتهما بطنا لظهر وساعدتهما على انشاء التجارة الراقية الناجحة في بلدة فرجينيا من ولاية منيسوتا.

محل ناصيف كرم واولاده وشركائهم

في بلدة لا يكاد يتجاوز عدد سكانها العشرة الاف نفس واقعة في الجنوب الاقصى من الولايات المتحدة على اطراف اريزونا عند حدود المكسيك بلدة تدعى نوغالس فيها بيت تجاري سوري معروف في جميع الدوائر الكبرى التجارية في البلاد شمالا وجنوبا غربا وشرقا وله فيها جميعا ارقع منزلة اشتهر بتجسم فواتيره اي بدون اخذ المهلة التجارية المالوفة من ثلاثين او ستين يوما وتجعل كتب المعلومات التجارية مرتبته في مصاف المساوين من الثلثمائة الى الاربعمائة الف دولار من الطبقة العالية — هو محل ناصيف كرم واولاده وشركاؤهم .

ليس هذا غير واحد من مئات بل الوف من المحال التجارية السورية اللبنانية المنتشرة في هذه البلاد من ادناها الى اقصاها وكلها شواهد على مقدار ما ادرك المهاجر السوري من النجاح اينما حل بالرغم من العهد القصير الذي مضى على بدء هجرته .

ناصيف كرم

وفي تاريخ تأسيسها و نجاحها جميعا نفس الشواهد على الهمة الشماء التي تذلل اصعب الصعاب من اي نوع كانت التي تعترض التاجر المهاجر في سبيل الوصول الى الغرض الذي يقصده

ولكن محل ناصيف كرم واولاده يمتاز بكونه صادف مصاعب مزدوجة في ظروف مختلفة قل ان تعرض لمشروع دون ان تفل من عزيمة صاحبه مهما يكن مضاؤها ولكن صاحب هذا المحل ذللها جميعا

فهو قد خبر مصاعب التجارة في المكسيك وعانى مشاقها في الولايات المتحدة وكانت علائقه لمدة غير قصيرة مشتركة بين البلادين في وقت واحد ولكن همته لم تكن لتنوء تحت كل هذه الاثقال

وفي اللمحة التالية عن نشاة ونمو هذا المحل مثال للطريقة التي تقوم بها اشغالنا الناجحة في المهاجر ووصف المشاق التي يعانيها اصحابها في اول عهد التاسيس .

فصاحب هذا المحل المواطن ناصيف كرم هاجر من بلدته مزرعة الشوف لبنان منذ احدى وثلاثين سنة وهو اذ ذاك غير متجاوز سن العشرين وقد كان الرابع من بلدته الذي اصيب بحمى المهاجرة وركب متن الاغتراب . وقد كانت هجرته الى المكسيك حيث له انسباء ومواطنون كما كان شأن المهاجرة في كل وقت . يتكل المتاخرون على المتقدمين للارشاد والمساعدة

وقد حل في ولاية دورنغو حيث كان المهاجرون من مواطنينا يخرجون للتجول في الداخلية جماعات لا افرادا بالنظر الى ما كان يحف بالمسافرين من المخاطر . وقد كان المهاجرون وبالاخص في ما مضى من الزمن يخاطرون ليس فقط بالصحة والراحة بل بالحياة نفسها في سبيل الكسب وتحصيل الثروة . واكثر ما يصدق ذلك عليهم في البلدان القليلة العمران وغير البالغة مبلغا مذكورا من ارتقاء السكان

وقد لقي مواطننا صاحب هذه السيرة نفس هذه المخاطر

Arab American National Museum

منظر الطبق الارضي من محل ناصيف كرم واولاده وشركائهم والمحل مؤلف من ثلاثة اطباق بنفس الحجم

فاذ هو مرة مع بعض الرفاق يتجولون في ولاية دورانغو ناقلين بضائعهم على البغال سطا عليهم اللصوص وغدروا باحدهم الذي كان في الطليعة وقتلوه وفروا بالبضاعة

وقد كانت هذه آخر سفرات هذا المواطن على هذه الصفة لانه وجد من جهله اللغة وعدم وجود الرفاق وكثرة الاخطار والمشاق ما حبب اليه الاقامة في مواطن الحضارة فقفل راجعا الى مدينة المكسيك العاصمة وهناك تمكن بفضل حسن سمعته بالامانة والاستقامة من استلام كميات كافية من البضائع افتتح بها محلا في ولاية دورانغو . وكتب الله له التوفيق فربح باقل من سنتين نحو خمسة عشر الف ريال مكسيكي عاد بها الى الوطن

كان معظم المهاجرين اولا يقولون انهم مغادرون الوطن لوقت محدود يعودون بعده ولكنهم لا يعودون . اما هو فقد عاد لان اهله عصوا بامراته ومنعوها عن اللحاق به الى المهجر . ولكن الحنين الى الاغتراب عاوده شديدا قبل مرور عشرة شهور على اقامته في الوطن فقفل اهله ووالديه وعاد الى امريكا . وكان مروره هذه المرة على نيويورك من حيث استلم كميات من البضائع ذهب بها الى مونتري في المكسيك مع شريك . انما لم يطل الوقت على الشركة فانفصل عن شريكه وكانت حصته من القسمة ٣٧٠ ريالا . وهذه خسرها في البحث عن مركز جديد . وعند فروغ يده من الحيل استعان ببعض معارفه من التجار المواطنين الذين سلموه بضائع ذهب بها الى واهاكا في الولاية المعروفة بنفس الاسم من جمهورية المكسيك . ومنها انتقل الى كانانيا في ولاية سونورا حيث كان له ابناء عم ساعدوه بالمشورة . وكانت هذه الناحية كثيرة المعادن رائجة الاشغال فاصاب فيها نجاحا وافرا واقتنى املاكا كثيرة كانت ارباحه فيها تناهز الاثني عشر الف ريال سنويا

وعند الاقبال يحلم التاجر بالتوسع . وبالنظر الى قرب كانانيا من تخوم الولايات المتحدة خطر له ان يفتح في هذه البلاد فرعا لاشغاله فجعله في بلدة نوغالس وذلك في سنة ١٩٠٧ انماشاءت الظروف ان تنحط الاشغال في المكسيك وتتحسن في الولايات المتحدة فصار فيما بعد الفرع الاصل وجعل مواطنتا مركزه الرئيسي منذ سنة ١٩١٢ في بلدة نوغالس

تجارة هذا المواطن تتناول فرعي الجملة والمفرق وهي

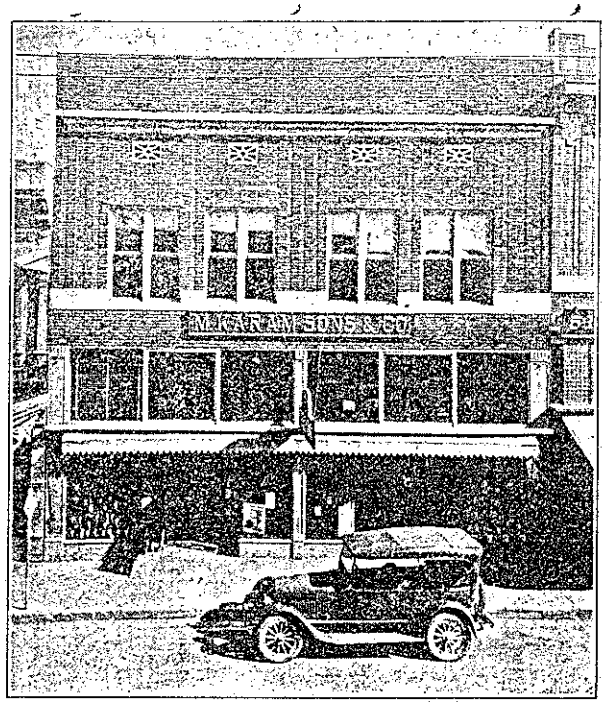

ظاهر محل ناصيف كرم واولاده وشركائهم
في نوغالس اريزونا

في الملبوسات والاقمشة والاثاث والسجاد من كل ما يلزم العائلة بكاملها من الحاجات الشخصية والمنزلية ٠ و٩٥ بالمائة من مبيعه على قاعدة النقدي وكذلك دفعه قائم على حسم الفواتير بمدة عشرة ايام

ويتجلى حذق السوري في التجارة في ما توقع لهذا المواطن في سنة ١٩٢٠ عندما وقعت تلك الازمة الفجائية التي صحبها سقوط مريع في اسعار الاقمشة وقد دهمته وهو مختزن من القماش بانواعه الشيء الكثير ٠ ولكنه بدلا من ان يحمل الخسارة اخذ يفكر في طريقة لدرئها ففتق له ان يشتغلها بضاعة فانشأ معملا للقمصان والبناطلين جهزه بخمس وعشرين ماكنة للخياطة واستخدم في ادارته اكثر من ثلاثين عاملا فحققت النتائج آماله

ولا نكون راوين الحقيقة كاملة اذا اغفلنا عن الاشارة الى ما لصاحب هذه التجارة من المركز الادبي في محيطه فوق ما له من المركز المادي ٠ فهو عالي المنزلة نافذ الكلمة صادق الوطنية ينظر اليه الجميع من اصحاب الاحكام وسواهم بالتجلة والاعتبار ٠ له يد مبسوطة في جميع المشاريع النافعة في بلده وجواره ٠ وشهرته بالمروءة والاستقامة عمت الجهات ٠ ومن جميل ما يؤثر عنه ان ابنيه الاكبرين تطوعا في الجيش الاميركي اثناء الحرب ٠ وقد خدم احدهما مع الحملة الاميركية في سيبريا سنة ونصف سنة واعفي بشرف ٠ مع ان بعضهم زينوا له ان يهرب اولاده الى المكسيك فلا يلزم لذلك غير ان يعبروا السوق الواقعة في وسطه الحدود ولكن لا هو ولا هم قبلوا

Arab American National Museum

محل فريد عقل الناكوزي واخيه

حيث فشل عديدون تمكن الشاب اللبناني النشيط صاحب هذا المحل من ادراك النجاح لمجرد حذقه واجتهاده وحصل فوق ذلك مركزا ادبيا عاليا بين القوم

في بلدة كلوفرسفيل من اعمال ولاية نيويورك محل للحلويات والماكولات هو بترتيبه ونظافته واتقانه وحسن الخدمة فيه اجمل محل من نوعه بين مدينتي البني وسيراكيوز وابناء البلدة يفاخرون به ابناء البلدان المجاورة مع انه لرجل غريب غير انهم لاعجابهم بهمة واقدام وحسن اخلاق صاحبه لا ينظرون الى الفوارق الجنسية وكل ما يدخل في اعتبارهم ان الرجل عامل على ترقية البلدة ساع لتعزيز سمعتها الحسنة .

فلمن هذا المحل الجميل ومن هو صاحبه الكريم الاخلاق الطيب السمعة؟

فريد عقل الناكوزي

يسر قراءنا لا شك ان يعرفوا ان هذا المحل لشاب لبناني ادرك في المحيط الذي تزل فيه اوفر قدر ليس فقط من النجاح المادي بل من المنزلة الادبية والاجتماعية بين القوم .

هذا المواطن هو الاديب فريد عقل الناكوزي من بلدة صليما لبنان وفي تفصيل تاريخ نجاحه تحقيق لصدق المثل بان كل من سار على الدرب وصل .

هاجر المواطن فريد الى هذه الديار وهو ابن خمس عشرة سنة . ذلك لانه وهو في ذلك العمر تيتم من ابيه وكان هو اكبر اخوته فلم يشأ ان تنفق عليه امه من تركة ابيه لاتمام دروسه . الا انه كان قد اصاب قسطا وافرا من العلم في مدارس مصر ولبنان العالية واخصها مدرسة القديس يوسف في قرنة شهوان . وفي المدرسة الوطنية في صليما لصاحبها يوسف الخوري البشعلاني الذي لا ينسى فضله عليه وعلى غيره من الناشئة . وقصد من مهاجرته الى امريكا الاجتماع بخال له كان يقيم في بلدة كلوفرسفيل ولكنه في السنة الاولى قاسى من المضض ما حبب اليه الرجوع الى الوطن لانه كان لا يحسن لغة البلاد او تتفق اخلاقه وتربيته مع عاداتها ولم يحمله على تغيير عزمه غير صدفة تضمنت فرصة اقتحمها بنشاط الشباب وتعقل الشيوخ واسفرت عن ابتسام الايام له عن ثغر النجاح .

ذلك انه وهو على همة السفر جاءه امريكي كانت له بناية في نقطة حسنة من البلدة فيها محل سمانة . غير ان هذا المحل كان مصابا بالنحس فلا يتولاه احد الا يصيبه التأخر والافلاس . وكان صاحب المحل اذ ذاك في مأزق ضيق وعلى وشك السقوط مما جعل صاحب البناية يهتم لمن يشتريه فعرضه على فتانا اللبناني . وبعد تردد طويل اتكل فريد على الله ووطد العزم على الاقامة واخذ المحل بشركة خاله . واقام سنة يصل اناء الليل باطراف النهار في العمل للتغلب على الصعوبات التي كانت تؤدي الى افلاس من تقدمه فيه . واستقدم اخاه الاصغر فيليب من الوطن وادخله معه في الشركة عندما تخلى عنها خاله

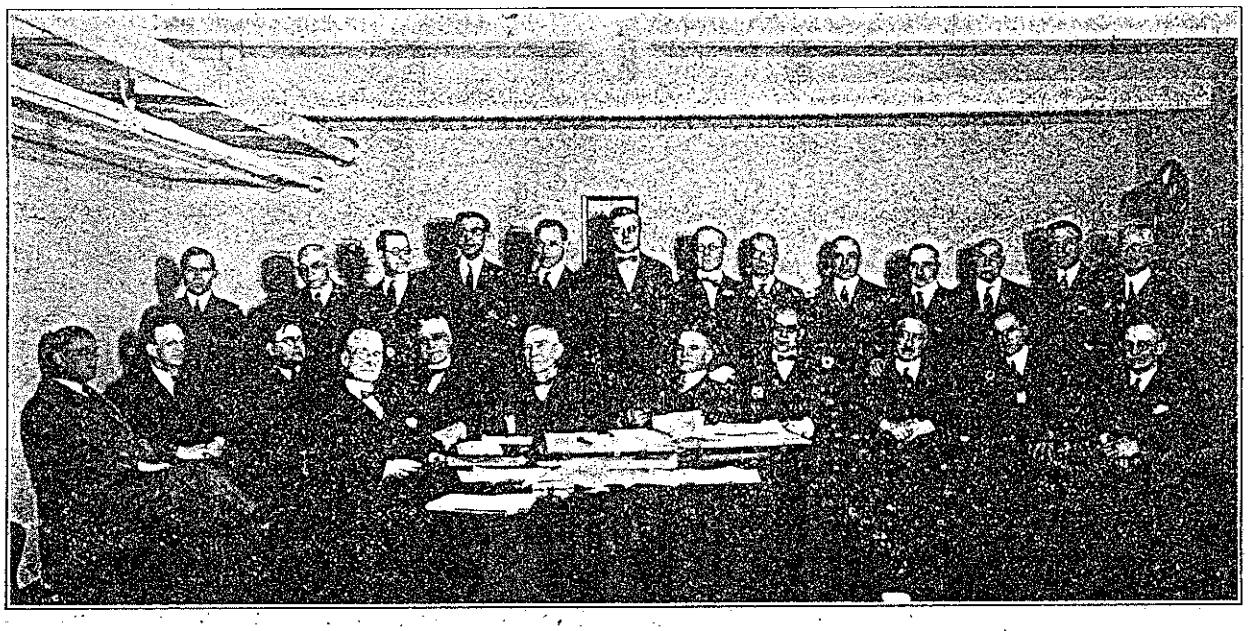

موظفو ومدراء المصرف الذي ساعد فريد عقل الناكوزي على تاسيسه ولا يزال عضوا في مجلس ادارته وهو الاول في صف الواقفين من جهة اليسار

بداعي السفر الى الوطن • فكان فيليب يتردد الى المدرسة نهارا ويشتغل في مساعدة اخيه بعد ذلك • ولم يكن لساعات العمل عندهما حد بل اشتهرا بين ابناء البلد بكونهما من عمال الثماني عشرة ساعة لان فريدا كان يفتح المحل الساعة السابعة صباحا ولا يقفله قبل الحادية عشرة او الثانية عشرة • وقد رفعا باجتهادهما كابوس النحس الذي كان ضاغطا المحل لانه اخذ يسير في سبيل النجاح وثباً بعد السنة الاولى وهو كان حجر الزاوية في النجاح الذي ادركاه •

كل من يعرف المواطن فريد عقل من مواطنيه يعرف فيه دماثة الاخلاق والاستقامة وانس المحضر • غير ان هذه المزايا الحسان لم تخف ايضا على اصدقائه الامريكان • لان المركز الادبي الذي ادركه بينهم يشهد بقدرهم هذه الخصال الحميدة قدرها في اي من كانت • وان في مثل هذا المواطن عظة لسائر المواطنين اينما كانوا •

فانه عندما اشتهر بالاستقامة والجد وفرط النشاط اخذت تعرض عليه الفرص تباعاً وهو لحذقه يغتنمها • نذكر من ذلك كونه اختير ليكون من موسسي المصرف الكبير في البلدة المعروف باسم «فولتن كونتي ترست كومبني» •

ففي سنة ١٩١٦ خاطبه احد اصدقائه الامريكيين بالتليفون واستدعاه الى مكتبه وهناك عرفه على صديق له قادم من بنسلفانيا قصد تاسيس مصرف في المدينة • فاخذ المواطن يعتذر بعدم كفاءته على الاشتراك في مثل هذا المشروع اذ ليس له من المنزلة الاجتماعية والمالية ما يوهله لخرط نفسه بين جمهور البلدة الذين منهم اعضاء مجلس امة وسياسيون وصحافيون ومتمولون الخ • ولكن بعد الالحاح قبل واخذ يعاون صاحب المشروع في بيع الاسهم والحصول على تواقيع على العريضة بطلب الاذن لتاسيس المصرف • وعندما عقد الاجتماع العام للموسسين وقرئت لوائح الاكتتاب وجد ان مواطننا كان في المقام الثاني بين كل من اشتركوا ببيع الاسهم •

وعندما رفعت العريضة الى ادارة المصارف في حكومة الولاية للنظر في منح الاجازة واختيار المدراء اشتغلت الادارة في البحث عن صلاحية الاشخاص المعروضة عليها اسماوهم لاختيار مجلس مدراء منهم فجاء اسم مواطننا في المقام السابع من اللائحة من بين الجماعة التي ضمت اكابر البلدة •

وما زالت علاقة هذا المواطن بالمصرف التي كانت له يد في تاسيسه متصلة منذ انشائه في سنة ١٩١٦ حتى انه عندما انخرط في سلك الجيش وسافر الى ساحة الحرب جدد المساهمون انتخابه وكتبوا اليه بذلك وهو غائب • وفي السنة الماضية ايضا جدد انتخابه لثلاث سنين اخرى •

ولا بد من الاشارة ونحن في هذا الحديث الى كون

Arab American National Museum

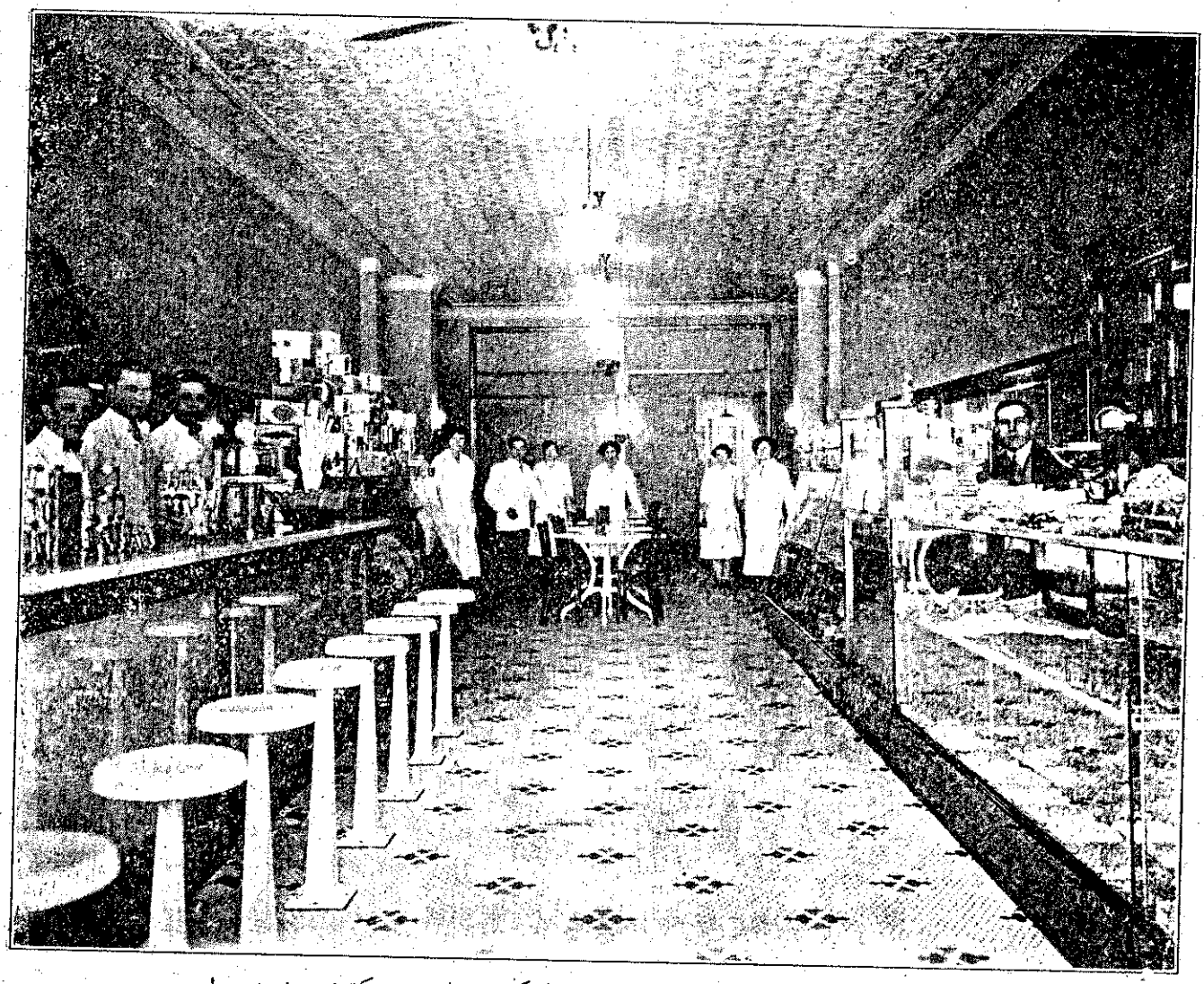

جانب من المحل المتقن الذي لفريد عقل الناكوزي واخيه في كلوفرسفيل نيويرك

مواطننا هذا قام بواجبه خير قيام اثناء الحرب فلم يتلكأ او يعترض بل سار الى ساحة القتال طوعاً ووفى الوطنية حقها في الخدمة على خط النار .

كل هذا والمواطن بالكد تجاوز العقد الثالث من العمر وهو من الامثلة الفضلى على المنزلة التي ادركها المهاجر السوري حيثما حل في هذه البلاد بل هو محقق ان شاء الله آمال اصدقائه بالازدياد تقدما كلما تقدم سناً .